تاريخ ابن الفـــــــرات

وهـــو

تاريخ الـدول والملـــوك

المجلد السادس ـ الجـــزء الاول

لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات

Submitted in partial fulfillment of the
requirements of the Degree of Master of
Arts in the History Department of the

American University of

Beirut

BEIRUT - LEBANON.

1961.

تاريـــــخ ابن الفـــــرات

المجلــــــد السادس ـ الجزء الاول

تحقيق ميخائيل خـورى

باشراف الدكتور قسطنطـــين زريـــــــق

توطئـــــة

ينبغي ان اشير هنا بايجاز الى الطريقة التي اتبعتها في تحقيق هذه المخطوطة ٠ ولما كانت هذه المخطوطة جزءا من مؤلف متعدد الاجزاء كان الدكتور زريق قد بدأ بتحقيقه ونشره فقد اعتمدت ذات الطريقة التي كان الدكتور قد اعتمدها ، مع تغييرات طفيفة اقتضتها ضرورات الآلة الطابعة ٠ وفيما يلي خطوطها الاساسية (١) :

١) التقيد بالاصل ما امكن ذلك الا في بعض الكلمات حين وفقت بين المحافظة على الاصل وبين طرق الاملاء الحديثة ، كاثبات الهمزة بعد الف المد ، او حيث اسقطت في وسط الكلمات او حيث خففت الى ياء في وسط الافعال ٠

٢) وضعت النقاط حيث يهملها المؤلف ــ وهو كثيرا مايفعل ذلك ــ دفعا للالتباس ٠

٣) قسمت الكتاب الى فقرات لتسهيل المطالعة ٠ وعند بداية كل سنة سجلت في اعلى الصفحة تاريخ الحوادث التي يرويها المؤلف بالسنة الهجرية وبالسنة الميلادية معا ٠

٤) اما الكلمات والعناوين التي ارادها المؤلف مميزة وكتبها بحبر احمر ، فقد وضعت خطا تحتها ٠ ووضعت الكلمات التي زدتها على الاصل ضمن قوسين () ٠ ووضعت علامتي اقتباس "" حول الكلمات التي لم اتمكن من تحقيقها او لم استطع التثبت من صحة قراءتها ٠ ووضعت نقاطا ٠٠٠٠٠ مكان الكلمات التي لم استطع قراءتها ٠ وكنت اشير الى ذلك في الهامش ٠

---

١) الدكتور زريق ، توطئة الناشر ٠ تاريخ ابن الفرات ٠ مجلد ٩ ج١ ، سلسلة العلوم الشرقية الحلقة التاسعة ، بيروت ١٩٣٦ ، ص ل ــ ن ٠

٥) اعتمدت ارقام صفحات نسخة فيينا وارفقتها ب "و" او "ق" للدلالة علــى صفحة الوجه (recto) او القفا (Verso).

(١و) الرومي وجماعة من البحرية والحلقة فسافروا من القاهرة المحروسة في رابع جمادى الاول من هذه السنة . وكتب الى دمشق بخروج عسكرها صحبة الامير (١) علاء الدين والحاج طيبرس . ورحل عسكر مصر وعسكر الشام من دمشق في عاشر جمادى الاخره من هذه السنة والله اعلم . وفي هذه السنة ولي عز الدين ابن وداعه الوزاره بدمشق . وفيها تسلم السلطان الملك الظاهر قلعة البيرة . وفيها وصل الخبر الى دمشق بأن الخلف وقع بين التتار ببلاد العجم وتفرقت كلمتهم وانتصر بركة قان على هولاكو . وكان ماسنذكره ٠٠٠٠٠ الله تعالى . وفيها في ثالث عشرى المحرم ٠٠٠٠٠٠ الامير عز الدين بيليك الخزندار على بنت بدر الدين (٢) .

ذكر صلح الملك الظاهر مع صاحب الكرك .

كان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي لما ملكه الله تعالى قد ترددت بينه وبين الملك المغيث صاحب الكرك عدة رسايل . وكان الملك المغيث قد سير في الباطن الى جماعة من الشهرزورية فاستمالهم اليه وهربوا الى الكرك . وكان الملك الظاهر قد سير عسكرا مقدمه الامير شجاع الدين طغريل الشبلي الى جهة الشوبك فأغاروا على البلاد مرة بعد مرة (٣) .

---

١) في الاصل " للامير " .

٢) الكلام هنا غير مقروء كله وهو على الهامش في الاصل وهذا ما جاء في اليونيني جزأ ١ ص٤٥٢ وج٢ ص١٠٧ : وفيها (سنة ٦٥٩ هـ) في ثالث عشر شوال استدعى (الظاهر بيبرس) اولاد بدر الدين صاحب الموصل وعرفهم مكانة الامير بدر الدين بيليك الخزندار عنده ومحله منه وطلب منهم ان يزوجوه بأختهم فبذلوا جهد الاستطاعة في السمع والطاعة فعقد عقده وملكه بانياس والصبيبة بعد البيع الشرعي وجعل ذلك مكافأة لخدمته له ومصابرته معه في حالتي الشدة والرخاء .

٣) ابن عبد الظاهر (ص٤٨) .

وكتب السلطان يردهم ويصدهم (١) . ثم جرد السلطان الامير جمال الدين المحمدى وتوجه الى الكرك فحاصرها فنزل عليها وضايقها . ثم رحل عنها الى جهة حلب وقال السلطان : والله ما قصدته بسوء حتى ابتدأ به (٢) وسير الى بلادى افسد الشهرزوريه واستعان بهم على فساد البلاد . وشرع السلطان في تجهيز عسكر آخر . فوردت رسل صاحبها الملك المغيث الى الخليفة المستنصر بالله قبل خروجه من الديار المصرية يسأله الشفاعة . فكتب الى السلطان وشفع وعاود فقبل السلطان شفاعته ولم يسيرا احدا . وسير الخليفة رسولا صحبة رسول السلطان . ولما خرج السلطان الملك الظاهر صحبة الخليفة الى جهة الشام كما قدمنا شرحه وردت الرسل من جهته ولم يتقرر حاله . والوافدون من جهته تتواصل واهل البلاد يطلبون رضى السلطان . وكان الملك المغيث قد سير ولده الى هلاكوا (ا ق) ملك التتار . وعاد الى دمشق قبل كسر التتار على عين جالوت . فلما كسرهم الملك المظفر قطز كما سبق ذكره ودخل الى دمشق قبض على الملك العزيز بن الملك المغيث واحضره الى مصر فأعتقل بها . فلما تملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس واتفق ما قدمنا شرحه ضاق الحال على الملك المغيث وقلت حيلته ورأى الامر عليه قد صعب سرع في استعطاف السلطان الملك الظاهر فأبقى عليه الكرك وبلادها واطلق الملك العزيز بن الملك المغيث واقطعه "ديبان" (٣) بمنشور شريف . وحلف السلطان لوالده الملك المغيث . ثم بعد ذلك سير السلطان له سنجقا وشعار السلطنة فقبل عقب السنجق وركب بشعار السلطنة . وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى . واستأمن الشهرزوريه الى السلطان فعفى عنهم وامر بعضهم والله اعلم .

---

١) في ابن عبد الظاهر (ص٤٨) "وعسكر السلطان يردهم ويصدهم "

٢) في الاصل " ابتدى"

٣) كذا في ابن عبد الظاهر ص٤٩ لكنها بغير تنقيط في الاصل .

ذكر تحليف الناس لولد الملك الظاهر بولاية العهد

باشر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي عرض العساكر بنفسه • وحلف الناس لولي العهد الملك السعيد ناصر الدين خاقان بركه خان • فحلف الناس بآمال منبسطه وطاعة غير مشترطة وعهود بالوفا مغتبطه واتم الله نعمته عليه كما اتمها على ابويه من قبل • وسيرت نسخ الايمان الى القلاع فحلف الناس جميعهم والله اعلم •

ذكر وصول الحاكم بأمر الله العباسي الى مصر

لما كسر التتار الخليفة المستنصر بالله واصحابه ورجع الحاكم بأمر الله ومن معه كما قدمنا شرحه وصل الحاكم بأمر الله الى دمشق المحروسة ودخلها يوم الاحد ثاني عشرى صفر من هذه السنة • ثم (٢ و) سافر من دمشق الى مصر في يوم الخميس سادس عشرى صفر الشهر المذكور فوصل الى القاهرة المحروسة في السابع والعشرين من شهر ربيع الاول من هذه السنة • واحتفل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي للقايه وانزله في البرج داخل القله بقلعة الجبل المحروسة ورتب له ما يحتاج اليه • وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى •

وقال صاحب "كتاب نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" : في نصف شهر رجب الفرد من هذه السنة وردت جماعة من البغادده مماليك الخليفة الذين كانوا تأخروا في بلاد العراق بعد قتل الخليفة ومقدمهم الامير سيف الدين سلار • فالتقاهم السلطان بالاحسان واعطى الامير سيف الدين سلار خمسين فارسا في الشام نصف (١) مدينة نابلس • ثم غيره له واعطاه طبلخاناه بمصر • فلما شاهد احسان السلطان كتب الى من تأخر من خشداشيته والى اصحابه من خفاجه يعلمهم بالحال كما قال

---

١) لعل المقصود (ونصف)

الله تعالى " يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين " (١)

وكان قد جرى من الامير سيف الدين قليج البغدادي المستنصري امر اوجب اعتقاله بعد ان كان السلطان اعطاه الاقطاعات العظيمة (له) (٢) ولولده • فلما كان في بعض الايام افتكره السلطان وعلم انه لعظم ذنبه لم يجسر احد من الامراء يشفع عنده فيه وان الاسباب انقطعت عنه فأطلقه بغير شفيع وجعله يلعب معه الكرة وشاهده البغادده الواصلون على هذه الحاله فدعوا للسلطان وشكروا حلمه والله اعلم •

وفي شعبان من هذه السنة وصل الى الابواب الشريفه (٢ ق) الامير سيف الدين الكرزى والقاضي اصيل الدين خواجا امام رسل السلطان الذين كانا توجها الى الانبرور ملك الفرنج وصحبتهما كتابة • وذكرا انه اهتم بهما اهتماما عظيما واحضرهما ساعة الوصول قبل ان يستريحا • وان الانبرور تجمل لهما تجملا عظيما • وعرضت عليه الهدية فأعجبته الزرافة اعجابا عظيما وشاهد التتار المسيرين اليه وقرئ عليه كتاب السلطان وهو يردده ويتفهمه وجهز رسولا وهديه تحضر صحبة رسله فيما بعد • ولما وصل رسل السلطان المذكورون كان في جملتهم نفران من البحريه امر السلطان بتأديبهما لانه بلغه سؤ اعتمادهما • وسيرهما الى قلعة الجزيرة بروضه مصر المحروسة يعملان فيها •

ووصل ايضا الى الابواب الشريفه الامير شرف الدين الجاكي والشريف عماد الدين الهاشمي من عند صاحب الروم السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو وصحبتهما الامير ناصر الدين نصر الله بن كرج رسلان امير صاحب والصدر صدر الدين الاخلاطي رسولان منه ومعهما كتابان الى السلطان الملك الظاهر يتنزل فيه تنزلا عظيما •

---

١) سورة يس (٣٦) رقم ٢٥ و ٢٦ •
٢) ابن عبد الظاهر (ص ٥٠).

وانه نزل للسلطان عن نصف بلاده • وسير دروجا فيها علايم بما يقطع من البلاد لمن يختاره السلطان ويؤمره ويكتب له من جهته منشورا قرين منشور صاحب الروم•

ولما وصل الرسل المذكورون اكرمهم السلطان الملك الظاهر وسكن جاشهم وشرع في تجهيز جيش نجدة لصاحب الروم • وامر بكتب المناشير وعين الامير ناصر الدين اغلمش السلاح دار الصالحي لتقدمة العسكر وعين له ثلاثماية فارس واقطعه (٣ و) في الروم • ووصلت تذكره على يد الامير ناصر الدين المذكور ونسختها بالعربية - بمقتضى الوقت والحال حصل من جهة حضرة جلال السلطنة اجلها الله الجناب المحروس الاسفهسلار الاجل الكبير العالم العادل المؤيد المنصور المظفر المجاهد المثاغر المعاون المساعد المفاخر ناصر الدين نصرة الاسلام عدة الملك عمدة الممالك ذخيره الحضره كهف الجيوش قايد العساكر نصرة الغزاة سيد الامرا" والحجاب صاحب السيف والقلم عضد الملوك والسلاطين "ساسلع ملكا رمادار حاص سوباشي " سيد الامرا" والخواص ملك الحجاب ناصر الدين حاكما مطلقا وسلم اليه المناشير وشرقه (١) بما يليق به • ورسم له بالسنجق والمنديل واليد كجارى العادة • وسير الى خدمه الجناب العالى المولوى الملكي الظاهرى خلد الله سلطانه واقسمنا بالله سبحانه وتعالى وابتدأنا (٢) بو الله والله وبالله وبالله وتالله وتالله وتالله الطالب الغالب الضار النافع المدرك المهلك الحي القيوم الذى ارسل ماية الف نبي اربعة وعشرين الف نبي الى الخلايق كافة وبالحلال والحرام يعني الطلاق انه مهما امر مولانا السلطان الملك الظاهر خلد الله سلطانه بحضور الامير ناصر الدين هو مقرر على ما يتقرر من غير تبديل ولا تغيير على جماعة الامرا" وغيرهم لا يتطرق الى ذلك كلام احد ولا يسمع في ذلك قول قايل ولا ينقضه (٣)

---

١) في الاصل "وشرف "
٢) في الاصل "وابتدينا "
٣) في الاصل "ينقصه "

وهذه اليمين يميني وقد حلفت بها مهما ..... (١) من المدن والاقطاعات والملكية وغير ذلك مهما قرر ورسم يكون مقررا على الوجه الذي يؤمر به . ولا يعزل احدا من الجماعة المذكورين وكل من احضر من الديوان العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري مثالا (٣ ق) او توقيعا بمثل ذلك بعد اليوم وصار البيتان واحدا والمحبة الكلية تؤكد . والله على ما نقول وكيل . كتب في اواخر جمادى الاخرة سنة ستين وستماية"

وكتب السلطان الملك الظاهر للامير ناصر الدين الرسول المذكور منشورا بثلاثماية طواشي واقطعه آمد واعمالها . وتقرر سفره صحبة العسكر وان يتوجه صدر الدين الرسول الاخر صحبة رسل السلطان في البحر الى السلطان عز الدين واعلامه بأن السلطان قد اجاب داعيه ولبى مناديه ووقع الاهتمام في كتب المناشير وتجريد الامراء من حلب والشام .

وفي شهر رجب من هذه السنة ايضا وصل الى الابواب الشريفه الامير عماد الدين بن الامير مظفر الدين صاحب صهيون رسولا من جهة اخيه الامير سيف الدين وصحبته الهدايا الحسنة . فأحسن اليه السلطان . وكتب له منشورا في بلاد حلب بثلاثين فارسا وكتب له منشورا آخر في البلاد الرومية بماية طواشي .

وفي هذا التاريخ وصل كتاب صاحب الروم يذكر فيه ان العدو لما بلغهم اتفاقه مع السلطان خافوا من هيبته فولوا هاربين وانه سير الى قونيه يحاصرها ليأخذ من بها من اصحاب اخيه .

وفي هذا التاريخ وصل كتاب السلطان الى الملك المنصور صاحب حماه وصحبته قصاد وصلوا اليه من التتار وعلى ايديهم فرمان للملك المنصور . فشكر السلطان على ذلك واعتقل القصاد .

---

١) في الاصل بياض بقدر كلمه .

وفي هذا التاريخ وصلت كتب الامير عز الدين الافرم امير جاندار مقدم العسكر المتوجه الى جهة الصعيد للعربان بتبديد شملهم وسبب ذلك طمعهم بتغيير الممالك ونفاقهم وسوء اعتمادهم وتعديهم على الامير عز الدين الحواس (١) والى قوص وقتلـه وانه اراح المسلمين من فسادهم والله لا يحب الفساد •

وفي شعبان (٤ و) من هذه السنة توالى وصول جماعة ممن كان صحبة الامـير البرلي من العزيزيه والناصرية فأحسن اليهم السلطان الملك الظاهر ولم يؤاخذ احدا منهم بشيء مما جـرى •

وكان الاشكرى سير الى السلطان الملك الظاهر يلتمس منه بطركا للنصارى الملكين فعين الرشيد الكحال لذلك وسيره اليه صحبة الامير فارس الدين اقوش المسعودى فأكرمه الاشكرى واكرم البطرك واكرم من صحبه من جماعة الاساقفة واعطاه ووصـل الامير فارس الدين اقوش المسعودى الذى كان توجه رسولا الى الاشكرى في هذه الايام وصحبته البطرك المذكور • ولما وصل البطرك احضـر الى السلطان الملك الظاهـر هديه كبيره من جملتها مصوغ من فضة وقماش وذهب وما تحصل له من مال • فـرد السلطان ذلك عليه • وصادف وصول الامير فارس الدين الى الاشكرى عند فتحـه للقسطنطينيه فركب الاشكرى يوما ليفرج الامير فارس الدين المذكور فيها وفي عمايرهـا ثم عبر على مكان فقال : جامع• وقد ابقيته ليكون ثوابه للسلطان • واذ قد جـرى ذكر القسطنطينيه وهذا الجامع فلنذكر يزيد بن معاويه ومسلمة بن عبد الملك وغزوها القسطنطينيه وبناية الجامـع•

كان يزيد بن امير المؤمنين معاويه بن ابي سفيان الاموى رضي الله عنهما فـي سنة احدى وخمسين للهجرة في خلافة والده غزا القسطنطينيه ومعه ابو ايوب الانصارى

---

١) "الهواس" في السلوك للمقريزى ج ١ ص ٤٧١ • وفي الاصل بدون تنقيط •

رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم • فلما حضرته الوفاه وصى انه يترك تحت ارجل الخيل حتى تدوسه خيل المجاهدين ففعل ذلك • وقيل انه دفن تحت سورها • والروم الى الان يستسقون المطر اذا انحبس عليهم الغيث بقبره ويدعون الله تعالى به • ونقل ابن حمدون في (٤ ق) كتابه التذكـــره ان سبب بنايه الجامع بقسطنطينيه ان في سنة ست وتسعين للهجرة وقع الصلح مع الروم على ان يبنى بها مسجد جامع فبني • ولما طالت مدته جعلوه حبسا • وقال غيره ان الصلح كان تقرر على ان يبنى مسجد قدر جلد بعير • وتقررت العهـــود على ذلك • فلما استقر الحال عمد المسلمون الى جلد بعير فقدوه سيورا ومدوها • فأنكر الروم ذلك • فقال المسلمون ان هذا جلدا لبعير ما زدنا عليه شيئا وكـــان عليه الاتفاق فسكتوا • وقيل ان بانيه الامير مسلمة بن امير المؤمنين عبد الملك بـــن امير المؤمنين مروان بن الحكم الاموي في ايام اخيه امير المؤمنين الوليد لما غزا القسطنطينيه كما سبق ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتـــاب•

وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي لما صالح ملك قسطنطينيه اراد ان يعمر هذا الجامع ويخطب له فيه • وسير ابن البزار (١) في هذا السبب فما اجابه الروم ولا مكنوه منه • واخر الله تعالى ذلك ليكون اجره للسلطان الملك الظاهر وفخره لدولته • فلما رجع الامير فارس الدين اقوش من عند الاشكرى وبلغه ما قال له الاشكرى في امر جامـــع القسطنطينيه فرح واعجبه كون الله سبحانه وتعالى هيأ هذه الحسنة في ايامـه وجعل شعار الاسلام في بلاد الكفر بهيبته • وامر لوقته بتجهيز الحصر العبداني والقناديل المذهبة والستورة المرقومه والمباخر والسجادات والمسك وماء الورد والعنبر

---

١) كذا في الاصل • وفي ابن عبد الظاهر (ص٥٤) "البزار" • اشار ابو شامه (كتاب الروضتين جـ٢ ص١٥٩ ـ ١٦٠) لذلك ولم يذكر الاسم • وكذلك فعل ابن شداد في "سيرة صلاح الدين" (ص١١٥ ـ ١١٦) ولكنه لم يذكر الاسم •

والعود . وذكر الله فيه بطريقه وهذا عمل صالح للملك الظاهر مكتوب في صحيفته لان الله تعالى يقول : ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب (٥ و) لهم به عمل صالح " (١) والله اعلم .

ذكر نزول عسكر الملك الظاهر على انطاكيه ورجوعهم عنها .

كنا قدمنا ان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ارسل عسكرا الى جهة حلب . ولما استقرت بالبلاد الحلبية صلحت الامور وحفظت الغلات . وكان البرنس صاحب انطاكيه مستمرا على ما هو عليه من التخوف من المهابه السلطانية . فحصل التقدم للعساكر بالاغارة على بلاده فتوجهت العساكر اليها صحبة الامير شمس الدين سنقر الرومي . وكان من جمله من صحبه صاحب حمص وصاحب حماه والامراء كلهم فنازلتها العساكر واخذت المينا واحرقت المراكب . واخذت حواصلها . وحاصرت السويداء واخذتها . وقتلت واسرت وجاهدت احسن جهاد . وعادت ودخلت القاهرة المحروسة في يوم الخميس تاسع وعشرين شهر رمضان سنة ستين هذه السنة صحبة الامير المذكور . وصحبته الاسرا وهم مايتان نيف وخمسون اسيرا . فأحسن السلطان الملك الظاهر الى الامير المذكور مقدم العساكر والامراء . وسير الخلع الى الملكين المذكورين الى بلادهما والله اعلم .

ورأيت بخط صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم بن الامير ناصر الدين محمد بن الامير عز الدين ايد مردقماق في ترجمة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس من كتابه الذى الفه وسماه "الدر المنضد في وفيات اعيان امة محمد صلى الله عليه وسلم" ما صيغته : وفي سنة ستين وستماية رتب السلطان الملك الظاهر في مصر اربع قضاة وجعل لكل قاضي نايب (٥ ق) انتهى كلامه والا ظهر ان ذلك كان في سنة ثلاث وستين كما

---

١) سوره التوبة ٩ آية ١١٩ -

سنذكره فيها ان شاء الله تعالى • لكن الذى اتفق وقوعه في هذه السنة ان السلطان الملك الظاهر في ثالث شهر رمضان من هذه السنة عزل قاضي القضاة برهان الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز الى قضاء مصر والوجه القبلي مضافا لقضاء القاهرة والوجه البحرى • وكان قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز متشددا في الاوامر الضرورية السلطانية فأوجب الامر السلطاني اليه ان يستنيب عنه في الاحكام مدرسي المدرسة الصالحية النجمية التي بين القصرين داخل القاهرة المحروسة على المذاهب الاربعة ففعل ذلك • وجلس القاضي صدر الدين سليمان الحنفي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي • وذلك في العشر الاواخر من ذى القعدة من سنة ستين هذه السنة • وتم هذا الامر ثم جرى ما سنذكره ان شاء الله تعالى •

قال بعض اهل التاريخ في يوم الاربعاء رابع ذى القعده من هذه السنة قبض الملك الظاهر ركن الدين بيبرس على نايبه بدمشق وهو الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى • وكان قد تولى دمشق بعد مسير الامير علاء الدين ايدكين البندقدار عنها • وسبب القبض على علاء الدين طيبرس ان الملك الظاهر بلغه عنه امور كرهها • فأرسل اليه عسكرا مع الامير عز الدين الدمياطي والامير علاء الدين ايدغدى الحاج الركني وغيرهما من الامراء • فلما وصلوا الى دمشق خرج الامير طيبرس لتلقيهم • فقبضوا عليه وارسلوه الى مصر فحبسه الملك الظاهر واستمر في الحبس سنة (٦ و) وشهرا • وكانت مدة ولايته بدمشق سنة وشهرا ايضا • ولما قبض على الامير علاء الدين طيبرس حكم في دمشق الامير علاء الدين ايدغدى الحاج الركني •

وفي ذى الحجه من هذه السنة ظهر بين القصرين بالركن المخلق (١) بالقرب

---

١) في الاصل المحلق ، وقد جاء في الخطط للمقريزى ج ٢ ص٢٤٧ انه قد سمي "الركن المخوق بواو بعد الخاء ٠٠٠٠ الخوقاء الصحراء التي لا ماء بها ويقال الواسعة واخوق واسع فلعله سمي المخوق بمعنى الاتساع ٠٠٠ او بكون المخلق ٠٠٠ اى مستواملس • وسمته العامة بعد ذلك الركن المخلق بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام وفتحها •

من رحبه باب العيد بالقاهرة المحروسة معبد وفيه حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى بن عمران عليه السلام فجددت عمارته وهو الان يعرف بمعبد موسى وهو منزل مبارك وفيه انس كثير وفيه مساكن والله اعلم ٠

ذكر وصول جماعة من التتار الى الباب الشريف ودخولهم في طاعة الملك الظاهر

لم يزل السلطان مهتما بأمر الاعداء ومحترزا من مكايدهم وآخذا بالحزم في امرهم ٠ وقصاده لاتنقطع من بغداد وخلاط وغيرهما من بلاد الشرق والعجم ٠ وهو يغرم عليهم الاموال الكثيرة لان من يسافر في هذا المهم ويسخوا بنفسه لابد ان يأخذ مثل ديته ولولا ذلك ماغرر احد بنفسه ٠ فلما ارشد الله السلطان لهذه المصلحة ترددت القصاد وتعرفت بمن يطلعها في البواطن وكاتبهم السلطان وسير اليهم التحف ٠ وسيروا يعرفون ان هلاون خزاه الله جمع جمعا كثيرا ولم يعلم قصده ٠ فاحترز السلطان وسير الكشافة من خواصه وجرد معهم جماعة من الترك الخفاف بالخيول المسومة والجنايب وسير الكشافة جمال الدين الرومي السلحدار من الخواص ومعه خيول منها حجرة من خيل خفاجة سابقه وغيرها من الخيل كل فرس بألف دينار واكثر ثم الامير علاء الدين اقسنقر الناصرى كذلك حتى اخذ السلطان الاخبار ٠ وقبض من وسط التتار ناسا اخذ الاخبار منهم وكانوا مسلمين ، فأطلقهم وكتب الى الشام بارداقهم بجماعة ٠ وارسل (٦ ق) امراء العربان معهم فساقوا الى حدود العراق ٠ وفي نصف شهر رمضان من هذه السنة وقع بدمشق ارجاف من جهة التتار وتجهز اكثر الناس للهرب للديار المصرية وباع الامراء حواصلهم وجفل الناس من حمص وحماه ودخلوا الى دمشق وذكروا ان مثل هذا الارجاف حصل ببلاد الفرنج ٠

ولما تواترت الاخبار بحركة هلاون عمل السلطان بالحزم • وتقدم الى اهل دمشق بالحضور الى القاهرة بأهاليهم لتخف ظهورهم وترخص الاسعار ويؤمن نفاق من له ميل الى جهة العدو • فحضرت جماعة كبيرة • وكتب السلطان بتخفيرهم من ولاية الى ولاية الى باب القاهرة وان لا يؤخذ منهم حق طريق ولا زكاه ولا غيرها ولا يتعرض الى ما معهم من تجر وقماش ولا تفتش لهم محاير ولا شدات • فوصلوا الى القاهرة سالمين • وكتب الى النواب بحلب بحريق الاعشاب • وسير جماعة الى بلاد آمد ومواضع الاعشاب التي جرت عادة هلاون بنزولها • لما وصل الى حلب وكانت محمية بحريق الاعشاب فتوجهوا واحرقوا تلك المروج مسيرة عشرة ايام الى ان صارت جميعها رمادا • وفعل في احراق اعشاب بلاد خلاط كذلك • وقطع السبيل (١) احترازا • ثم سير كشافة أخر مثل الاولى وصحبتهم العربان • وفي اثناء هذه الحال بلغ الملك الظاهر امور عن الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى النائب بدمشق انكرها • فسير الامير عز الدين الدمياطي والامير علاء الدين ايدغدى الحاج الركني فقبضوا عليه وارسلوه الى القاهرة • وتسلم الامير علاء الدين المذكور دمشق ينظر فيها الى حين حضور نايب مستقل كما قدمنا شرحه • وسير الامير علاء الدين ايدغدى الحاج الكشافة جماعة بعد جماعة • ثم وصل كتاب الحاج علاء الدين بأن الكشافة وجدوا جماعة كبيرة من التتار مستأمنين وافدين الى الباب الشريف لانهم من اصحاب الملك بركه • وكانوا نجده عند هلاون • فلما وقع بينهما كتب الملك بركه اليهم بالحضور اليه وان لم يقدروا على ذلك يتجاوزن الى عسكر الديار المصرية ويذكرون (٧و) ان العداوة قد استحكمت بينهما • وان ولد هلاون قتل في المصاف وان عسكر هولاكو كسره ابن عمه بركه قان وهرب جماعة هولاكو في البلاد وقصدت كل طايفه منهم جهة • وان هولاكو هرب الى قلعة تيملا وهي في وسط بحيرة اذربيجان فدخلها وقطع عنها الطريق فصار كالمحبوس

---

(١) في الاصل " السبل "

فيها ... (١) وانهم فوق العايتي فارس .

فكتب السلطان الى نواب الشام باكرامهم والاقامة لهم . وحمل الخلع اليهم والى نسائهم واحسن الى مقدميهم الاربعة وسير اليهم الاقامات من مصر من الاغنام والسكر والشعير والحوايج خاناه . ووصلوا في يوم الخميس رابع عشرى ذى الحجة من هذه السنة . وخرج السلطان الملك الظاهر للقايهم يوم السبت السادس والعشرين منه . ولم يبق احد من اهل القاهرة ومصر حتى خرج وكان يوما عظيما وراوا من كثرة العساكر وكثرة العالم شيئا بهر عقولهم وكان السلطان قد رسم بعمارة ادر ومساكن لهم قريب اللوق . وفي يوم السبت سادس عشرى الشهر المذكور عملت لهم دعوة عظيمة في اللوق وحملت اليهم الخلع وسيبت الخيول وفرقت فيهم الاموال ولعبوا الكرة مع السلطان ثم امر كبراءهم بماية فارس فما دونها وباقيهم نزلهم في جملة بحريته ومماليكه وصار كل منهم كامير مستقل له الاجناد والغلمان واسبغت عليهم النعم ظاهرة وباطنه وافردت لهم جهات يستخرج منها مرتبهم وحسن اسلام جميعهم . وبلغ التتار ذلك فتوافدوا جماعة بعد جماعة والسلطان يعتمد معهم الاحسان ويفرقهم كل جماعة بين اضعافها من المماليك السلطانية .

ثم ان السلطان نظر في مصلحة عامة الاسلام وهي انفاذ رسل الى الملك بركه فسير الفقيه مجد الدين والامير سيف الدين كشربك (٢) ومعهما نفران من التتار الواصلين اصحاب صراعان (٣) وكتب على ايديهم الكتب بأحوال الاسلام ومبايعه الخليفة ماسنذكره ان شاء الله تعالى .

---

١) كلمات غير مقروءة .
٢) في الاصل بدون نقط . ولكنها كشريك في ابن عبد الظاهر (ص ٦) وهي كشرتك في السلوك للمقريزى (ص ٤٧٩)
٣) كذا في الاصل ولكنها صراغان في السلوك للمقريزى (ص ٥٠١) .

وفي هذه السنة اخذ قاع بحر النيل المبارك فكان ستة اذرع وسبعه اصابع وانتهت الزيادة الى ثمانية عشر ذراع فقط •

قال بعض اهل التاريخ • وفيها وصل التتار ومقدمهم صدعون (١) وصحبتهم الملك المظفر صاحب ماردين الموصل ونزلوا عليه (٧ ق) وكان في الموصل مع الملك الصالح ركـن الدين اسماعيل سبعماية فارس ونصبوا عليها خمسة وعشرين منجنيق ولم يكن بها ســـلاح يقاتلون به ولاقوت فغلا بها السعر حتى بلغ المكوك اربعة وعشرون دينارا • فاستصرخ الملك الصالح اسماعيل صاحب الموصل الامير شمس الدين البرلي فخرج اليه من حلب وسار الى ان وصل سنجار • فلما اتصل بالتتار وصوله عزموا على الهروب فاتفق وصول الزين الحافظي اليهم من عند هولاكوا فعرفهم ان الجماعة الذين مع البرلي قليلون والمصلحة ان يلاقوهم فقوى عزم التتار على ملاقاة البرلي فسار صدعون (١) بطايفه ممن كانوا على الموصل عدتهـــم عشره الاف • وقصد سنجار وبها الامير شمس الدين البرلي ومعه تسعماية فارس واربعماية من التركمان وماية من العرب فخرج اليهم والتقاهم يوم الاحد رابع عشر جمادى الاخره فكانت الكسرة عليه فانهزم جريحا وقتل من كان معه من الامراء وغيرهم • ووصل الى البيره فأرسل اليه هولاكو يطلبه اليه ليقطعه بلاد فأرسل لطلب الاذن من الملك الظاهر في دخوله الـى الشام فأذن فخرج من البيره في تاسع عشر شهر رمضان • ودخل الى الديار المصرية في العشر الاول من ذى القعدة فأنعم عليه الملك الظاهر بالمال والخلع واعطاه امرة سبعـين فارس•

واما صدعون (١) فانه رجع الى الموصل وداوم عليها الحصار • ثم ارسل يقول للملك الصالح ان لم تسلمها والا لاتلوم الا نفسك اذا دخلناها بالسيف فجمع امـراء وشاورهم • فأشاروا عليه بالخروج فخرج اليهم يوم الجمعة خامس عشر شعبان بعد الصلوة • فلما وصل اليهم احتاطوا عليه وعلى من معه ونادوا في اهل البلد بالامان • فظهر النـاس

١) كذا في الاصل • وهو صندغون في راى الدكتور زيادة في السلوك للمقريزى (ص ٤٦٧) ملحوظة ٤

وشرع التتار في خرب الاسوار • فلما اطمأن الناس وباعوا واشتروا دخل التتار البلد ووضعوا السيف فيهم سبعة ايام • ووسطوا علا الدين ابن الملك الصالح وعلقوه على باب السجن ثم دخلوا وقتلوا الملك الصالح اسماعيل وهم متوجهين الى هولاكوا •

وتولى نيابة حلب بعد البرلي الامير عز الدين ايدمر الشهابي • وعاد عسكر سيس من انطاكيه على الفوعه من بلاد حلب فنهبوا وافسدوا فخرج اليهم الامير عز الدين الشهابي نايب حلب فكسرهم واخذ منهم جماعة وارسلهم الى مصر فوسطوا بها وقيل غير ذلك •

(٨و) ذكر وفاة من توفي من الاعيان في هذه السنة وبعض اخبارهم •

احمد بن الحسين بن الحسن بن ابراهيم بن سنان بن موسى بن حسن بن بشر بن ابراهيم الجذامي الداري الخليلي الاصل المصري يكنى ابا العباس ولد في سنة ثمان وثمانين وخمسماية وتوفي بمصر في يوم الخميس تاسع شهر ربيع الاخر من هذه السنة سنة ستين وستمايه ودفن بسفح المقطم •

عبد العزيز بن عبد السلام بن ابى القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي يكنى ابا محمد ويلقب عز الدين حضر ابا الحسين احمد الموازيني الخشوعي وسمع عبد اللطيف بن اسماعيل الصوفي والقسم بن عساكر وابن طبرزد وحنبل المكبر وابن الحرستاني وغيرهم وخرج له الدمياطي اربعين حديثا عوالى وروى عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والدمياطي وابو الحسين اليونيني وغيرهم وتفقه على الامام فخر الدين ابن عساكر وقرأ الاصول والعربيه ودرس وافتى وصنف وبرع في المذهب وبلغ رتبه الاجتهاد وقصدته الطلبه من البلاد وتخرج به ايمه وله الفتاوى السديده ومن مصنفاته "القواعد الكبرى والقواعد الصغرى" • واختصر "نهاية المطلب" • وله "مقاصد الرعايه" وكان يكتب خطا حسنا • وكان مع امامته وعلمه ناسكا ورعا امارا بالمعروف وينهيا عن المنكر ولا يخاف في الله لومة لايم • وولي خطابة جامع دمشق بعد الدولعي فلما تملك الملك الصالح عماد الدين اسماعيل دمشق واعطى الفرنج

صفد والشقيف نال الشيخ ابن عبد السلام منه على المنبر وترك الدعاء له فعزله عن الخطابة وحبسه ثم اطلقه فنزح الى مصر فلما (٨ق) قدمها تلقاه الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الديار المصرية وبالغ في احترامه واتفق موت قاضي القضاة شرف الدين ابن عين الدولة فولى قاضي القضاة بدر الدين السنجاري قضاء القاهرة والوجه البحرى وولي عز الدين ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلي مع خطابة جامع مصر • ثم ان بعض غلمان وزير الملك الصالح وهو معين الدين الشيخ بنا بنيانا على سطح مسجد بمصر وجعل فيه طبلخاناه معين الدين فأنكر قاضي القضاة عز الدين ذلك ومضى لجماعته وهدم البنيان وعلم ان السلطان والوزير يغضبان فاشهد عليه باسقاط عدالة الوزير وعزل نفسه عن القضاء فعظم ذلك على السلطان الملك الصالح وقيل له اعزله عن الخطابة والا شنع عليك علي المنبر كما فعل في دمشق فعزله فأقام ببيته يشغل الناس وفيه يقول الشيخ جمال الدين ابو الحسين الجزار ••••••

سار عبد العزيز في الحكم سيرا لم يسره سوى ابن عبد العزيز

عمنا حكمه بعدل بسيط شامل للورى ولفظ وجيز

وكان قاضي القضاة عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله تعالى مع شدته حسن المحاضرة بالنادرة والشعر • ويقال انه لما حضر بيعة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي قال له • يا ركن الدين انا اعرفك مملوك البندقدار فما بايعه حتى جاء من شهد له بالخروج عن رقه الى الملك الصالح نجم الدين ايوب وعتقه • ولد في سنة سبع او ثمان وسبعين وخمسماية • ولما مرض مرض موته قيل له ان السلطان الملك الظاهر يقول لك عين مناصبك لمن تريد من اولادك فقال ما فيهم من يصلح • وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضي تاج الدين ففوضت اليه بعده • وتوفي في يوم الاحد عاشر (٩ و) جمادى الاول من هذه السنة سنة ستين وشهد الملك الظاهر جنازته والخلايق •

عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسين بن عساكر الدمشقي توفي بمكـــة المشرفة في يوم الاثنين حادي عشر جمادى الاول من هذه السنة •

عمر بن قاضي القضاة نجم الدين ابي الحسن احمد بن هبة الله بن محمد هبـة الله بن احمد بن يحيى بن زهير بن هرون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن ابي جـرادة الحلبي الاصل المصري الوفاة يلقب كمال الدين ويعرف بابن العديم الفقيه الحنفي المذهب كان واحد عصره اصلا وفضلا وبلاغة ونبلا جليل القدر كثير العلوم والوقار اوحد في الكتابـــة صنف تاريخا لحلب سماه " بغية الطلب في تاريخ حلب " وله نظم رايق (١) وشعر رايق • وولي الوزارة وكان سفيرا للخلافة المعظمة في الامور المفخمة • وكان من فضيلته وعلو رتبته ومنزلته كثير التواضع يلتقط الناس من فرايده ويقتبسون من فوايده • ارسله الملـــك الناصر صلاح الدين يوسف الايوبي صاحب حلب الى الديوان العزيز ببغداد رسولا مرارا • وكلما قدم الى بغداد طلع موكب الخليفة لتلقيه وحضر الى باب الخلافة لتقبيل العتبــة على جاري عادة الرسل فخرجت اليه سجادة وامر ان يصلي ركعتين شكرا لما حصل لــه من الرفعة وامر الخليفة برفع ذكره ثم خرج له امر الخليفة : نحن نعظم الرسل لاجل مرسلها ونحن الان نعظم مرسلك لاجلك " • ومـــن شعر الصاحب كمال الدين المذكـــور قوله حين وصل الى الديار المصرية وحمل اليه الشيخ ايدمر مولى محي الدين وزير الجزيرة المسمى (٢) فيما بعد بابراهيم الصوفي ديوان شعره ليطالعه (٩ ى) فتصفحه وطالعه وكتب عليه من نظمـــه ••••••

وكنت اظن الترك تختص اعينـــا (٣) لهـم ان رنت بالسحر منها واجفـــان
الى ان اتانـــي من بديع قريضهم قوافي هي السحر الحلال وديـــوان
فايقنت ان السحر اجمعــه لهـــم يقرلهم هاروت فيه وسحبــــان

---

١) بغير تنقيط اصلا •
٢) في الاصل " المسمي "
٣) الصوب " اعــين "

ولـه .....

قلبي وطرفي منـزلاه لانــــه   قمـر وتلـك منـازل الاقمــــار
ياســاكن الجفـن القريح وليته   يرعـى لجارى الدمع حق الجـــا ر

ولـد في العشر الاول من ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسماية بحلب وتوفي في العشرين من جمادى الاول من هذه السنة بظاهر مصر ودفن في يومه بسفح المقطم .

• محمد بن احمد بن ابراهيم بن سراقه الشاطبي الاندلسي المحدث روى لاحمد بن صابر او لغيـره ......

هجرتـم وقلتـم بـراه الضـنى   فغيـــرتموني وعيـــرتمونــي
وجرتـم وقلتـم اقـم او نســـر   فحيـرتمونـي وخيـرتمونـــي

توفـى هذه السـنة .

محمد بن سليمان بن ابي الفضل بن ابي الفتوح بن يوسف بن يونس الانصاري الصقلي الاصل الدمشــقي وفـاة . يكنى ابا عبد الله الدلال كـان شخصا صالحا راويا للحديث عنه رواية عالية . روى عن ابي الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن الحـراني وغيره . ولدليلـة الفطر سـنة ثلاث وسـبعين وخمسماية . وتوفـي في صفـر سـنة ستين هذه السـنة بدمشـق .

---

٦٦١ هـ (١٥ ت ٢ ١٢٦٢ - ٤ ت ٢ ١٢٦٣)

(١٠ و) ذكر الحوادث في سنة احدى وستين وستماية

ذكر البيعة للامام الحاكم بامر الله احمد العباسي ثاني خلفاء بني العباس واول من اقام بها (١) منهم .

كنـا قدمنا في السنة الماضية ان عسكر التتار التقوا مع الخليفة المستنصر بالله العباسي وهزموا من معه . وممن نجا من الوقعة الامير احمد بن ابي علي بن علي بن ابي بكر بن امير المؤمنين المسترشد بالله العباسي . فلما وصل الى القاهره التقاه الملك الظاهـر ركن الدين بيبرس الصالحي واكرمه وقدمه . وانزله في البرج الكبير داخل القلعة بقلعـة الجبل المحروسة . وادر عليه النفقات . وكذلك جميع من معه . ثم ان السلطان امـر بعمل نسبة الامام احمد المذكور الى النبي صلى الله عليه وسلم وثبت نسبه على قاضـي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعـز .

فلمـا كان يوم الخميس ثاني شهر الله المحرم من هذه السنة سنة احدى وستين وستماية جلس السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مجلسا عاما فيه جميع الناس وجماعة التتـار الوافدين من العراق ورسل السلطان المتوجهون الى الملك بركه الذين جهزهم ليسافـروا اليه كما سنذكره ان شاء الله تعالى . واحضر الامير احمد العباسي راكبا الى الايـوان الكبير بقلعة الجبل المحروس وبسط له الى جانب السلطان وقرئ شجرة نسب الخليفة بيـن يديه على الناس . قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهـر ماصيغتـه : حضر الامام الحاكم سلام الله عليه راكبا الى الايوان الكبير بقلعة الجبـل

---

١) يقصـد القاهـره .

المحروس وبسط له الى جانب السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه الشريف وامر السلطان بعمل شجرة نسب له فعملتها وقرأتها بين يديه على الناس " . ورأيت بخط صاحبنا الامير صارم الدين محمد ابراهيم الشهير بأبن دقماق ماصيغته : في ثامن محرم عقد مجلس عظيم لعقد البيعة للامام الحاكم بأمر الله فأحضر ابو العباس احمد بن الامير محمد بن الحسن بن ابي بكر بن الحسن بي علي القبي (١) بن الحسن بن امير المؤمنين الراشد بالله . وقيل كان ذلك في يوم الخميس تاسع المحرم الشهر المذكور وحضر الصاحب بهاء الدين وولده فخر الدين وقاضي القضاة تاج الدين واعيان الامراء وارباب الدولة وقرى نسب الخليفة على قاضي القضاة وشهد به عنده فلما اثبته مد يده فبايعه " . وبعد ذلك اقبل السلطان الملك الظاهر عليه وبايعه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد اعداء الله واخذ اموال الله بحقها وصرفها في مستحقها والوفاء بالعهود واقامة الحدود وما يجب على الايمه فعله في امور الدين وحراسه (١٠ ق) المسلمين ، وعند ذلك تلقب بالحاكم بامر الله . واقبل على السلطان وقلده امور البلاد والعباد ووكل اليه تدبير الخلق وجعله قسيمه في القيام بالحق وفوض اليه ساير الامور وعدق به صلاح الجمهور . ثم اخذ الناس على اختلاف طبقاتهم في مبايعته فلم يبق ملك ولا امير ولا وزير ولا قاضي ولا مشير ولا جندى ولا فقيه الا وبايعه . وتمت هذه البيعة المباركة وحصل الحديث معه في انفاذ الرسل الى الملك بركه فوافق على ذلك وانفصل المجلس .

---

١) في الاصل غير واضحة . راجع السيوطي "الخلفاء" تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، (ص ٤٧٨) .

ولما كان يوم الجمعة ثاني هذا اليوم اجتمع الناس وحضر الرسل الذين جهزهم الملك الظاهر الى الملك بركه وخطب الخليفة بالجامع وصلى بالناس وهذه الخطبة المباركة :
الحمد لله الذى اقام لآل العباس ركنا وظهيرا . وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا احمده على السراء والضراء واستنصره على دفع الاعداء واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وايمة الاقتداء الاربعة الخلفاء وعلى العباس عمه وكاشف غمه . ابي السادة الخلفاء الراشدين والايمة المهديين (١) وعلى بقية الصحابة والتابعين لهم بأحسان الى يوم الدين . ايها الناس اعلموا ان الامامة فرض من فروض الاسلام والجهاد محتوم على جميع الانام . ولا يقوم علم الجهاد الا باجتماع كلمة العباد منها . ولا سبيت الحرم الا بانتهاك المحارم . ولا سفكت الدماء الا بارتكاب المآثم . فلو شاهدتم اعداء الاسلام حين دخلوا دار السلام واستباحوا الدماء والاموال وقتلوا الرجال والابطال والاطفال . وهتكوا حرم الخليفه والحريم واذاقوا (١١و) من استبقوا العذاب الاليم . فارتفعت الاصوات بالبكاء والعويل وعلت الصيحات من هول ذلك اليوم الطويل . فكم من شيخ خضبت شيبته بدمايه . وكم طفل بكى فلم يرحم لبكائه فشمروا عن ساق الاجتهاد في احياء فرض الجهاد واتقوا الله ما استطعتم . واسمعوا واطيعوا وابتغوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . فلم تبق معذرة عن القعود عن اعداء الدين والمحاماة عن المسلمين . وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الاجل العالم العادل المجاهد المرابط ركن الدنيا والدين قد قام بنصر الامامة عند قلة الانصار .

---

١) " المهذبين " في ابن عبد الظاهر (ص٦٢) .

وشرد جيوش الكفر بعد ان جاسوا خلال الديار · فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود والدولة العباسية به متكاثرة الجنود · فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة واخلصوا نياتكم تنصروا وقاتلوا اولياء الشيطان تظفروا ولا يروعنكم ماجرى فالحرب سجال والعاقبة للمتقين والدهر يومان والاخرى للمؤمنين جمع الله على التقوى امركم · واعز بالايمان نصركم · واستغفر الله العظيم لي ولكم ولساير المسلمين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم ·

الخطبة الثانية : الحمد لله حمدا يقوم بشكر نعمايه واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له عدة عند لقايه · واشهد ان محمدا سيد رسله وانبيايه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عدد ماخلق في ارضه وسمايه اوصيكم عباد الله بتقوى الله ان احسن ماوعظ به الانسان كلام الملك الديان "يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم · فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله (١١ ق) والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا (١) نفعنا الله واياكم بكتابه واجزل لنا ولكم من ثوابه وغفر لي ولكم وللمسلمين اجمعين والحمد لله رب العالمين ·

وخطب للخليفة في هذا اليوم على المنابر بجميع الجوامع وبدمشق في سادس عشر المحرم الشهر المذكور ·

وكتب بدعوته الى الافاق وتحلل بذكرها الرفاق وكتب الله للسلطان هذه الحسنة التي يجدها يوم ينفد كل شيء وما عند الله باق والله اعلم ·

---

١) سورة النساء / ٤ آية ٥٨ ·

ذكر ارسال الرسل الى الملك بركه

لما وصلت جماعة التتار الذين وصلوا اولا الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي كما قدمنا شرحه واستطلع منهم الحال وعرف احوال الملك بركه ومقامه والطريق اليه جهز الفقيه مجد الدين والامير سيف الدين كشرتث (١) . وكتب على ايديهم الكتب بأحوال الاسلام ومبايعة الخليفه الحاكم بامر الله عليه السلام . وامر بعمل نسبته الطاهره الى النبي صلى الله عليه وسلم فكتبت واذهبت وسيرها الى الملك بركه وسير ثبوت نسبه مسجولا على قاضي القضاة تاج الدين . ولما تجهزت هذه الكتب احضر الملك الظاهر الامراء والفارده وغيرهم وقرأ الكتب على الجميع واستشارهم في ذلك فاستصوبوا رأيه . وسير صحبة الرسل نفرين من التتار المذكورين من غلمان الملك واصحابه وممن يعرف البلاد . وكتب على ايديهم كتابا فيه شيء عظيم من الاستمالة والحث على الجهاد ووصف العساكر الاسلامية وكثرتهم وعدة اجناسهم ومن فيها من خيل وتركمان وعشاير اكراد وقبايل عربان ومن اطاعهما من الملوك الاسلامية والفرنجية ومن خالفهما ووافقها ومن هاداها وهادنها . وان جميعها في طاعته وسامعه لاشارته الى غير ذلك من الاغراء بهلاوون خزاه الله وتهوين امره والاستيلاء (٢) عليه وتقبيح (١٢و) الغفلة عنه وافهامها ان كلما يفعله عناد له ويعلم بوصول جماعه التتار الذين وصلوا وادعوا انهم من اصحابه وان الاحسان اليهم انما هو من اجله . ولما جهزهم السلطان وركبهم في "الجرايد" اعطاهم زوادة شهور كثيرة . ولما بويع الخليفه الحاكم بأمر الله بحضورهم وحضروا خطبته المباركة واجتمعوا به حملهم السلطان من المشافهة مافيه

---

١) ملحوظة ٢ (ص١٣) اعلاه .
٢) بدون نقاط اصلا .

صلاح الاسلام وعرف الرسل من التتر اصحابهم التتار احوال عساكر السلطان وكثرتها وما هو بصدده من جهاد واستخدام وما يبذله من نصرة الدين وقتال الاعداء المشركين وانه محب في الملك بركه وداع له بالنصر على الاعداء وموافق له على مافيه صلاح العالم •

وتوجه الرسل من الديار المصرية في المحرم من هذه السنة سنة احدى وستين ووصلوا بلاد الاشكرى فأحسن اليهم • وصادف وصولهم رسل الملك بركة الى الملك الاشكرى فسيرهم صحبتهم • ورجع الفقيه مجد الدين لمرض حصل له صحبة رسل الملك بركه الامير جلال الدين والشيخ نور الدين علي وسافر الامير سيف الدين كشرتنت (١) ورفقته • ووصلت كتب الملك الاشكرى بان رسل السلطان الملك الظاهر وصلوا اليه وانه جهزهم وتوجهوا سالمين وربما وصلوا الى جهة الملك بركة صحبة رسله خدمه للسلطان والله اعلم •

ذكر تفويض نيابة دمشق الى الامير جمال الدين النجيبي

لما تسلم الامير علاء الدين ادغدى الحاج الركني تدبير دمشق بعد القبض على الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى كما قدمنا شرحه اختار السلطان الملك الظاهر الامير جمال الدين اقوش النجيبي الصالحي وعينه لنيابة السلطنة بها • وتقدم الصاحب عز الدين بن عبد العزيز بن وداعة (١٢ ق) وزير الشام • وكان قد جرت بينه وبين الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى مفاوضات اوجبت حضوره الى مصر صحبه الركاب الشريف بالعود الى وزارته ومباشرة ماهو معدوق به • وكتب على ايديهما تذكرة تشتمل على كل شيء من الكليات والجزئيات واحوال الحصون وذخايرها يستعين من يتولى من الامور بالنظر فيها والاستمداد منها وفيها من الامور الملوكية والاسباب الدينية واحوال الاموال وعرض الرجال

---

١) راجع ملحوظة ٢ ص ١٣ اعلاه •

مالو كتب بمفرده لكان كتابا ينتفع به في تدبير الملك . وخلع السلطان الملك الظاهر عليهما واعطاهما الا قطاعات في الشام وتوجها في هذه السنة والله اعلم .

ذكر مسير الملك الظاهر الى جهة الطور ونزوله عليها

في شهر ربيع الاول من هذه السنة سنة احدى وستين وستمائة عزم السلطان الملك الظاهر على التوجه الى الشام . فتجهز الناس وخرج من قلعته في سابع شهر ربيع الاول . واقام على باب القاهره مخيما الى حين تجهز الناس . وسافر في حادى عشر الشهر المذكور فوصل الى محروسة غزه وهو يديم الصيد في الطريق . وضرب حلقة بالعريش بثلاثة الاف فارس كلهم خواصه . وكان في هذه الحلقه من الصيد شيء كثير . وتقنطر الامير شمس الدين سنقر الرومي فساق السلطان اليه ونزل عنده وجعل راسه على ركبته واخرج من خريطته موميا فسقاه وسار به الى خيمته . وكذلك الامير سيف الدين قلاون الالفي تقنطر ايضا . فاعتمد السلطان معه هذا الاعتماد .

ووصل الى غزه فوجد فيها والدة الملك المغيث صاحب الكرك . فاقبل عليها واكرمها واحسن اليها وانعم عليها واعطاها شيئا كثيرا وحصل الحديث في حضور ولدها . وتقررت الامور على مالم يعلمه احد . واعاد عليها العطاء والانعام وعلى كل من حضر معها حتى انه حمل في جمله ذلك من الصيد (١٣ و) خمسة عشر حملا وردها الى الكرك ، وتوجه صحبتها الامير شرف الدين الجاكي المهمندار برسم الاقامات وتجهيزها للملك المغيث اذا حضر . وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

ونظر السلطان الملك الظاهر في امر امراء التركمان وخلع عليهم واحضر امراء العايد وجرم وثعلبه وضمنهم البلاد والزمهم بالعدد وشرط عليهم البريد واحضار الخيل برسمه . ورأى اعمال الحيله البعيدة المرامي في امر العدو المخذول وكتب الى ملك

شيراز وملك اللور والي حفاجه يستجيشهم على هولاكوا ملك التتار ويعرفهم بما وصلت به الاخبار من جهة الروم في البر والبحر من كسر الملك بركه له مرة بعد مرة ٠

وسار من غزة فنزل الطور في ثاني عشر جمادى الاول (١) وسير الملك الاشرف صاحب حمص يلتمس الاذن له في الحضور الى الخدمة فأذن له فحضر في نصف الشهر فتلقاه السلطان واحسن اليه وسير اليه سبعين غزالا جملة واحدة وقال صيد هذا اليوم جعلته لك والله اعلم ٠

ذكر احوال الكرك من ابتداء امره الى هذه السنة والقبض على الملك المغيث صاحب الكرك ٠

قال القاضي الامام الرئيس الاوحد العالم عز الدين محمد بن علي بن شداد الحلبي في تأليفه " كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة " : ومما هو مستحدث ذكره في كورة الجبال من البلاد الكرك والشوبك، فاما الكرك فهو في عصرنا حصن منيع ومعقل حصين وله ربض عليه سور وهو وربضه على جبل وبين الربض والقلعة خندق عميق نحو ستين ذراعا ويدخل الى فضاء الحصن من حنية منحوتة في الجبل طويله عليها بابه وحراسه ٠ قال ولما لم اجد له ذكرا فيما طالعته من كتب التواريخ الموضوعة في صدر الاسلام ولا في الكتب المصنفة في المسالك والممالك لم ازل (١٣ ق) ابحث عنه الى ان اخبرني ثقة اعتمد عليه انه كان ديرا للنصارى ٠ وكانت العرب تخطف من فيه من الرهبان مقيم فشيد الرهبان بناءه وحصنوه ولم يزل ذلك دأبهم في توسعته وتحصينه الى ان صار حصنا واستدعوا اليه طايفة من الفرنج المجاورين لهم ٠٠٠٠٠٠ (٢) فيه عندهم يتقوون بهم على من يقصد اذا هم فزاده الفرنج تحصينا واقاموا فيه حاكما ورتبوا له جندا وجعلوا يشنون منه الغارات على ماداناهم من القرى والضياع الى ان اجلوا

---

١) ابن الفرات يستعمل جمادى مونثا هنا على غير عادته ٠

٢) كلمة غير مقروءة ٠

عنها كثيرا من اهلها واستولوا عليها وصيروها له عملا لتحميه سيوفهم ٠٠٠٠(١) ايديهم الى ان ملكه البرنس ارناط صاحب انطاكيه وسبب ملكه له انه لما تخلص من اسر السلطان (٢) وراه بن محمود بعد موته تزوج ووجد صاحب الكرك بحكم ان زوجها مات فملكه ٠ وكان نور الدين قد قصده في سنة خمس وستين وخمسماية فقصدته الفرنج في جموع كثيرة فرحل عنه ثم قصده مرة اخرى في سنة ثماني وستين وخمسماية وحاصره ثم رحل عنه لسبب ومات ولم يظفر منه بغرض ٠

ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف قصده في سنة سبع وسبعين وخمسماية قصده عز الدين فرخشاه نايب الملك الناصر صلاح الدين على دمشق والملك العادل من مصر ٠ وسبب ذلك ان البرنس ارناط صاحب الكرك كان من شياطين الانس واشدهم عداوة للمسلمين فجمع عسكرا وعزم على المسير الى ٠٠٠(٣) ومنها الى المدينة المعظمة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ليستولي على تلك البلاد ٠ فسمع الامير عز الدين بذلك فجمع العساكر (٥) الدمشقية وسار الى بلده فنهبها ٠ فلما بلغ ارناط ذلك علم (٦) ان المسلمين لا يعودون

---

١) كلمة غير مقروءة ٠
٢) كلمة مطموسة ٠
٣) كلمة غير مفهومة ٠
٤) في الاصل "وسـ ٠٠٠٠" ٠
٥) غير ظاهر الا "العـ ٠٠٠٠٠" ٠
٦) في الاصل "ع ٠٠٠٠٠٠٠" ٠

الى بلادهم حتى يفرق جموعه ففرقها وانقطع طمعه عما قصده فعاد عز الديـــن الى دمشق • وغزاه (١٤ و) السلطان صلاح الدين بنفسه في سنة تسع وسبعين وخمسماية فملك ربضه وتسلط على حصاره ونصب عليه المجانيق فلم ينل منه طايلا• ورحل عنه في منتصف شعبان• ثم غزاه في شهر ربيع الاخر سنة ثمانين وخمسماية فنصب المجانيق على ربضه واشتد عليه القتال حتى ملك وبقي الخندق (١) وامـر صلاح الدين بالقاء الاحجار في المجانيق ليطمه ولم يجسر احد على الدنو منه لكثرة الرمي بالنشاب واحجار المجانيق فأرسل من فيه الى الفرنج يستنجدونهم (٢) فساروا اليهم •••• (٣) فلما بلغ الملك الناصر رحل عنه وسار الى نابلس فنهبها واخربها وحرقها ثم ان اللعين البرنس طلب الموادعة والمهادنة من السلطان صلاح الديـــن فأجابه ولم يف وذلك انه •••• (٤) بالسويك قفل من الديار المصرية في حالـــة المهادنة لينزلوا عنده بالامان فغدر بهم وقتلهم فنذر صلاح الدين نفسه (٥) انـــه متى ظفر به قتله •

فلما كانت سنة ثلاث وثمانين وستماية (٦) جمع الجموع من الموصل (٧) وديار بكر والجزيرة واربل وبلاد الترك وبلاد الشام • وسير •• (٨) على الكرك فحصره وضيـق عليه ثم بلغه ان الفرنج جمعت لدفعه عن الكرك فرحل وترك عليه اخاه الملك العادل في عسكر والتقى السلطان صلاح الدين بالفرنج على حطين وكانت الوقعه التي اسـرت فيها اسرهم وثلت عروشهم وزعزعت اسرتهم • ولم يزل حصن الكرك محاصرا الى ان فتحـه الله تعالى في شهر رمضان سنة اربع وثمانين من نايب البرنـــس ارناط بالامان بعد

١) الكلمة في الاصل غير واضحة •
٢) في الاصل بدون نقط •
٣) كلمات غير مفهومة •
٤) كلمة غير واضحة •
٥) كلمة مطموسة •
٦) يجب ان تكون خمسماية •
٧) غير واضحة في الاصل •
٨) غير واضحة في الاصل •

ان حوصر سنة ونصفا ٠ واعطاه لاخيه الملك العادل واخذ منه عسقلان ٠ وكان البرنس قد اخذه الملك الناصر في وقعه حطين اسيرا فوفى بقتله نذره ٠ وكان ذلك على الله يسيرا ٠

ولم يزل في يد نواب الملك العادل الى سنة خمس عشرة وستماية (٤١ ق) وقبل وفاته بمدة يسيره سلمه لولده الملك المعظم عيسى بجميع ما فيه من الخزاين والذخاير فزاد في عمارته وتحصينه ونقل اليه ارباب الصناعات حتى جعله مدينة لا تحتاج الى غيره ونصب في قراه الاشجار واجرى خلالها العيون ٠ ولم يزل في يده الى ان توفي سلخ ذى القعدة سنة اربع وعشرين وستماية ٠ وانتقل الى ولده الملك الناصر داود ولم يزل في يده الى ان خرج عنه ووفد الى حلب مستغيثا بالملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد على الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب مصر فانه كان قد سير الى الحصن الامير فخر الدين بن الشيخ فحاصره وضايقه حتى قلت به الاقوات فخرج عنه لهذا السبب في شهر ربيع الاول سنة سبع واربعين وستماية وترك به اولاده وجعل ولاية عهده فيه لولده الملك الامجد فراسله الملك الصالح وقرر معه انه متى سلم اليه الحصن عوضه عنه خمسين الف دينار واقطاعا بمصر ٠ فاجابه الى ذلك وسير اليه الملك الصالح جمال الدين اقوش النجيبي مملوكه وبعث معه بدر الدين الصوابي وفوض اليه الحكم فيه ٠ وولى كمال الدين ابن شكر النظر فيه وفي اعماله ٠ وحمل اليه خزانة مقدارها الف دينار ومايتي الف دينار ٠ وولى الربض لرجل يسمى الهمام ٠ ولم يزل في يده الى ان توفي في سنة سبع واربعين وملك بعده ولده الملك المعظم ٠ ولما قتل في المحرم سنة ثمان واربعين وستماية وملك دمشق الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب بعث بدر الدين الصوابي الى قلعة الشوبك من احضر الملك المغيث عمر بن الملك العادل زين الدين ابي بكر بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن نجم الدين ايوب

في خفية • وكان الملك الصالح نجم الدين ايوب قد حبسه (١٥ و) بها فدخل به الكرك ثالث عشر شهر ربيع الاول سنة ثمان واربعين وستماية واخفاه • ثم ان رسولا من الملك الناصر صاحب دمشق وصل من دمشق يطلب من بدر الدين تسليم الكرك فأنزله واكرمه وبعث الى من معه في الحصن من سيحفظه • وعرفهم انه لا ينبغي ان يخرج الحصن عن احد من اولاد الملك الكامل فانهم مواليه واريد منكم الموافقة على ما اردت • فأجابوه الى ما اراد • فأمر باحضار الملك المغيث فحضر وحلفهم له وملكه الكرك • ثم استدعى الرسول وقال له هذا صاحب الحصن فتحدث معه • فالتفت اليه وبلغه الرسالة فأجابه بكلام كان قد قرر معه بعد ان قام وقبل الارض مضمونه • اني كنت في الحبس وقد من الله باطلاقي وليس لي ولا لمن بقي من اهلي موضع يلجؤون اليه ويعتمدون في النفع عليه والسلطان اعز الله نصره اذا اخذ هذا الحصن لا بد له نايب والمملوك نايبه فيه لا اصدر ولا ارد الا عن رأيه ومراسمه • فلم يعارضه الملك الناصر وقبل هذا القول منه وذلك في العشر الاواخر من جمادى الاول • ولما صار في يده من غير منازع له فيه ملك بلد الشوبك • وبقي الحصن في يده الى ان استولت التتار على دمشق في سنة ثمان وخمسين وستماية فانضوى اليهم وصيروا معه نايبا في الحصن • ثم كانت هزيمة التتار على عين جالوت في شهر رمضان من سنة ثمان • وتولى الملك المظفر قطز على بلاد الشام فكاتبه الملك المغيث في ابقايه على ما في يده فأجابه الى ان يبقى معه الكرك لا غير • وحل عنه ما كان الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب دمشق اضاف اليه من النواحي وهي الصلت والخليل والبلقا • ثم قتل الملك المظفر قطز في بقيه السنة وملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي (١٥ ق) البلاد فحمل الملك المغيث الحسد على ان كتب الى التتار عدة كتب ووصلته الاجوبة على يد رسول منهم فخاف ان ينم عليه ذلك فسيره تحت الحوطه الى ابواب السلطان

بالقاهرة · فما زال السلطان يتحيل على الرسول ويبسط امله الى ان اعترف له لما كاتب به الملك المغيث الى هولاكو ملك التتر من حثه على النهوض الى بلاد الشام ثم ردف ذلك بأن كتبه وصلت الى الشهرزورية الذين كانوا تحت حرم السلطان الملك الظاهر بالقاهرة بأفسادهم · فتوجه اليه يعقوب بن بدل واعمامه واهله · ووصلت العرب القصاد الذين تقلوا من عند هولاكو الى السلطان فأوقف السلطان الفقهاء على الكتب واخذ فتاويهم بأن قتاله يتعين ·

وبرز من القاهرة، ووصل الى غزه فوصلت اليه عليها ام الملك المغيث وقيل وجد فيها ام الملك المغيث وفعل ما قدمنا شرحه · وسار الى الطور فنزل عليها يوم الاثنين حادى عشر وقيل ثاني عشر جمادى الاول من سنة احدى وستين وستماية هذه السنة كما قدمنا شرحه وكاتب الملك الظاهر الملك المغيث بالحضور اليه فسوف ووعد بالحضور وصارت رسله تتوالى الى السلطان وهو يعطيهم وينعم عليهم · وخرج الملك المغيث من الكرك بعد مدافعه كثيرة واقام مدة في الطريق · واظهر السلطان من الاحتفال شيئا كبيرا وخدعه اعظم خديعه واتى بيوت الخداع من ابوابها وكتم امره عن كل احد··· ولم يستشر في امره غير نفسه ولم يرض الا قائم السيف صاحبا ·

وقيل نزل الملك المغيث من الكرك وجماعة من اصحابه في خدمته منهم ابن مزهر وكان ناظر خزانة المغيث · قال ابن مزهر · وشرعت البريدية تقبل الى الملك المغيث كل يوم بمكاتبات الملك الظاهر ويرسل صحبتهم الغزلان ونحوها والملك المغيث يخلع عليهم حتى نفد ماكان بخزانته من الخلع · ومن جملة ماكتب اليه في بعض المكاتبات الملوكية ينشد في قدوم مولانا ·

خليلي هل ابصرتما او سمعتما   بأكرم من مولى تمشى الى عبد

فلما وقف الملك المغيث على هذه المكاتبة سار لوقته ·

ولما وصل الملك المغيث الى بيسان وكان ابن مزهر قد حذره من الملك الظاهر فلم يسمع منه ركب الملك الظاهر لتلقيه يوم السبت سابع وقيل سادس عشرى جمادى الاول (١٦ و) من هذه السنة وسار في احسن زى• فالتقى الملك المغيث فلما شاهد الملك المغيث الملك الظاهر ترجل فمنعه الملك الظاهر من ذلك واركبه وساق الى جانب السلطان • ولماوصل الى باب الدهليز ترجل الى الخيمه المتصورة • ودخل به الى خركاه وقبض عليه وعلى اصحابه • وشفى السلطان غيظه •

وكان السلطان الملك الظاهر قد استدعى قبل ذلك قاضي القضاة بدمشق ••• (١) واظهر ان ذلك لملك ولمبايعه • ولم يطلع احد على غير ذلك • فلما وقعت الحوطه على الملك المغيث احضر السلطان الملوك والامراء والقاضي والشهود والاجناد ورسل الفرنجيه والملك المغيث واخرج كتبه الى التتار وكتبا من جهة العدو المخذول اليه والفتاوى واحضر القصاد الذين كانوا يسفرون بينه وبين هولاكوا ملك التتار وقال الامير اتابك الملك الظاهر: السلطان يسلم عليكم ويقول ما اخذت الملك المغيث الا بهذا السبب• وقرئت هذه الكتب على الناس فعذره من لم يكن يعرف الباطن في قبضه عليه • وانصرف الملك الاشرف صاحب حمص والجماعة كلهم • وقال السلطان للقاضي ولجماعة العلماء : ما طلبتكم الا بهذا السبب• وكتب مكتوب بصورة الحال وكتب فيه القاضي والجماعة • ثم جهز الملك الاشرف وركب السلطان لوداعه •

وفي اليوم الذي قبض فيه على الملك المغيث جلس الملك الظاهر بعد انقضاء المجلس وامر بالكتب الى الكرك بعد من فيها بالاحسان ويحذرهم عواقب الطغيان وسير الامير بدر الدين بيسرى الشمسي والامير عز الدين الظاهرى استاد الدار العاليه الى جهة الكرك وجهز الخلع والاموال ليلحقها بها• وجهز الملك المغيث عشيه الى الديار المصرية صحبة الامير شمس الدين آقسنقر السلحدار الفارقاني استادالدار فوصل به الى

---

١) كلمة غير واضحة •

قلعة الجهل بالديار المصرية فحبسه فيها · واطلق السلطان اهله وحاشيته (١٦ ق)
وسير حريمه الى مصر واطلق لهم الرواتب · وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالى ·

ذكر الامور التي اوجبت انحراف الملك الظاهر عن الفرنج
خذلهم الله تعالى وماجرى بينه وبين رسلهم من الخطاب
وانفصالهم عن غير رضى الى عكا ·

كنا قدمنا حديث الصلح مع الفرنج خذلهم الله تعالى · ولما راوا احسان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي شرعوا يحيدون عن الحق ويطلبون زرعين والسلطان يجاوبهم بأنكم اخذتم عوضها في الايام الناصرية ضياع من مرج عيون وقايضتم صاحب تبنين · وصارت كتبهم ترد الى السلطان بان سلوحا سرقونا من جهة الاطرون وتارة من جهة بانياس والسلطان يأمر برد كلامهم · ووصلت كتب نواب الشام يشكون منهم وانهم اعتمدوا امورا تفسخ الهدنة · ولما سار السلطان من الديار المصرية الى الشام كما قدمنا شرحه وصار في وسط بلادهم ورد رسول منهم يهنونه بالسلامة ويقولون ماعرفنا بوصول السلطان فكان الجواب :
ان من يريد يتولى امرا ينبغي ان يكون فيه يقظه ومن خفي عنه خروج هذه العساكر وجهل ماعلمته الوحوش في الفلاة والحيتان في المياه من كثرة هذه العساكر التي بيوتكم مافيها موضع الا ويكنس منه التراب الذى اثارته خيل هذه العساكر · ولعل وقع سنابكها قد اصم اسماع من وراء البحر من الفرنج وفي موغان من التتار · اذا كانت هذه العساكر تصل جميعها الى ابواب بيوتكم ولاتدرون فأى شيء تعلمون ؟ " ·

وانفصل الرسول على هذا الحال (١٧ و) ووصلت نواب يافا ونواب ارسوف بهدية اخذت منهم تطمينا وتسكينا لقلوبهم · هذا والسلطان يأمر ان لاينزل احد لهم في زرع ولا يسيب فرس ولا تؤذى لهم ورقة خضراء ولا يتعرض الى شيء من مواشيهم ولا فلاحيهم · ورفق بهم

اتم رفق انتظارا لرجوعهم عن الغي وكانت كتبهم قبل توجه السلطان الى الشام مضمونها طلب فسخ الهدنة والندم عليها . وصارت عند قرب السلطان ترد بأنهم باقون على العهد مستمسكون بأذيال المواثيق . وكان مقدم الاسبتار قد كتب عدة كتب منها جواب عن مشافهة على لسان افريز صاماح كمندور الديوية بقبرس مضمونها : انكم نقضتم العهد بأمور منها ان شرط الهدنة لا يحدث (١) بناء . وقد شرع بيت الاستبار في بناء ربض على ارسوف ". فكان جوابهم : اننا لم نبن هذا الربض الا لحماية الصعاليك من متحومة (٢) المسلمين ولأمور قد بلغتنا سوف تسمونها يعني اخبار التتار ". فكان الجواب اليه : اما تجديد الربط لحفظ الصعاليك فالبلاد ماتحفظ بالاسوار ولا تحفظ الرعية بالخنادق ولا تحفظ الا بأحد امرين اما بالسيوف والعزايم واما بحسن الجيره وبذل الاحسان وكف الاذى . ومن يخاف من اللصوص لم لا يخاف من غيرهم . واما امر التتار فقد علم كل احد انا عندما تحصنتم بالاسوار والخنادق خرجنا الى التتار وما جعلنا حصوننا الا خيولنا ولا خنادقنا الا سيوفنا ولا اسوارنا الا رجالنا ".

ولم تزل رسلهم تتردد في هذا ومثله الى ان فرغ السلطان من شغله الذى كان في نفسه وهو حديث الملك المغيث . فلما كان اليوم الذى قبض عليه فيه احضر الملك الظاهر بيوت الفرنجية وقال : ماتقولون ؟ قالوا نتمسك بالهدنة التي بيننا . فكان الجواب : لم لاكان هذا قبل حضورنا الى هذا المكان وانفاق الاموال التي لوجرت (١٧ ق) لكانت بحارا ونحن (٣) ما آذينا لكم زرعا ولا غيره . وانتم منعتم الجلب والميره عن العسكر (٤) وسيرتم

---

١) " يجدد " في ابن عبد الظاهر ص٦٨ . (٢) متحرمة ، في ابن عبد الظاهر ص٦٨ .
٣) في المقريزى السلوك . ص٤٨٤ ونحن لما حضرنا الى هاهنا ما اذينا لكم زرعا ولا غيره ولا نهب لكم مال ولا ماشية ولا اسر لكم اسيرا (٤) في المقريزى ، السلوك ص٤٨٥ " وحرمتم خروج شيء من الغلات والاغنام وغير ذلك ".

الينا الى دمشق (١) نسخة يمين حلفنا عليها وسيرنا نسخة يمين (٢) لم تحلفوا عليها وعلمتم انتم نسخة حلفتم عليها وشرط اليمين الاولى تتعلق (٣) بالثانية • وسيرنا الاسارى الى نابلس ومنها الى دمشق وما سيرتم انتم احدا الا كل بيت (٤) يجيء على الآخر (٥) وسيرنا كمال الدين بن شيث رسولا يعلمكم بوصول الاسرى فلم تبعثوا احدا ولم ترحموا اهل ملتكم الاسرى وقد وصلوا الى ابواب بيوتكم • كل ذلك حتى لاتبطل اشغالكم من اسرى المسلمين عندكم واموال التجار شرطتم القيام بما اخذتموه (٦) لهم • ثم قلتم ما اخذت من بلادنا وانما قلتم اخذها (٧) في انطرطوس وحمل المال الى خزانة (٨) الديوية والاسرى في بيت الديوية (٩) فان كانت انطرطوس ماهي لكم فالله يحقق ذلك • ثم اننا سيرنا رسلا الى جهة (١٠) الروم وكتبنا اليكم بتسفيرهم في البحر فاشرتم عليهم بالسفر الى قبرس (١١) فاخذوا وقيدوا وضيق عليهم واتلف احدهم على ماذكر (١٢) مع احساننا الى رسلكم (١٣) • وجرت عادة الرسل انها لاتؤذى وما زالت الحرب

---

١) هي " بدمشق " في المقريزى، السلوك ص ٤٨٥، بدل الى دمشق •
٢) في المقريزى، السلوك، ص ٤٨٥ من عندنا بعد كلمة يمين •
٣) متعلق، في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ •
٤) في المقريزى، السلوك، ص ٤٨٥، هي "وكل بيت" •
٥) بعدها "وما سيرنا الاسرى الاوفاء بالعهد واقامة الحجة عليكم "المقريزى السلوك ص ٤٨٥ •
٦) منها عند المقريزى السلوك ص ٤٨٥ •
٧) عند المقريزى السلوك ص ٤٨٥ "اخذت في" •
٨) بعدها كلمة بيت عند المقريزى السلوك، ص ٤٨٥ •
٩) او الاسرى في بيت الديوية في ابن عبد الظاهر ١ ص ٦٨ •
١٠) بلاد السلاجقة في المقريزى، السلوك ص ٤٨٥ •
١١) فسافروا بكتابكم وامانكم، في المقريزى، السلوك ص ٤٨٥ •
١٢) فان كان هذا برضاكم فقبيح ان يعتمدوا هذا الاعتماد • هذا في المقريزى السلوك ص ٤٨٥ •
١٣) وتجاركم والوفاء احد اركان الملك "المقريزى السلوك، ص ٤٨٥ •

قائمة والرسل تتردد (١) . وان كان هذا بغير رضاكم فهذا (٢) نقص في حرمتكم (٣) . وهل كانت الملوك (٤) تتقى (٥) النفوس (٦) والاموال الا بحفظ (٧) الحرمة وصاحب (٨) قبرس اكثر تعلقاته في عكا والساحل وله عندكم المراكب والتجار (٩) وها (١٠) هو منفرد بنفسه عنده (١١) الديوية وجميع البيوت والنواب مقيمون (١٢) وعنده كند يافا (١٣) فلو كنتم لاتؤثرون ذلك كنتم جميعكم عليه واحتطتم (١٤) على كلما يتعلق به (١٥) وكتبتم الى ملوك الفرنجيه والى الباب (١٦) بما فعلـه . وكان الواجب على .... (١٧) احـرامـه .

.

---

١) وما القدرة على الرسول بشيء يسكن غيظا ، المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٥ .
٢) فانه " في المقريزى ، السلوك ص ٤٨٥ .
٣) واذا كان صاحب جزيرة قبرس من اهل ملتكم ، يخرق حرمتكم ولا يفى بعهدكم ولا يحفظ ذمامكم ولا يقبل شفاعتكم ، فاى حرمة تبقى لكم واى ذمام يوثق به منكم ، واى شفاعة تقبل عند المسلمين والفرنجيه المقريزى السلوك ص ٤٨٥ ، اما ابن عبد الظاهر ص ٦٩ ، فلم يذكر " قبرس " بعد " جزيرة " ثم لم يذكر مابعد " حرمتكم " .
٤) بعدها الماضية في المقريزى السلوك ص ٤٨٥ .
٥) "تتقي" في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ وهي هنا اصح .
٦) بعدها "والرجال " في المقريزى السلوك ص ٤٨٥ .
٧) "لحفظ " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ وهي هنا اصح .
٨) " وما صاحب جزيرة قبرس ملك عظيم ولا صاحب حصن منيع ، ولا قائد جيش كثير ، ولا هو خارج عنكم بل " المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ .
٩)" والاموال والرسل " المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١٠) "وما " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ "وليس " في المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١١) "وعنده " المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١٢) المقيمون عنده " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ والمقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١٣) بعدها "وغيره " في المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٦ .
١٤) "واحطتم " في المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١٥) بعدها "واصحابه واسترحتم من هذه الفضيحة " المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٦ .
١٦) "البابا " في المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ . راجع ابن عبد الظاهر ص ٦٩ ، ملحوظة ١ .
١٧) كلمة غير واضحة ولكنها "الكاظ " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ . اما المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ فيقول : واذا قلتم صاحب قبرس لا يسمع منكم ولا يطيعكم ، فاذا لم يسمع منكم صاحب قبرس وهو من اهل ملتكم ، فمن يسمع منكم ؟ وهل لهذه التقدمة الا الامر والنهي ؟ ولا سيما وانتم تقولون ان اموركم دينية ، ومن ردها عصى المعبود ، ويغضب عليه المسيح . فكيف لا يعصى المعبود ويغضب المسيح على صاحب قبرس ، وقد رد امركم واغرى بكم وقبح قولكم ؟ وكنا لو اشتهينا اخذنا حقنا منه ، وانما الحق عندكم نحن نطلب منكم وانتم تطلبون منـه " .

وقال السلطان : انتم (١) في ايام (٢) الصالح اسماعيل اخذتم صفد والشقيف على انكم تنجدونه على السلطان الشهيد (١٨ و) الملك الصالح (٣) وخرجتم جميعكم في خدمته ونجدته ، وجرى ماجرى من خذلانه وقتلكم واسركم واسر ملوككم ومقدميكم (٤) . وكل احد يتحقق (٥) ماجرى عليكم من ذهاب الارواح والاموال . وانتقضت (٦) تلك الدولة وانقضت (٧) ولم يؤاخذكم السلطان الشهيد عند فتوحه البلاد . واحسن اليكم فقابلتم ذلك بأنكم (٨) رحتم الى الريد افرانس وساعدتموه واتيتم صحبته الى مصر حتى جرى عليكم (٩) ماجرى من القتل والاسر . فأى مرة وفيتم فيها لمملكة مصر ام اى حركة افلحتم (١٠) ؟ وبالجملة فأنتم اخذتم هذه البلاد من الصالح (١١) اسماعيل لاعانة مملكة الشام واطاعة (١٢) ملكها ونصرته (١٣) وقد صارت مملكة الشام (١٤) وغيرها الـى (١٥) وما انا محتاج الى نصرتكم ولا الى نجدتكم (١٦) . فتردوا (١٧) مـا

---

١) " وانتم " في المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
٢) " الملك " بعدها ، المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
٣) بعدها " نجم الدين ايوب " المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
٤) " واسر مقدميكم " المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٦ .
٥) " تتحقق " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ .
٦) قبلها " وقد " المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
٧) ليست في نص المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٦ .
٨) " بأن " المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٦ .
٩) ليست في نص المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١٠) بعدها " فيها " في ابن عبد الظاهر ص ٧٠ ، والمقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١١) " الملك الصالح " المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١٢) " وطاعة " المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١٣) بعدها " والخروج في خدمته ، وانفاق الاموال في نجدته " المقريزى السلوك ص ٤٨٦ .
١٤) بعدها " بحمد الله " المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١٥) " لي " ابن عبد الظاهر ، ص ٧٠ المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١٦) بعدها " ولم يبق لي عدو اخافه " المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ .
١٧) " فردوا " المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٦ و " فتردون " ابن عبد الظاهر ص ٧٠ .

اخذتموه للاسلام (١) بهذا الطريق وتفكون (٢) اسرى المسلمين جميعهم · وغير ذلك لااقبلــه (٣) ·

فلما سمعوا هذه المقالة بهت الذين كفروا وقالوا : نحن لاننقض الهدنة ونطلب (٤) مراحم السلطان في استصحابها واستدامتها (٥) ونحن نزيل شكوى النواب جميعها (٦) ونفك الاســرى " · فقال السلطان : كان هذا قبــل خروجي (٧) في (٨) هذا الشتاء وهذه الامطار ووصول العساكر (٩) وانفصلوا على هذه الصورة وامــر السـلطان انهم لايبيتون في الوطاق ·

ذكـر هــدم كنيسـة الناصـرة ومسـير تجريده الى عكا ورجوعهم وما فعله الملـك الظاهـر في مقامـه بالطـور

لما جرى لرسل الفرنج مع السلطان الملك الظاهر ماقدمنا شرحه رسم بهــدم كنيسة الناصرة وهي اكبر مواطن العبادات التي لهم · ويقولون ان منها خرج ديــن النصرانية · فوجه الامير علاء الدين طيبرس اليها وهدمها الى الارض · فلم يجســر احد من ساير الفرنجية ان يخرج من باب عكا ولا يتكلم بكلمــة (١٨ و) واحــدة ·

---

١) " اخذتم للاسلام " في ابن عبد الظاهر ص ٧٠ و "اخذتموه من البلاد "في المقريزى ، السلوك ص ٤٨٦ وليس فيه ،بهذا الطريــق ·

٢) وفكوا، المقريزى، السلوك ص ٤٨٦ ·

٣) فاني لااقبل غير ذلك، المقريزى، السلوك ص ٤٨٦ ·

٤) وانما نطلب، المقريزى، السلوك ص ٤٨٧ ·

٥) في استدامتها ، المقريزى، السلوك ص ٤٨٧ ·

٦) ليس في المقريزى، وبدلها : النواب ونخرج من جميع الدعاوى " السلوك ص ٤٨٧ ·

٧) بعدها ، من مصر، المقريزى ، السلوك ص ٤٨٧ ·

٨) من ، في ابن عبد الظاهر ص ٧٠ ·

٩) بعدها الى هنا ، ابن عبد الظاهر ص ٧٠ ، المقريزى ، السلوك ص ٤٨٧ ·

ثم جرد الامير بدر الدين الايدمري وصحبته جماعة فتوجهوا الى جهة عكا وهجموا على ابوابها · ثم توجه الامير المذكور مرة اخرى فأغار على المواشي واستباح منها شيئا كثيرا وحضر بجميع ذلك الى المخيم المنصور ·

واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز وعلى الصفة التي عمرها هناك وكتب اسمه عليها · وهي مبنية بالحجر المنحوت لا يحتجب عن احد · ومن وقف له احضره واخذ قصته وانصفه · وهو لا يشتغل بغير امر ونهي وعطاء وتدبير في امر الكرك وارسال خلع ومال واستجلاب اهلها ·

ووصلت رسل دار الدعوة ومعهم الهدايا ووصل ولدا الصاحبين مقدمي الدعوة فأحسن السلطان اليهما وتوجها ·

ولم يخل السلطان وقتا من تأمير جماعة في الشام والساحل · ومن جملة من امر الامير علاء الدين ايدكين البندقدار اعطاه اقطاعا جيدا في مصر وطبلخاناه، وكذلك الامير سيف الدين الكاملي والامير شمس الدين سنقر الخزندار العمادي · امرهما بالشام واعطاهما الطبلخاناه · وكذلك الامير حسام الدين العنتابي امره في بلاد حلب واعطاه طبلخاناه · وكتب للامير جمال الدين ايدغدى العزيزي زيادة جماعة جنده · وخاض في الشام وهي ثلاثون فارسا · ووجد اهل البلاد والاهواء قد عانوا وتسلطوا على الرعية ولزمتهم ديات بذلك مجهولة المصرف وفيهم عيون الفرنج · ووجدهم فلاحي البلاد ولا يمكن اتلافهم فقرر عليهم جنايات يقومون بها لبيت المال عن ديات من قتل وليس له وارث وعما نهبوا من مال جهل مالكه فحملت جمل كثيرة من البلاد الساحلية والجبال النابلسية وانكسرت شوكتهم ·

ثم جرد الامير بدر الدين الايدمري وصحبته جماعة فتوجهوا الى جهة عكا وهجموا على ابوابها . ثم توجه الامير المذكور مرة اخرى فأغار على المواشي واستباح منها شيئا كثيرا وحضر بجميع ذلك الى المخيم المنصور .

واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز وعلى الصفة التي عمرها هناك وكتب اسمه عليها . وهي مبنية بالحجر المنحوت لا يحتجب عن احد . ومن وقف له احضره واخذ قصته وانصفه . وهو لا يشتغل بغير امر ونهي وعطاء وتدبير في امر الكرك وارسال خلع ومال واستجلاب اهلها .

ووصلت رسل دار الدعوة ومعهم الهدايا ووصل ولدا الصاحبين مقدمي الدعوة فأحسن السلطان اليهما وتوجها .

ولم يخل السلطان وقتا من تأمير جماعة في الشام والساحل . ومن جملة من امر الامير علاء الدين ايدكين البندقدار اعطاه اقطاعا جيدا في مصر وطبلخاناه .
وكذلك الامير سيف الدين الكاملي والامير شمس الدين سنقر الخزندار العمادي امرهما بالشام واعطاهما الطبلخاناه . وكذلك الامير حسام الدين العنتابي امره في بلاد حلب واعطاه طبلخاناه . وكتب للامير جمال الدين ايدغدي العزيزي زيادة جماعة جنده . وخاض في الشام وهي ثلاثون فارسا . ووجد اهل البلاد والاهواء قد عاثوا وتسلطوا على الرعية ولزمتهم ديات بذلك مجهولة المصرف وفيهم عيون الفرنج ووجدهم فلاحي البلاد ولا يمكن اتلافهم فقرر عليهم جنايات يقومون بها لبيت المال عن ديات من قتل وليس له وارث وعما نهبوا من مال جهل مالكه فحملت جمل كثيرة من البلاد الساحلية والجبال النابلسية وانكسرت شوكتهم .

وركب السلطان مرارا الى قبر دحيه الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٩ و) وزاره وزار في طريقه قبر ابي هريره رضي الله عنهما في يبنا والله اعلم ·

ذكر مسير السلطان الملك الظاهر الى عكا وقتله للفرنج واسرهم ورجوعه سالما ·

لما كان ليلة السبت رابع جمادى الاخره من هذه السنة ركب السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وجرد من كل عشرة فارسا واحدا صحبته واستناب الامير شجاع الدين الشبلي امير مهمندار في الدهليز · وساق من منزله الطور نصف الليل · فلما اصبح وقف قريب عكا في الوادى الذى يقاربها ومنه يشرف عليها · وامر الناس تلبس السلاح ورتب العسكر · ولم يزل سايقا الى ان اطاف بعكا من جهة البر · وسير جماعة الى برج كان قريبا منها فيه جماعة فحاصره وللوقت احدث فيه الثقوب · وكان توجه السلطان اليها في هذه الجماعة انما هو لكشفها · وكان الفرنج يقولون ان احدا لايجسر ان يقرب منها ولم يزل كذلك الى قريب المغرب والفرنج ينظرون من ابواب المدينة وتل الفضول · ثم رجع الى الدهليز قريب البرج المذكور عند المساء · ولما اصبح ركب وركب الناس في خدمته وساق اليها · وكان الفرنج خذلهم الله قد حفروا خنادق حول تل الفضول وجعلوها معاثر في الطريق · ووقف الفرنج صفوفا على التل المذكور · ولما اخذت العساكر اهبة القتال والسلطان نفسه يسوق ميمنة وميسرة ويرتب الناس حتى انه مما يذكر الله سبحانه وتعالى ويأمر الناس به عن التهليل والتكبير ويندب اليه من المصالح شوش من صوته · وللوقت ردمت الخنادق بحوافر الخيل وبأيدى الرجال من غلمان العساكر والفقراء المجاهدين وطلع الناس الى تل الفضول وانهزمت الفرنج الى المدينة (١٩ ق) وحرق الناس ما حول

عكا من الابراج والاسوار وقطعوا الاشجار وحرقوا الثمار · فلا يرى الناس الا دخانا اوعجاجا وسيوفا لامعة واسنة قاطعة ساطعة · وساق العسكر الى ابواب عكا يقتلون ويأسرون · ففي ساعة واحدة قتل جماعة من كنود هم وفرسانهم وخيالتهم واسرت جماعة خيولهم · وخرج اكابرهم وحف بهم البلاء وطمع فيهم الناس ورموهم الخنادق بخيولهم وفيهم جماعة من الديوية والاسبتار · وهرب من بقى من الفرنج الى الابواب من جهة الاسوار وتدلوا لحفظ الابواب ويزعقون بصوت واحد · الباب الباب خوفا من الهجوم عليهم والسلطان واقف على رأس التل مما يلي عكا ينعم ويعد · وحضر اليه رجل اسمه جليس من اصحاب ابن اطلس خان بفارس طعنه ورماه · وقامت الضجة لاجل رميه من الفرنج · فأسره فأعطاه السلطان منديله بأربعين فارسا · وضرب السلطان مشورة من اى جهة يأخذها · وعرف احوالها وحمل الامراء واحد ثم واحد الى الابواب فجرح في ذلك النهار من اعيان الامراء جمال الدين ايدغدى العزيزى في ركبته جرحا خفيفا · ثم حمل الناس حملة واحدة الى ان رموا الفرنج في الخنادق · وهلك جماعة منهم في الابواب · فكان اول ماوقف السلطان ساق الامير على الشهرزورى عند اللقاء اصلح رمحا من يد احد الخيالة اخذه وساق · وكان مما احضر تسعة حصن ببركصطوانات وثنى بعد ذلك عنان فرسه امهالا وسار عايدا الى عسكره المنصور · فخلص واحسن الى من جاهد · وفرق كتب البشاير على من عمل صالحا في ذلك اليوم (٢٠ و) ولم يزل منتصبا كذلك الى قريب العصر لابس عدته · وساق الى البرج الذى كان النقابون علقوه · فوقف حتى رمى واخرج منه بأمانه اربعة خياله اخوه ونيف وثلاثون راجلا ٭

ولما خرج الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى ساق اليه السلطان وسلم عليه وسير اليه تشريفا من ملابسه الخاص · وبات واصبح راجعا وعبر على بلادهم

وكشفها مكانا مكانا . وعبر على كنيسة الناصرة . وكان فيما قبل قد سير اليها الامير عز الدين الافرم امير جاندار غلقها وخربها وهدمها الى الارض .

ولما رجع السلطان ونزل جلس على المصطبة التي امر ببنيانها قباله الطور واحضر الشموع بالمنجنيقا ونصب عليها خيمة واحضر الصاحب فخر الدين وزير الصحبة وجماعة كتاب الدرج الشريف وهم سبعة : الصاحب فخر الدين ابن لقمان ، والصدر بدر الدين حسن الموصلي ، والصدر كمال الدين احمد بن العجمي ، والصدر فتح الدين ابن القيسراني ، والصدر شهاب الدين احمد بن على بن عبيد الله ، والصدر برهان الدين ، وكتاب الجيش وهم الصاحب فتح الدين ابن سناء الملك ، والشريف الطاهر شرف الاسلام المطرى ، والقاضي جمال الدين الحنفي وبقية كتاب الجيش والسديد مستوفي الصحبة ، و جعل الامير سيف الدين الزيني امير علم جالسا عند ديوان الجيش لكتابة المناشير وتجهيز الطبلخاناه والاتابك بين يدى السلطان . واستدعى من دساراته خمسماية فرس برسم الطبلخاناه وخيول الامراء واحضرت الخلع الكثيرة بين يديه وامر سلاح داريه بان يستريحوا بالنوبة ويحضروا . ولم تزل المثالات والمناشير تكتب وهو يعلم (٢٠ ق) واعطى تلك الليلة الحراس الهنود جملة . وكتب بين يديه تلك الليلة ستة وخمسون منشورا كبارا بخطب وطفر لامراء كبار . والصاحب فخر الدين يعلم وصاحب ديوان الحراس فتح الدين بن سناء الملك حاضر وهو صاحب ديوان الجيوش المنصورة يعلم . والامير بدر الدين الخزندار واقف يعلم والمستوفي يخزل حتى كملت بين يديه واصبح السلطان فخلا بنفسه وجهز الطبلخاناه والسناجق والخيل والخلع الى الامراء وجعل الامير ناصر الدين القيمرى نايب السلطنة بالفتوحات الساحلية .

ذكر رحيل الملك الظاهر من الطور الى بيت المقدس وذكر بعض اخبار بيت المقدس الى ان دخلها الملك الظاهر في هذه السنة وكذلك مدينة الخليل عليه السلام وهما من بلاد جند فلسطين البرية الذى وعدنا بذكرها ٠

لما رجع السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي من عكا وفعل ماقدمنا شرحه رحل من الطور يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الاخره ٠ ثم جرد جماعة صحبته وجماعة الى الصالحية فوجه صحبتهم الامير علاء الدين امير جاندار ٠

قد قدمنا سبب بناية بيت المقدس ومن بناه وكيف خرب ثم اعيد وبعض فضايله وسبب فتحه في زمن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٠ ونذكر هنا لمعه من خبر من ملكه الى ان دخله الملك الظاهر ركن الدين بيبرس في هذه السنة ٠

قال القاضي عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد الحلبي في تأليفه "كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة" ماصيغته : الصفة التي عليها مدينة بيت (٢١ و) المقدس في عصرنا انها على جبل يصعد اليها من كل جانب وهي طويلة في طرفها الغربي باب المحراب ٠ وهذا الباب عليه قبه داود عليه السلام ٠ وفي طرفها الشرقي باب الرحمة وهو مغلق لايفتح الا في عيد الزيتون ٠ ولها من جهة المحراب باب يسمى باب صهيون ومن الشمال باب يسمى باب الغراب ٠ ومتى دخل الداخل من باب المحراب يسير نحو المشرق في زقاق شارع الى الكنيسة العظمى المعروفة بكنيسة القيامه والمسلمون يسمونها قمامه ٠ وهي من عجائب الدنيا بناء ٠

وقال البلاذرى : قدم ابو عبيده على عمرو بن العاصي وهو ظاهر ايليا في سنة ست عشرة للهجرة فطلب اهلها من ابي عبيده الامان والصلح على مثل ما صولح

عليه اهل مدن الشام من اداء الجزية والخراج على ان يكون متولي العقد لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه . فكتب ابو عبيده الى عمر رضي الله عنهما بذلك فسار عمر رضي الله عنه حتى نزل الجابية من دمشق ثم صار الى ايليا فانفذ صلح اهلها وكتب لهم بذلك وذلك في سنة سبع عشرة للهجرة . وقد قدمنا ذلك مفصلا .

ولم تزل بعد الفتح في الولاية على ماقررناه في غيرها من البلاد المضافة الى الاجناد . فلما صارت الى المستنصر العبيدى صاحب الديار المصرية خرج الامير اتسزين لوق التركي فقصد ارض فلسطين فملك الرملة وبين المقدس من نوابه سنة ثلاث وستين واربعماية . فخرج الامير بدر المستنصرى في سنة خمس وستين واربعماية فاستعاد الرملة والقدس وولى فيهما نايب من جهته ثم عاد الى مصر في سنة ست وستين واربعماية فعاد اتسز الى القدس فملكه في بقية السنة .. ولم يزل في يده الى ان قصد مصر بعسكره فكسر . في شهر (٣١ ق) رجب سنة تسع وستين واربعماية وعاد منهزما الى دمشق فجمع وخرج الى القدس . وكان من فيه وثبوا على من عندهم من الاتراك من اصحابه فقتلوا اكثرهم والتجاء (١) من بقي منهم الى محراب داود تحصنوا به واقاموا حتى وصل اتسز الى القدس فراسل اهله في الدخول في الطاعة . فابوا فنازلهم في شعبان . واقام يحاصرهم الى ان فتح له القيم محراب داود فدخل المدينة بالسيف وقتل عامة اهلها . واستمر القتل فيها ثلاثة ايام . ولم يبق منهم الا من استجار بالصخرة والمسجد الاقصى . وبقي بيت المقدس في يده الى ان خرج الامير نصير الدولة الجيوشي فأسترجع القدس وما كان قد استولى عليه اتسز من بلاد فلسطين والاردن . ونزل على دمشق فحاصرها . فكتب الامير اتسز صاحب دمشق الى الامير

---

١) في الأصل " والتجى " .

تاج الدولة صاحب حلب يستنجده · فلما سار اليه رحل الامير نصير الدولة ورجع الى مصر · فلما قتل تاج الدولة اتسز سار الى القدس فملكه فيما ملك وذلك في سنة احدى وسبعين واربعماية · ولم يزل القدس في ايدى نوابه الى ان اقطعه الامير ارتق بن اكست وبقي في يده ويد ولديه من بعده ايلغازى وسكمان الى ان قصدهما الافضل امير الجيوش شاهنشاه بن امير الجيوش بدر المستنصرى من مصر في عسكر · فنزل عليها في شعبان سنة تسعين واربعماية وحاصرها وضايقها ونصب عليها المجانيق فهدم بها ثلمة من السور واشرف من فيها على الغلب · فبعث سكمان الى الافضل يطلب منه الامان له ولأخيه ايلغازى ولاصحابهما · فأجابهما وتسلم البلد وولى فيه من قبله وذلك في سنة احدى وتسعين واربعماية · وخرج سكمان واخوه الى دمشق ·

وبقي القدس في أيدى (٢٢و) المصريين الى ان قصدها الفرنج في سنة اثنتين وتسعين واربعماية وحاصروها اشد حصار حتى ملكوه في اليوم الثاني من شعبان من السنة عنوة · بعد اعطائهم الامان لمن فيه · فأحرقوا المصاحف واخربوا المساجد وكان ملكهم يومئذ كندفرى · واقام فيه الى ان مات وصار الى جهنم وبئس المصير · وولي اخوه اللعين بغدوين بعده ودام ملكه الى ان اصابه جرح على العرش فمات منه في التاسع من ذى الحجة سنة احدى عشرة وخمسماية · وتولاه بعده القمص بغدوين صاحب الرها بعهد من بغدوين الاول لعنهما الله · فسار اليه وملكه وسكنه وبقي في يده الى ان مات بالفالج بين نابلس والقدس ليلة الاثنين حادى عشرى شهر رمضان سنة خمس وعشرين وخمسماية وملكه بعده بعهد منه زوج ابنته اللعين فلك ابن فلك وبقي في يده الى ان وقع عن فرسه وهو طارد ارنبا في ارض عكا · فغاصت رقبته في صدره وعجل الله بروحه الى النار وذلك في سنة ثمان وثلاثين وخمسماية ·

وولي بعده البلاد اكبر اولاده اللعين بغدوين وبقي حاكما على ماكان بيد ابيه من البلاد الى ان مات في سنة ثمان وخمسين وخمسماية وتولى بعده اخوه " بعدى "(١) وهلك في سنة ثمانين وخمسماية · وتولى بعده ولد صغير وفوض تدبير دولته للقومص بن مارزان صاحب طرابلس وكان ابن عمه ·

وبقي في يده الى ان قصده السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي · فنصب عليه المجانيق وسلط على سوره النقوب مما يلي وادي جهنم الى ان تسلمه يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسماية كما قدمنا (٢٢ و) شرحه · ولم يزل القدس في يد السلطان صلاح الدين يوسف الى ان اقطع البلاد من اولاده فكان للافضل من دمشق الى العريش خلا الكرك والشوبك · فانهما كانا للملك العادل ابى بكر بن نجم الدين ايوب شادى بن مروان الايوبي · فاقطع الافضل القدس للامير عز الدين جرديك النورى · ثم اخذها العزيز عثمان قطعها علم الدين قيصر سنة تسعين وخمسماية · ثم وقع الاتفاق على ان تبقى فلسطين للملك العزيز والاردن للملك الافضل · فاقطع العزيز القدس لابي الهيجا السمين فعصى عليه في سنة اثنتين وتسعين وخمسماية ·

وفيها ملك الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين يوسف صاحب الديار المصرية دمشق وسلمها لعمه العادل ونزل له عن القدس فأسترجعه من ابي الهيجا واقطعه سنقر الكبير · ثم استعاده منه واقطعه ميمون القصري في سنة اربع وتسعين وخمسماية ومات العزيز في سنة خمس وتسعين وخمسماية ·

ولما مات الملك العادل ابي بكر بن ايوب البلاد اقطع دمشق والاردن وفلسطين لولده الملك المعظم عيسى فاستمرت في يده الى ان قصدت الفرنج دمياط واستولوا

---

١) كذا في الاصل والمعروف ان لفلك ولدين احدهما بغدوين الثالث والاخر امالريك الاول ·

عليها فاستنجده اخوه الملك الكامل صاحب الديار المصرية · فلما وصل اليه شكى له ما الفرنج عليه من القوة وسأله ان يعطيه القدس وكوكب والطور ليعطيها للفرنج عوضا عن دمياط فأسرها في نفسه ووعده فيها بما طاب به قلبه · ولما تضايق بالملك الكامل الامر في حصار دمياط بعث اخاه الملك المعظم الى اخيه الملك الاشرف يستنجده وهو بحران · فأخرب القدس في طريقه وكوكب حتى لا ينتفع بهما الفرنج ولا يرغبون فيهما ·

وبقي القدس في يده خرابا الى ان توفي في (٢٣) سنة اربع وعشرين وستماية · فخرج الملك الكامل الى الشام في شوال سنة خمس وعشرين وستماية فولى في بلاد فلسطين · وكان الانبرطور ملك الفرنج قد وصل الى عكا والملك الكامل بنابلس فكتب اليه الانبرطور اما ان تسلم الى القدس وجميع ما فتحه السلطان صلاح الدين او تلقاني · وترددت الرسل بينهما في ذلك · وكان للملك الكامل غرض في تملك دمشق فجمع الامراء واستشارهم فكل منهم اشار بالعود الى تل العجول خلا الامير سيف الدين ابن ابي زكرى فانه قال : ابن دمشق على ابن اخيك الملك الناصر داود واطلبه واطلب اخاك الملك الاشرف وعسكر حلب وقاتل هذا العدو فأما لنا واما علينا · ولا يقال عن السلطان انه اعطى الفرنج القدس · فامتعض لذلك وقبض عليه وسيره الى مصر فحبسه فيها · وعاد الى تل العجول واستدعى الملك الاشرف من دمشق · وكان قد وصل اليها · ولما غلب على الملك الكامل رغبته في تملك دمشق اذعن لتسليم القدس للانبرطور فتسلمه في حادي عشر شهر ربيع الاول سنة ست وعشرين وستماية · واستمر القدس في ايدي الفرنج الى ان توفي الملك الكامل في سنة خمس وثلاثين وستماية ·

وملك الملك الجواد بعده دمشق فقايض الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل عن دمشق بسنجار · فوصل الى دمشق ثم خرج منها الى نابلس في سنة

سبع وثلاثين وستماية قاصدا مصر وفيها اخوه الملك العادل فاستولى الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب على دمشق وقهر الملك الناصر داود صاحب الكرك على الملك الصالح نجم الدين ايوب بنابلس وحبسه في الكرك. وجمع عسكرا (٢٣ ق) عظيما ونزل به على القدس يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الاول من السنة وكان الفرنج قد عمروا به برجا يعرف ببرج داود وحصنوه. فنصب عليه المجانيق وضايقه الى ان تسلمه يوم الاثنين ثامن جمادى الاخره وملك بيت المقدس وولى فيه من قبله وكتب كتابا بيده ومن انشائه الى الخليفة المستنصر بالله امير المؤمنين نسخته تقدمنا ذكرها.

ولم يزل القدس في يد الناصر داود الى ان اتفق مع الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق والمنصور ابراهيم صاحب حمص على مصالحة الفرنج ليعينوهم على قتال الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الديار المصرية واعطوهم صفد والشقيف والقدس. فدخل الفرنج القدس ورفعوا الصليب على الصخرة واخرجوا من فيه من المجاورين الى مدينة الخليل عليه السلام.

واستمر القدس في ايدى الفرنج الى ان جاءت الخوارزميه الى الشام في سنة احدى واربعين وستماية باتفاق مع الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الديار المصرية وهجموا القدس وقتلوا من فيه من الفرنج وطهروا الصخرة من اوساخهم وذلك في سنة اثنتين واربعين وستماية. ثم خرج اليهم من مصر عسكر مقدمه الامير ركن الدين الكنجي فقاتلوا الملك الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب دمشق والملك المنصور ابراهيم صاحب حمص والفرنج على غزه فكسروهم وتبعوهم فانحازت الفرنج الى برج داود فحاصروهم فيه حتى اخذوهم وقتلوهم. وولي في القدس من قبل الملك الصالح نجم الدين ايوب واقطع بلاده الخوارزميه. ومابرحوا في تلك البلاد يدينون

بالعبث والفساد الى ان كسرهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيه صاحب حلب على حصن القصب من اعمال حمص في (٢٤ و) سنة اربع واربعين وستماية ، وبقيت منهم شرذمة رجعت الى القدس وتغلبوا عليه فخرج اليهم عسكر من مصر مقدمه الامير فخر الدين بن الشيخ فأتى على بقيتهم . واستعاد القدس . ثم نزل اليه الملك الناصر داود صاحب الكرك من الكرك واستولى عليه في بقيه سنة اربع واربعين وستماية . ثم استعاده الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب مصر في سنة خمس واربعين وستماية وبقي في يده ويد ولده الملك المعظم تور انشاه من بعده . ثم ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب دمشق والاردن وفلسطين . فلم يزل القدس في يده الى ان صالح الملك المعز ايبك صاحب الديار المصرية ونزل له عنه في سنة احدى وخمسين وستماية . ولما قتل الفارس اقطاى في شعبان سنة اثنتين وخمسين وستماية وخرج من مصر مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب البحرية الى الملك الناصر صاحب دمشق يستنصرونه سير عسكر الى القدس فاستعاده ولما استولى التتار على البلاد دخلوا القدس وقتلوا بـه .... (١) وبقي في ايديهم الى ان كسروا على عين جالوت وصارت البلاد للملك المظفر قطز فلما قتل قطز وصارت البلاد للملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وسار الى الطور ورحل منه كما قدمنا شرحه .

وفي يوم الجمعه سابع عشر جمادى الاخره وصل الملك الظاهر الى البيت المقدس وزار مواضع الزيارة وطلع على القبة التي على الصخرة من خارجها هو شيخ الحرم وشاهد ما ذكر انه محتاج الى العمارة ورأى ذلك (٢) بنفسه . وطاف ورأى تلك البقاع

---

١) كلمة غير واضحة .
٢) مكررة في الاصل .

الشريفه ثم صلى الجمعة وتصدق ونظر في الاوقاف وتحرير ريعها ومصروفها (٢٤) وكتب بحماية اوقافه وانه مهما طلب من الشام برسم العمائر يسير سريعا · ورتب له في كل سنة خمسة الاف درهم برسم مصالح الحرم · ورسم ان يبنى بخارج البلد خان للسبيل · ونقل اليه الباب الذى كان على دهليز القصر الذى يدخل منه الى البيما رستان بالقاهره · وبنى فرنا وطاحونا ووقف عليه وقفا · وتم ذلك في سنة اثنتين وستين السنة الاتية · ونادى الملك الظاهر في القدس بأن احدا لا ينزل في زرع بحيث ضرب الاتابك احد مماليكه على شيء يسير من حشيش اطعمه لفرسه وسار السلطان الى جهة الكرك · ولما نزل راجعا في العوجا طارت جارح (١) اخذها الناس باليد وتفاءل السلطان الملك بامساكها وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالى ·

قد ذكرنا حال القدس الشريف فلنذكر حال مدينة الخليل عليه السلام · قال ابن حوقل النصيبي مدينة الخليل عليه السلام صغيره كالقرية تعرف بمسجد ابراهيم · وفي مسجدها الذى يقام فيه الجمعة قبر ابراهيم الخليل واسحق ويعقوب بن اسحق بن ابراهيم على سيدنا ونبينا محمد رسول الله وعليهم افضل الصلاة والسلام صفا كل قبر منها باتجاه قبر امرأته والمدينة في وهدة بين جبال كثيفة الاشجار من الزيتون والتين والجميز ·

قال القاضي عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد الحلبي في تأليفه " كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة " قرأت في كتاب ابي يعلي حمزه بن اسد التميمي الذى وضعه ذيلا لتاريخ دمشق · قال : وفي هذه

---

١) في الاصل غير منقطة ·

السنة يعني سنة ثلاث عشره وخمسماية ورد الخبر من بيت المقدس بظهور قبور الخليل وولديه اسحق يعقوب عليهم السلام وهم مجتمعون في (٢٥ و) مغارة بارض بيت المقدس وكأنهم احيا؟ لم تبل اجسادهم ولا رم لهم عظم . وحكى علي بن ابي بكر الهروي السائح : حدثني جماعة من مجاور الخليل عليه السلام لما كان زمان بغدوين ملك الفرنج انخسف موضع في هذه المغارة فدخل جماعة من الفرنج اليها باذن الملك فوجدوا فيها ابراهيم واسحق ويعقوب وقد بليت اكفانهم . وهم مستندون الى حايط وروؤسهم مكشوفة فجدد الملك اكفانهم ثم سد الموضع وذلك في سنة ثلاث عشره وخمسماية . ولم يزل حكم هذه المدينة في الولايات حكم ماتقدم من بلاد هذا الجند الى ان اخذ الفرنج القدس في سنة اثنتين وتسعين واربعماية . فاستولوا عليها لانها ضمنا وتبعا للقدس . ولم تزل في ايديهم الى ان فتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب عند فتحه القدس الشريف .

ولما ملك السلطان صلاح الدين مدينة الخليل عليه السلام بني القبه والجامع ووقف عليه وقوفا برسم الواردين عليه وهي التي تسمى ضيافة الخليل . ولم تزل في يد من يلي دمشق الى ان مات الملك المعظم صاحب دمشق وخرج الملك الكامل من مصر فولى فيه . ولما سلم دمشق للملك الاشرف اعطى الخليل للملك الناصر داود بن الملك المعظم الى ان استدعى الملك الصالح نجم الدين ايوب الخوارزميه الى الشام واستولوا على القدس بعث الى الخليل واليا من قبله . وجرى الامر فيه على ماجرى في نابلس في تنقلها بين الملك الناصر داود . وبين الملك الصالح نجم الدين ايوب . ثم استبد به الملك الصالح في سنة ثلاث واربعين وستماية . وبقي في يده ويد ولده من بعده الى ان قتل . ولما استولى الملك الناصر يوسف بن (٢٥ ق) الملك العزيز صاحب حلب على دمشق

اعطاه للملك المغيث صاحب الكرم، ثم استرجعه منه في سنة خمس وخمسين وستماية . ثم تغلب عليه الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن الملك الكامل صاحب الكرك في سنة سبع وخمسين وستماية واسترجعه الملك الناصر في بقية السنة . ولما صار في ايدى التتار في سنة ثمان وخمسين سلموه للملك المغيث فلم يزل في يده الى ان اجلاه (١) منه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس والله اعلم .

ذكر استيلاء الملك الظاهر على الكرك

قد قدمنا احوال الكرك وما كانت عليه ومن وليها الى ان قبض الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي على الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل سيف الدين ابن بكر بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل الكبير سيف الدين ابي بكر بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي صاحب الكرك على منزلة الطور في هذه السنة . ثم رحل الملك الظاهر من الطور الى بيت المقدس وزار كما قدمنا شرحه . ثم رحل من القدس الى جهة الكرك فنزل في يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الاخره من هذه السنة سنة احدى وستين وستماية وصحبته العساكر، واحضرت السلاليم الخشب من جهة الصلت وغيرها . وكان السلطان الملك الظاهر قد استصحب من الديار المصرية جماعة من الحجارين والبنائين والنجارين والصناع على انه يبني الطور . واحضر جماعة من دمشق وغيرها وسيروا الى عين جالوت . واشاع السلطان ان ذلك لبناء جامع . وكان ذلك كله لاجل الكرك . وعزم على الطلوع اليها بنفسه فكتب الى من فيه بتسليمه فخاف اهل (٢٦ و) الكرك فشرطوا عليه واقترحوا . وترددت

---

١) في الاصل " اجلا " .

الرسل بينه وبينهم حتى وقع الاتفاق على ان يؤمر الملك العزيز عثمان ولد الملك المغيث الاكبر على مائة فارس ونزل اولاد الملك المغيث وقاضي المدينة وخطيبها وجماعة من اهلها ومعهم مفاتيح الحصن والمدينة وطلبوا العرض فحلف لهم السلطان على ما طلبوه واعطاهم حتى ارضاهم . وسير الامير عز الدين ايدمر استاد الدار والصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين لتسلم الحصن فطلعا في ليلة الجمعة رابع عشرى جمادى الاخره الشهر المذكور وقت المغرب وتسلماه قطعة جديده ، وفي بكرة الجمعة دعي للسلطان الملك الظاهر على اسوارها ونصبت صناجق على ابراجها واصبح السلطان مد الخوان وكتب باحضار الرماة . وركب في الساعة الثالثة من نهار الجمعة المذكورة . وطلع الى الحصن المحروس . ودخل اليها ورسم بأن لا يؤذى احد من اهلها . وعفى عما مضى من ذنوب اهل الكرك واساءتهم اليه والى المماليك البحرية في الايام المغيثية . وجلس في القاعة الناصرية وشكر الله على ماوهبه من هذه الموهبة السنيه . وطلب ديوانها وكتاب الانشاء ورتب امر جيشها . وسال عن رجالها فقيل لهم عدة شهور لم يعطوا شيئا . فأعطاهم جامكيه ثلاثة شهور من خزانته . واهتم ببلادها . وعين لها خاصا واطلق جامكيات اهلها وما غير حاله . وزاد الاسفهسلارية والقرا غلامية واعطى اولاد الملك المغيث جميع ماحواه الحصن من مال وقماش واثاث . وكذلك ساير غلمانهم وكذلك جميع الامراء والمفاردة والاجناد لم يتعرض لاحد منهم الى شيء ونزلوا الجميع في ذلك النهار . وصلى السلطان بها الجمعة وخطب الخطيب ودعي للسلطان . ورتب امر الكرك وبلادها ونزل وقت المغرب .

ولما اصبح يوم الاحد سير (٢٦ ق) الى الملك العزيز بن الملك المغيث الخلع والقماش . وكذلك الطواشي بهاء الدين صندل والامير شهاب الدين صعلوك اتابكه احسن اليهما وكتب كتب البشاير . وكتب بحمل الغلات والذخاير والاصناف اليها .

واصبح يوم الاثنين ركب وطلع اليها واحضر ديوان الانشا" وديوان الجيوش وديوان الاستيفا" وديوان الكرك وكتب المناشير لعربانها ومن بها وكانت تزيد على ثلاثماية منشور وفي وقت واحد كتبت الامثله ونزلت وعلم السلطان عليها . وكتب المناشير وعلم عليها وسلمت لاصحابها بعد تحليفهم بين يدى السلطان . كل هذا في بعض يوم وكتبت تواقيع لاحل مناصب دينية وديوانية . واجرى ارزاق الناس على ماكانت عليه وجرد بها جماعة من البحرية والظاهرية . وحلف مقدمي المدينة وكذلك نصاراها حلفهم بالانجيل وقال لاهل الكرك : اعلموا انكم اسأتم الى في الايام الماضية وقد اغتفرت لكم ذلك لكونكم ماكانهتموني ولا خامرتم علي صاحبكم وقد ازددتم بذلك محبة الي فتناسوا الحقود والضغاين ولاتقيموا فتنة فيما بينكم " .

واحضر الامير عبيه وغيره من بني مهدى وبني عتبه وقال: ياعبيه انا كنت بالامس احسن اليك واسامحك بما جرى منك ومن غيرك لاجل الكرك حتى حصلت الان والله مايروح لاحد خيط الا آخذه منك وامسك رقبته عليه . واهل هذه البلاد مايشربوا الامن صهاريج من ما" المطر ومتى يشرب العربان منها وسقوا خيولهم فرغت سريعا فيعطش اهل القرية وتخرب . فرسم بأن احدا من العربان لايشرب ولا يسقي خيله من صهريج . وضمنه خفر البلاد الى الحجاز . وطاف على القلعة والمدينة من خارجها (٢٧ و) وباطنها ورسم بعمارة مايحتاج الى العمارة وشهد الحصن وحصنه وزاد فيه وحفر خندقه واحاطه به ولم يكن قبل ذلك كذلك . وكتب تذكرة بالمهمات وحمل اليه الزرد خاناه التي كانت معه وخزاينه والاغنام والشعير وغيره من ساير الاصناف والقماش والذخير وسبعين الف دينار عينا وماية وخمسين الف درهم نقرة .

وان ذكرنا الكرك فلنذكر شيئ من احوال الشوبك الى هذه السنة ورجوع السلطان الملك الظاهر الى القاهره المحروسة سالما . قال القاضي عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد الحلبي في تأليفه "كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة" ماصيغته . اني لم اعثر للشوبك على ذكر في كتاب من كتب التواريخ المصنفة في صدر الاسلام والظاهر ان الحال فيه كالحال في الكرك في بنايه وتملك الفرنج له الى ان فتح في الوقت الذى فتح فيه الكرك بعد حصار سنتين . واقطع مع الكرك للملك العادل سيف الدين ابي بكر بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي . ولم يزل في يده الى ان اعطاه ولده الملك المعظم صاحب دمشق فحصنه وحسنه ونقل اليه الاشجار من ساير الاقطار حتى صار يضاهي دمشق . ولم يزل في يده الى ان توفي . وانتقلت الى ولده الملك الناصر صلاح الدين داود صاحب دمشق . ولم يزل في يده الى ان سأله اياه الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر في مجلس شراب. فخرج له عنه وبقي في يده الى ان توفي . فقصده الملك الناصر داود صاحب الكرك واستعاده وبقي في يده الى ان قصده الملك الصالح نجم الدين ايوب فأستولى عليه . وبقي في يده ويد ولده الى ان قتل (١) في المحرم سنة ثمان واربعين وستماية . فاستولى الملك المغيث عليه عند استيلائه على الكرك ولم يزل في يده الى ان ملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٢٧ ق) الديار المصرية فسير اليه عسكرا وتسلمه من نايب الملك المغيث

---

(١) مكتوبة في الهامش ايضا مكررة .

صاحب الكرك في شهر ربيع الاخر سنة تسع وخمسين وستماية كما قدمنا شرحه . فلما كان في هذه السنة واستولى الملك الظاهر على الكرك وفعل ماقدمنا شرحه استناب بالكرك الامير عز الدين ايدمر مملوكة واستاد داره وكتب له تقليد بذلك . واضاف اليه النظر على الشوبك واعمالها واعطاه ثلاثين الف درهم وجمله من القماش . ونزل من الكرك الى المخيم . ثم اصبح وطلع اليها ثم رجع منها الى مصر ومعه اولاد الملك المغيث وحريمه فلما وصل الى مصر امر ولد الملك المغيث العزيز عثمان وانزله في دار القطبيه بين القصرين.

قال صاحب " كتاب نظم السلوك في تواريخ الخلفا والملوك " حاكيا عن جده القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيره الملك الظاهر، قال : وفي يوم الاربعاء تاسع عشرى جمادى الاخره توجه الملك الظاهر من الكرك مسافرا الى القاهرة المحروسة فدخلها في سابع عشر شهر رجب الفرد من سنة احدى وستين هذه السنة . وزينت المدينة احسن زينه وشق السلطان المدينة وفرش له القماش الاطلس والعتابي والنسيج وخلع على الامرا والمفاردة والمقدمين وجميع حاشيته وغلمانه والمملوك كاتب السيرة . وكانت هذه السفرة من اعظم السفرات المسفرات عن السعادة المضاعفة والنعمة المترادفة ولم يسمع ان ملكا ساق في هذه الجيوش العظيمة الى ابواب عكا وطعن في اسوارها وهدم وحرق واخذ مثل الكرك ودبر امورها وملك البلاد الساحلية واستخدم عليها الوفا من العساكر واستجدهم جيشا عظيما للاسلام في مدة قريبة . وهي من يوم خروجه من مصر الى يوم دخوله اليها خمسة وتسعون يوما وكيف لا والسعد قرينه ولطف الله يعينه والله اعلم .

ذكر السبب في قبض الملك الظاهر على بعض امرايه

(٢٨ و) ولما فوض الله عز وجل الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي السلطنة كما قدمنا شرحه فوض امر المملكة للامير سيف الدين الرشيدى

في كل شيء وانفذ كلمته . واطلق له في جمعة خواتيم من عنده يمدان له حتى مـــاء الورد الى غير ذلك ورتب في كل شهر كلوتتين زركشا كل كلوته بخمسين دينار عينـــــا وكلبند ها بأربعين دينارا . وكل هذه زيادة على الاقطاعات العظيمة والمرتبات الكثيرة وعلى الانعام حتى جامكيات البرد دارية والفهادين وعليق خيلهم . واشتغل الرشيدى بالشرب وحمى حاشيته اشياء كثيره من البلاد وصارت تصدر منه امورلانسر الســـلطان الملك الظاهر يكاسر عنها .

وامـــا الامير عز الدين الدمياطي فان الملك الظاهر اعطاه وزاده ومن جملة ماكان بيده نصف مدينة غزه زيادة . ورأى انه رجل كبير لايتقدم احد عليه . وكتـــب له توقيعا انه اذا سافر في جميع المملكة لايمنع شيئا يطلبه في الشام من غزه الـــى الفـــرات .

وامـــا الامير البرلي فقد قدمنا ماكان من امره بحلب وغيره وكيف احسن الملك الظاهر اليه وعفا عنه وامنه ووصل الى خدمته وما فعله معه . ولمـــا ســـافر السلطان الملك الظاهر الى جهة الطور في هذه السنة كما قدمنا شرحه احسن الى هؤلاء الامراء احسانا كثيرا . وبلغ السلطان ان نية الرشيدى قد فسدت وتغيـــرت فجعل عليه عيونا تحفظ كلما يجرى منه . ولما جرى ماجرى من طلب السلطان الملك المغيث صاحب الكرك كما قدمنا شرحه وصل رسوله الامير اسد الدين سادلوه استاد داره الى السلطان يقول ان كتابا من الرشيدى (٢٨ ق) مع قاصد حضر الى عنـــدى يقول لاتحضر الى السلطان فانه يريد ان يقبض عليك . وقد قبضت القاصد . فكـــان جواب السلطان ان كان الملك المغيث حلف للرشيدى فلا يحضر وان كان حلف لي فيحضر . ولم يظهر السلطان للرشيدى شيئا من ذلك . وســـير السلطان الامير

بدر الدين بيسرى الى جهة الكرك فسير الامير بدر الدين المذكور الى السلطان يقول انني امسكت كتابا من الرشيدى الى الكرك يقول لاتسلموا الكرك ويحسن لهم التوقف عن التسليم ويعرض عليهم الاتفاق معهم على انه يحضر اليهم هو يتسلمها ويحفظها لهم ويكون هو عونا لهم ويتفق معهم على افساد الحال كله . فكتم السلطان هذا كله وامر الامير بدر الدين بيسرى بالاحتراز التام والتحفظ .

ولما توجه السلطان الى الكرك كما قدمنا شرحه جعل على الرشيدى عيونا فبلغ السلطان انه لما نزل الكذريس ونعرين طلب انه يركب في مماليكه واصحابه ويسبق الى الكرك يدخلها هجما . فركب السلطان اليه ونزل عنده ولاطفه ومازحه وما اظهر له شيئا من ذلك وركب السلطان وركب الرشيدى ففات الرشيدى ما تصده وجرد السلطان الامير بدر الدين الايدمرى ومعه جماعة كبير وامرهم بالتقدم لحفظ الطرقات على الرشيدى لئلا يسبق الى الكرك وجهز صحبة بدر الدين الايدمرى المذكور دهليزا مخلعا على البغال حتى يظهر للناس مايخفي افعالهم ويقضي بسكون النفوس . وسار الامير بدر الدين وحفظ على الرشيدى الطرقات ونزل (٢٩ و) السلطان بركة زيزا فبلغه ان الرشيدى عازم على شيء من ذلك وانه ربما يركب ويسوق الى الكرك فعمل السلطان معه خديعة حسنة . وذلك انه سير اليه احد خواصه يبشره بأن الكرك قد تسلمت . فلما سمع الرشيدى ذلك اظهر فرحا وخلع على المبشر ووقف عن فعله وبطلت حركاته . وساق السلطان الى الكرك واتفق ماقدره الله تعالى من فتوحها كما قدمنا وترتيب قواعدها والسلطان لايزيد الرشيدى الا الاحسان والتقريب . ولما وصلت الخيل من جهة العربان تقادم طلب منه فسير له خيلا من اجودها .

ونـزل السلطان غزه راجعا فقام ليسبغ الوضوء على عادته . وتفرقت الخاصكيه للوضوء والتهيىء لصلاة الجماعة على العادة . وقام السلطان يركع قبل الاذان واذا بالرشيدى قد اقبل في مقدار ثلاثماية فارس متعددة من مماليكه والامير الدمياطـي والامير البرلي . فما احتفل السلطان بهم ولا قطع صلاته . وسلم ولبس سـيفه . ولم يجد احدا حاضرا الا الامير شمس الدين سنقر الرومي . فقال له السـلطان : ما الذى رأيت ؟ قـال : جماعة ما جاءوا في خير . وبعد هذا حضر الامير سيف الدين قلاوون الالفي بغير سيف الا في وسطه تركاشه لاجل الصيد فأنكر السلطان ذلك منـه . ففهم وراح وشد سيفه وركب فرسا جيدا ووقف . وتراجعت الخاصكيـه والجماعة . وركب السلطان فأتى الرشيدى فوقف قريبا من السلطان في مكان ماجرت عادته بالوقوف فيه . فحضر الاميرعز الدين اوغان الركني ، فقال للرشيدى : اراك في هذا المكان ، ماهذا مكانك ياسيف الدين . واظهر انه في مزح . وما زال به حتى ساق من ذلك المكان وسـاق (١) (٢٩ ق) الدمياطي والبرلي وتفرقوا .

وكانت جرت من الدمياطي قضية اخرى وهي ان السلطان لما ملك الكرك ونزل اولاد الملك المغيث اعطاهم السلطان خلعا واقمشة وانعاما كثيرة وانزلهم في المنظرة التي في الوادى تحت الكرك قريبا من منزله السلطان . فسير لهم الدمياطي ضوءا وجماعة يبيتون من حولهم بغير مرسوم الا ابتداء بنفسه . ثم حضر في الليل اليهم جماعـة من مماليكه بالسيوف ملثمين فكسروا الصناديق واخذوا القماش الذى كان السـلطان اعطاهم اعتقادا منهم ان تقوم فتنة في الليل وشوشه في العسكر ولا يعلم احد انهم مماليك الدمياطي . واذا عوقب الدمياطي في ذلك قال انا سيرت حتى يحفظوهم وسيرت

---

(١) مكسورة في الاصل في اول ص ٢٩ ق ايضـا .

الضوء فكشف الله ذلك وظهر القماش عند مماليكه الخواص. فأطلع السلطان على القضية فتحدث معه الامير شجاع الدين المهمندار فما سلمهم الدمياطي ولا انصف منهم. وقال : انا اغرم عنهم ماعدم . واحضر بعض القماش وقرر ان يقوم بدراهم عن بقية ذلك . والسلطان ساكت لايتكلم بكلمة الا يحتمل هذا ويحترز على نفسه الى ان وصل الى الديار المصرية ودخل قلعته سالما واستقر بها . واصبح وطلب الامير الرشيدى . فاعتقله وطلع الامراء الى الخدمة في اليوم التالي فقبض على الامير الدمياطي والامير البرلي وحسم هذه المادة . واحسن الى مماليكهم وخواصهم واقرهم على اخبازهم . ولم يغير على احد منهم شيئا . ولا تعرض الى بيوت الامراء . وزاد الامراء الناصحين له على اقطاعاتهم وامر من يستحق الامرة والله اعلم .

ذكر وصول رسول الملك بركه

لما وصل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي قريبا من غزه وهو راجع من الكرك ووصل اليه البريد من الامير عز الدين الحلي نائب السلطنة بالديار المصرية يذكر وصول الكتب من الاسكندرية بوصول رسول الملك بركه . وهم الامير جلا الدين ابن القاضي ، والشيخ نور الدين ومعهما جماعة . ويخبر بوصول رسل الملك الاشكرى ووصول مقدم الجنوية ورسل السلطان عز الدين صاحب الروم . فكتب السلطان بالاحسان اليهم جميعهم ولما استقر السلطان في قلعته اجتمع بهم بحضور الامراء والناس وقرا كتبه التي (١) على يد الشيخ نور الدين ومضمونها السلام والشكر وطلب الاتحاد على هلاوون والاعلام بما هو عليه من مخالفة سنكر خسان

---

(١) " في الاصل " الذى " .

وشريعة اهله · وان كلما فعله من تلاف (١) النفوس بطريق العدوان منه · وانني قد قمت انا واخوتي الاربعة بحربه من سائر الجهات لاقامة منار الاسلام واعادة مواطن الهدى الى ماكانت عليه من العمارة وذكر الله والاذان والقرآن والصلاة واخذ ثار الايمة والامة · ويلتمس انفاذ جماعة من العسكر الى جهة الفرات لامساك الطريق على هلاوون · ويوصي على السلطان عز الدين صاحب الروم ويستمد مساعدته · وانفصل هذا · وحمل الى الرسل من الانعام مالا يحصى ورسم بتجهيز الهدية الى الملك بركه من كل شيء على اختلافه يعمل لهم في اللوق دعوة واستمر تنعقد هما في كل يومي سبت وثلاثاء يوما لعب الكره بأصناف الانعام (٣٠ ق) والاقمشة وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالى ·

ووصل ولد الملك المغيث وهو الولد الاكبر واخوته وحرمه الى مصر · فأمر السلطان الملك الظاهر بماية فارس بمصر وخلع عليه واعطاه طبلخاناه واطلق لاخوته وحرم والده جميعهم كلما يحتاجون اليه ولغلمانهم ولمعارفهم · وعمتهم الصدقات الشريفة الكبير والصغير · وكذلك جميع المفارده الكركية عوضهم عن مغلهم الذى كان في الكرك واعطاهم الاقطاعات · وكان حضر اليه الامير صيف الدين الرزارى وسأله بسبب تسلم الكرك فرآه السلطان في بعض الايام فطلبه واعطاه الف دينار عينا طلب بها املاكا فكوتب عليها مكاتيبه شرعية ·

وفي يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان من هذه السنة خطب الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي بحضور رسل الملك بركه ودعى للسلطان الملك الظاهر وللملك بركه وصلى بالناس واجتمع بالسلطان وبالرسل في ٠٠٠٠٠ (٢) ·

---

١) "اتلاف" في ابن عبد الظاهر (ص ٨١) ·
٢) كلمات غير مقروءة ·

وفي ليلة الاربعاء ثالث شهر رمضان من هذه السنة سأل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي هل لبس الفتوة من احد من اهل بيته الطاهرين او من اوليائهم المتقين فقال : لا ، والتمس من السلطان ان يصل سببه بهذا المقصود ومنحه هذا الامر الذى من بيته بدا واليه يعود . فلم يمكن السلطان الا طاعته المفترضة وان يمنحه ما كان ابن عمه رضي الله عنه افترضه وان يحلي بالجوهر منضده ويقلد بالسيف مجرده ويعطي القوس لباريها ويسلم الصهوة لراقيها ويكون في ذلك كمحبب الجلد للابسها ومفتوح الحذوة لقابسها . ولبس في الليلة المذكورة بحضور من يعتبر حضوره في مثل ذلك . وباشر ذلك الاتابك فارس الدين اقطاى بطريق الوكالة المعتبره عن السلطان ...(١) الامام المستنصر بالله امير المؤمنين ولد الامام الظاهر وابوه (٣١و) لجده الناصر رضوان الله عليهم لعبد الجبار يعلي بن دغيم ... الله بن .... لعمر بن الرصاص لابي بكر بن الحصر ... ابن السامار بن لقابس الطاح ، لنفيس العلوى لابي هاشم ابن ابي حيه لعمر بن السر ، لابي على الصوفي " لمها " العلوى للقايد عيس لامير وهران لروتمه الفارسي للملك ابي كيجار لابي الحسن النجار لفضل الفرقاشي للقايد شبل بن الكدم لابي الفضل القرشي للامير حسان لحوثر البزارى للامير هلال النهاني لابي مسلم الخراساني لابي العز النقيب لعرف "العادى" الحافظ الكندى لابي علي "البوس" لسلمان الفارسي صاحب سيدنا ونبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال له صلى الله عليه وسم سلمان من اهل البيت للامام الطاهر النقي امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

---

١) فسحة بقدر كلمة .

وحمل اليه السلطان من الملابس الشريفه لاجل ذلك مايليق بجلاله ·
وفي الليلة الثانية حضر رسل الملك بركه الى القلعة والبسهم الخليفة بتفويض الوكالة للاتابك وحمل اليهم من الملابس مايليق بمثلهم ·

ذكر تجهيز رسل الملك بركه وسفرهم بهدية الملك الظاهر

قال صاحب كتاب " نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك " حاكيا عن جده القاضي محي الدين بن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر مامعناه :
لما رسم السلطان الملك الظاهر بتجهيز الهدية الى الملك بركة من كل شيء على اختلافه كتب الملوك جواب الملك بركة في قطع النصف في سبعين ورقة بغدادية فيه الايات من كتاب الله تعالى واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الترغيب في الجهاد وما ورد في مصر من الاحاديث والايات وفي قتال المشركين والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم (٣١ ق) في الجهاد · وفيه ذكر مواطن العبادات ومواضع الزيارة في ساير البلاد التي دعي له فيها شيء كثير · وجمع هذا الكتاب من الترغيب والترهيب والاستمالة والاغراء والتعاظم عليه واظهار الميل اليه · ووصف كثرة جنود الديار المصرية وما هي عليه وزيادة عساكرها عن المعتاد وانها كلها موافقة له في نصرة الاسلام · وقرأت الكتاب على السلطان بحضور جماعة الامراء وهو يزيد فيه وكذلك الاتابك محلية ولما تكامل هذا الكتاب وتجهزت الهدية المباركة وهي ختمه شريفة ذكر انها خط عثمان بن عفان رضي الله عنه بغلاف اطلس احمر مزركش ضمن درج أدم مبطن بعتابي وكرسي لها عاج وابنوس مخرم بسقط فضه وقفل فضه خروق بندقي كوامل عدة كثيرة · نمز لوقات للصلاة وسجادات الوانا متنوعة اكسيه لواتية (١) الوانا عدة من الاديم الدسوت والاقطاع المسروقه وسفر للشمعدانات جملة كثيرة سيوف

---

١) في الاصل " لواسه " ·

قلجورية بأسقاط فضه · طوارق مدهونة · فوانيس باغشيه بندقي · منجنيقات للشمع مدهونة باغشيه · فوانيس فضه باغشية بندقي · صاروقات برسم الرماح للفوانيس الفضة كفايتها مشاعل جفناه · وقواعدها كفت جملة لجم كفت بروس محزوزه بشريط محلاة بفضه وكوابج فضه مطلاة وانفار محلاة والياب بسروج خوارزميه وتمازينات برسمها · جراوات برغالي محزوزة بشريط · واسقاط فضه في قسى حلق دمشقية اوتار حرير قسى بندق باوتارها · اجراث حرود (١) القرود البلق · شمعدانات مطعمه بفضه · رماح قنا · اسنة حديد عربية · نشاب بديع الصنعة في صناديق مجلدة · قد وبرام · قناديل كبار · مدهونة رنك (٣٢و) سلاسل فضه مطلاة · خدام ، جوارى طباخات ···· (٢) عدة خيل جياد سبق عبي عربيه كفايتها هجن ··· (٣) دواب فره لاتلحق وحمير وحشية · نسانيس معلمه اكوار للهجن كفايتها ، مقاود بسلاسل اجلال قص للدواب وملاليط خطائي للنسانيس · زراف جن كله قمر معمور (٤) مصور وسمور من ذلك كله عدد كثير · وغير ذلك اشياء مستظرفه وتحف مستغربه ولطايف لايوجد مثلها في خزانه ملك · وصحبتها غلمان ومن يقوم بهذه الحيوانات · وسلم جميع ذلك لرسل السلطان واهتم به اهتماما كثيرا وهذا لمصلحة الاسلام · وجهز الامير فارس الدين اقوش المسعودى والشريف عماد الدين الهاشمي رسولين الى الملك بركه واصحبهما هذه الهدية · والبس رسله الفتوه من مولانا الخليفة سلام الله عليه · واحضرهما خطبته والصلاة خلفه والاجتماع به والحث على اقامة

---

١) " الجلود " في ابن عبد الظاهر (ص٨٢)
٢) غير مقروءة في الاصل ولكنها بيغاوات في ابن عبد الظاهر (ص٨٣)
٣) " " " " " " نوبيه " " " " (ص٨٣)
٤) كذا في الاصل لكنها مخمور في ابن عبد الظاهر (ص٨٣)

فريضة الجهاد . وحملهما الوصايا للملك بركه والمشافهة والشكر لمساعي السلطان وما هو بصدده من اقامة الشريعة وسد الذريعه ورفع منار الدين وجهاد المشركين وملازمة العفاف ومعاملة الرعية بالعدل والانصاف وما جمعه من العساكر والجنود التي ليس لها اول ولاآخر مايعيد انه على الملك بركه . وجهز لهما طريدة عظيمة جمعت من اصناف الحيوانات المسيرة هدية وما فيها من الاشياء الفاخرة . وجهز فيها عدة كثيرة من الرماة والزرافين والجرخيه وحمل معهم مؤونة سنة . وتقدم بأن يزار بهم مواطن العبادات . وكتب السلطان بأن يدعى له بمكة شرفها الله تعالى والمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلوة والسلام والبيت المقدس وان يدعى له بعده في الخطبه وسير الى (٣٢ ق) مكه شرفها الله عمرة شريفه كتبتها يعتمر له بها . وسافروا في سابع عشر شهر رمضان سنة احدى وستين وقد شاهدوا من عظمة السلطان ما بهر عقولهم والله اعلم .

ذكر توجه الملك الظاهر الى الاسكندرية

في السادس شوال من هذه السنة سنة احدى وستين وستماية توجه السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي الى جهة بحر النيل المبارك وعدى الي الجيزيه وصحبته خواص دولته الزاهرة واوليايه المتناصرة . ولما وصل الى تروجه اقام بها اياما . ثم دخل البرية يتصيد ويضرب حلقة صيد . فحصل له من ذلك شيء كثير .

واهتم بأمر المياه والتساوي في ورودها فولى امرها احد حجابه الامير شجاع الدين الزاهدي واحضر من الاسكندرية الرجال لحفر الابار ونزحها من الاكدار .

ولما قضي وطره من الصيد ورجع وقد سفك من دماء الوحوش ماعادته يسفكه من دماء اعداء الدين عاد الى تروجه • وتوجه منها الى الاسكندرية •

وكـان الصاحب الوزير بهاء الدين قد سبر الى الاسكندرية فأحسن الى اهلها وحصل جملا كثيرة للخزانة العالية • ومن جملة ماحمل خمسة وتسعين لفة قماشا • وحصل من الاموال مالا يحصى كثرة ولم يضرب احد •

• ولمـا وصل السلطان الى الاسكندرية ضرب خيمته خارج المدينة ونادى بأن لا يقيم في الثغر جندى ولا ينزل احد في دار فحصل للناس بذلك رفق • واستقر الناس في اوطانهم • وفي يوم الخميـس مستهل ذى القعدة من هذه السنة دخل السلطان الاسكندرية من باب رشيد وتلقاه اهل المدينة واستدعى الخزاين (٣٢و) والامتعة • وشرع في تعبيه مايعبيه للامراء على قدر مراتبهم • ورسم بمكتوب برد مال السهمين وصلة ارزاق الفقراء • وكان اهل الاسكندرية قد كثر همهم بسبب استخراج ربع دينار على كل قنطار يباع • فحطه عنهم وابطله عن الرعية ولعـب النره فخلع على الامراء واعطى الاتابك ثلاثة الاف دينار واعطى الامراء مثل ذلك واقل من هذه الحملة على طبقاتهم الى ماية دينـار •

وركب السلطان لزيارة الشيخ الصالح القناوى وحضر شخص وقال ان الشيخ استوذن على حضور السلطان اليه والطلوع الى قصره فأذن لهم ثم حضر آخر وقال : لا سبيل الى الطلوع ولا الى كلامه الا من اسفل البسـتان •

واتى لزيارة الشيخ الصالح الشاطبي وعاد في البحر الى سرير سلطانه •

وكـان قد حضر شخص يقال له ابن البورى وادعى ان بالثغر اموالا ضائعة واعطاه بها اوراقا • وكذلك رجل اخر يعرف بالمكرم ابن الزيات كتب اوراقا • فاستدعى السلطان في يوم الثلاثاء سادس ذى القعده الشهر المذكور الاتابك والصاحب والقاضي والفقهاء

وقرأت الاوراق · وصار السلطان كلما فتح له بابـ‍ظلمه سده · ويعود على المذكوريـن بالانكار · ولقـد قـال السلطان : اعلموا انني تركت لله تعالى الف دينار مـن التصقيع والتقويم والراجل والعبد والجارية وتقويم النحل وعوضني الله من الجهات الحلال اكثر منـه · وطلبت حرايد الحساب فزادت بعد حط المظالم جملـة · ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا وامر باشـهار ابن البـورى ·

وفي يوم الاربعـاء سابع ذى القعده الشهر المذكور وردت الكتب من جهـة البيره وحلب بأن جماعة مستأمنة واردة الى الباب العزيز فوق الالف وثلاثماية فارس (٣٣ ق) من المغل والبهادرية · فكتب السلطان بالاحسان اليهم وكان ماسنذكره ان شـاء الله تعالـى ·

وفـي يـوم الخميـس ثامن ذى القعده الشهر المذكور جلس السلطان الملك الظاهر بدار العدل بالاسكندرية وبسط العدل له وامر بعد ذلك بتطهير الثغر مـن الخواطي الفرنجيـات ·

وفي يوم الاثنيـن ثاني عشر ذى القعده الشهر المذكور توجه السلطان الملك الظاهر عايدا الى مستقر ملكه بالقاهره المحروسة · ونزل تروجه وامر عربانها بالسـباق بالخيل · فاجتمع من عربها لا غير الفا فارس واجتمع اليها جملة من خيل العسكر، وكـان مداها من المرقب الى التل قريب تروجه · ووقف السلطان بالتل واوقف الرماح وعليها الثياب الاطلسي والعتابي ، وفيها المال · فلم يكن غير ساعة واذا بالخيل قد اقبلـت كانها العقبان فأخذ كل راكب حصل للسباق ولم تطمع عينه الى شيء من الخيل · ولما حل السلطان الملك الظاهر بر مصر زاد النيل واستمـرت زيـادتـه ····

لاعجب للنيل ان زاد من (١) بعد انتقاص كان فيه الحذار
فمقدم السلطان وافي به وانما السحب تمد البحار

ولما وصل السلطان من الاسكندرية الى مصر مقر ملكه اعاد الفكرة في قضاء الثغر المحروس ورأى توليته لرجل غريب . فوقع الاختيار على الفقيه العالم برهان الدين المالكي وهو رجل زاهد عابد ياوى في مسجد بمصر . فقلده القضاء بالاسكندرية وتوجه اليها . وفوض الخطابة للقاضي زين الدين ابن ابي الفرج الذى كان حاكما . وصلح الحال بهذا التدبير .

وفي آخر ذى القعده الشهر المذكور نزل السلطان الملك الظاهر الى القاهره المحروسة فعاد الامير سيف الدين (٣٤ و) قلاون الالفي والامير علاء الدين الحاج ايدغدى الركني والامير حسام الدين بن بركة خان . وعاد الى قلعته سالما .

وفي ليلة الاربعاء الخامس من ذى الحجة من هذه السنة توفي الامير حسام الدين ابن بركه خان ونزل السلطان وحضر جنازته ومشى فيها والله اعلم .

ذكر وصول التتار المستأمنين الى القاهرة المحروسة

قد قدمنا ان الكتب وردت من جهة البيره وحلب بأن جماعة من التتار مستأمنة واردة الى الباب العزيز واهتم السلطان بوصولهم وتجهيز الاقامات لهم . وفي يوم الخميس السادس من ذى الحجة الشهر المذكور وصلوا فركب السلطان الملك الظاهر لتلقيهم والملايكة والملوك به محيطه والمله الاسلامية به محوطه . ولما قرب التتار شاهدوا السلطان وهو كالبدر ليله كماله والاسد بين اشباله نزلوا وقبلوا الارض . قال صاحب "نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" : الواجب الدعاء لملك نصر الاسلام

---

١) ليست في الاصل ولكنها ضرورية للوزن .

واعزه بعد الاهتضام . فانه فرق بين ملك تقبل ملوك التتار الارض بين يديه وهو راكب وبين ملك كانت التتار تطلب منه حضور الحرم في المشارب وبين ملك تهادته ملوك الاسلام والكفر وتطلب منه الرضى والغفران وملوك تهادى ملوك الكفر تطلب منهم الامن والامان . وبين ملك تسلم من الكفر البلاد والحصون وبين ملوك سلموا الكفر من البلاد والقلاع والحرم والاولاد والاموال كل مصون . وكان قد عمرت لهم مساكن باللوق فانزلوها . وفي يوم السبت الثامن من ذي الحجة الشهر المذكور لبسوا الخلع . واتفق ان السلطان نزل في السحر الى تربة حسام الدين ابن بركه خان ووافوه عند باب الجامع الصالحي وشاهدوا (٣٤ ق) على باب زويلة رأس كتبغا نوين مقدم عسكر التتار المقتول بعين جالوت وغيره من اكابر التتار المعلقة على علو الباب . فنظم صاحب "كتاب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك" (١)

يامليكا له الحسام المبيد	وكريما له العطاء المفيد
لك سيف به الغوي شقي	ونوال بـه الولـي سعيد
شاهد الناس منك يامك الارض	امورا لها يليـن الحديد
شاهدوا منك اذ ركبت من	جامع الصالح نصرا يموت الحسود (٢)
فروس على الشراريف تتلى	وروس على التراب سجود
حيزوا في التتار في خلع منك	وكـل صنايـع وعبيـد
وراوا منهم روسا على السور	بحكم الرماح امست تميد
هذه قد عصت وهذى اطاعت	هكذا هكذا يكون السعود
دمت ترقى لك الحياة صعيدا	كل يوم لها اليه صعود

واقاموا في الاحسان يتقلبون وكل منهم يقول لما يشاهد من الخير ياليت قومي يعلمون .

---

١) في ابن الظاهر (ص ٨٧) مايدل ان الشعر لابن عبد الظاهر نفسه .
٢) كذا في الاصل وقد اسقطت كلمة "جامع" في ابن عبد الظاهر (ص ٨٧) لاستقامة الوزن راجع ملحوظة ٢ ص ابن عبد الظاهر (ص ٨٧) .

قال صاحب " كتاب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك " حاكيا عن جده القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سير الملك الظاهر ماصيغته : ووصلت الكتب بقوم جماعة اخرى كثيرة منهم . فاحتفل السلطان بهم وركب لتلقيهم ثم ورد جماعة اخرى فاعتمد معهم الاعتماد . وكان الواصل الى الخدمة في هذه الثلاث مرار من امرائهم الاكابر كرمون آغا الذى فتح بلاد الترك جميعها . وامتماغا (١) ونوكا اغا وحبراك(٢) اغا وقنان (٣) آغا . وطبشورونا سغيه ونيتو (٤) وصحتي وخوجلان واجقرقا (٥) وارقداق(٦) وصلاعية (٧) وميقدم (٨) . واجتمعوا بمن كان وصل قبلهم من امراء التتار . وهم صراغان اغا ومن كان وصل معه . وصار كل منهم لوقته اميرا ثم ان السلطان عرض عليهم الاسلام فأسلموا على يده الشريفة وطهروا جميعهم فنظم المملوك في ذلك (٣٥و) :

يامالك الدنيا الذى ... اضحى صحا للامم
يامن محا بالعدل ما ... للظلم فينا من ظلم
يامن يساق له التتار ... غنيمة مثل الغنم
خافوا سيوفك انها ... ستسوقهم نحو النقم
فأتوا لبابك كلهم ... يأوون منه الى حرم
امنوا به مما يخاف ... من البلايا والسقم
جعلوا جنابك جنه ... وترى خيولك مستلم

---

١) في الاصل " وامغاغا " . وكذا في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .
٢) = = "وجرال " . لكنها حبرال في ابن عبد الظهر (ص ٨٨)
٣) في الاصل وقبان لكنها "قنان "في ابن عبد الظهر (ص ٨٨)
٤) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) وفي الاصل "وسو "
٥) " واحقرقا "في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨)
٦) وارقرق في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨)(٧) كذا في الاصل وصلاغيه في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨)
٨) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) وفي الاصل ومعدم .

بسطوا يمينا للهداية ... طالما خضبت بدم
اعطيتهم ماللمؤلفة القلوب ... من القسم (١)
لازلت يامالك الزمان ... لك الملوك من الخدم

وفي هذه السنة تقدم الامير بها الدين اميراخور احد قراني السلطان وخواصه بضرب مناديه سوق الخيل لامر جرى منه فيما يتعلق بالاسطبلات وما يشترى لها من الخيل . فضرب احدهم وحمل الى بيته فمات . فعز هذا الامر على الملك الظاهر . فهرب الامير بهاء الدين واستخفى واستتر عن الامير سيف الدين قلاون الالفي لتقع فيه شفاعة . فدخل على الاتابك فأخرج لاولاد المتوفي من ماله خمسة الاف درهم ومائة اردب غلة وكسوة . فأبراه مستحقوا الارث واقروا ان اباهم مات بقضاء الله وقدره . ودخل الاتابك الى السلطان وتحدث في امره . فغضب السلطان . فقال له الاتابك تغضب والشرع الشريف معنا . فان كان هذا قتل عمدا او خطأ هذا الابراء " وعند ذلك شفع الامراء الاكابر . فسكت السلطان سكوت من اسكته الحق . وهذا فعله في حق اقرب اوليايه اليه فكيف الاباعد .

وفي (٣٥ ق) هذه السنة امر الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي بعمل جامع خام يضرب على يمنه الخيمة السلطانية . فعمل وعمل له محاريب وعدة ابواب . وعملت فيه مقصورة برسم صلاة السلطان . وامر السلطان بعمارة دار العدل تحت قلعة الجبل وتجديد بنايها .

وفي هذه السنة وصلت رسل صاحب اليمن بتقادمه . وذكر الرسل ان معهم هدايا لخواص الامراء تقربا لخاطر السلطان . فأمر بارسالها الى من عينت له . واذن للامراء في قبولها .

---

١) كذا في ابن عبد الظاهر (٨٨) وفي الاصل " السقم " .

وفي هذه السنة عرض السلطان الملك الظاهر العساكر وجلس لذلك في كل خميس واثنين ولم يحز عرض احد حتى حقق النظر . واي جندي اشتكى من مخدومه امر بانصافه منه .

قال صاحب "نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك" ماصيغته : وفي هذه السنة نظر السلطان في كثرة الناس وان القاهرة هي دار الملك وقد جمعت اهل المذاهب من العلماء فأمر بنصب اربعة قضاة نوابا للقاضي تاج الدين فاستناب قاضيا حنفيا وقاضيا مالكيا . ولقلة الحنابلة لم ينصب قاضي حنبلي بل جعل لهم عاقد . فوجد الناس بذلك راحة " انتهى كلامه . وقد قدمنا انه استناب ثلاث نوابه حنفي ومالكي وحنبلي والله اعلم اى ذلك كان .

وفي هذه السنة جهز الملك الظاهر عرب خفاجه . وسير الخلع الى كبراء العراق . وكتب الى صاحب شيراز وغيره بالاغراء بهلاون . وكانت وصلت جماعة من امراء خفاجه فالبسهم السلطان الفتوه وجهز معهم الامير عز الدين الاتابك رسولا الى شيراز وغيرها صحبة امراء عرب العراق .

قال صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم بن الامير ناصر الدين محمد بن الامير عز الدين ايدمر دقماق في تأليفه " نزهة الانام في تاريخ (٣٦و) الاسلام " ماصيغته : وفيها في العشر الاول من صفر جمع تكفور صاحب سيس جموع كثيرة خيلا ورجلا وخرج من سيس واغار الى بلد العمق وجبل ومعرة النعمان وسرمين والفوعه . وذلك بدلالة رجل من اهل الفوعه يعرف بأبن ماجد الفوعي . فأخذ من الفوعة ثلاثماية وثمانين نفرا . وكبس سرمين وكان بها من الامراء المجردين بهاء الدين الخضر الحميدي والذكي عيسى العروي وعلم الدين قيصر الظاهري فانحازوا الى دار الدعوة بسرمين .

واجتمع عليهم خلق كثير وحاصروهم . ثم ان الاميرزكي الدين عيسى ركب وركب الامراء رفقته . وفتح باب للدعوة وخرج وحمل فيهم فصادف في حملته صاحب سهم ولم يعرفه فرماه عن جواده فتغللت لاجله عزائم اصحابه فولوا هاربين لايلوى احدا منهم على احد وخلص الماسـوريـن .

وفيها حدثت زلزلة عظيمة في شهر رمضان بالموصل اخربت اماكن عظيمة وهدمت ادر كثيرة . ووصلت اخبارها الى البلاد الشاميه وما حصل للناس منها من الضرر .

وفيهـا جهز السلطان الملك الظاهر من القاهرة المحروسة الى المدينـة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام جماعة من ارباب العماير من بنائين ونجارين ونشارين وعتالين واخشاب والات . وحمل ذلك في البحر لاجل عمارة الحرم الشريف النبوى . وعمل السلطان كسوة للكعبة المشرفة وحمل الكسوة على البغال وطيف بها البلدين . وركب معها الخواص وارباب الدولة والقضاة والمدرسين والقراء والصوفية والخطباء والائمة . وسافر من تسلمها بها الى مكة المشرفة في العشر الاوسـط من شوال وفوض امر العمارة لزين الدين ابن البورى .

(٣٦ ق) وفيهـا جاءت الاخبار الى الديار المصرية بأن الفرنسيس كان قـد جمع جمعا من الفرنج وقصد الديار المصرية لما في قلبه من الكسرة الاولى بدمياط كما قدمنا شرحه . فأشار عليه بعض اصحابه بقصد تونس بالغرب اولا . فاذا ظفرت بها تمكنت من قصد الديار المصرية برا وبحرا . فلما نازلها بتلك العساكر الكثيـرة التي جمعها وكان يستولي عليها اوقع الله تعالى في عسكره الوباء . فهلك الفرنسيس وجماعة من الملوك وكثير من اهل العسكر وصاروا الى جهنم وبئس المصير . ورجع مـن بقي منهم الى بلادهم بالخيبـة .

وفيها اخذ قاع البحر خمسة اذرع وسبع اصابع وانتهت الزيادة الى سبع عشرة ذراعا وثلاث اصابع .

٦٦٢ هـ (١٢٦٣/١٢/٢٣ ـ ١٢٦٤ ت ١)

٣٧و) ذكر الحوادث في سنة اثنتين وستين وستماية .

قال صاحب " نظم السلوك في تواريخ الخلفا والملوك " استفتح السلطان هذه السنة بالعدل والانصاف وحضر الى دار العدل . فوقف له ناصر الدين بن ابي نصر وشكى انه اخذ له بستان في الايام المعزية وهو بأيدى المقطعين . واخرج كتابا مثبوتا واخرج حال من ديوان الجيوش المنصوره بأن بستانه ماهو من حقوق الديوان . فأمر السلطان برده عليه . فرد اليه ماكان غصب من حقه . واطلع نجم الحق من افقه " .

قال " واحضرت ورقة مختومة فكشف عن من احضرها فوجد محضرها خادم اسود فقرئت فوجد فيها مرافعة في القاضي شمس الدين شيخ الحنابلة يذكر فيها انه يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته . وسبب ذلك ان السلطان ماجعل للحنابلة مكانا في المدرسة التي انشأها بين القصرين داخل القاهره المحروسة بجوار قبة الملك الصالح نجم الدين ايوب . ولا جعل حنبليا قاضيا . وتحدث في اشيا قادحة في الشيخ المذكور . فقرئت على الشيخ فحلف ان ذلك ماجرى منه شيء وقال : هذا الخادم كان بخدمتي وطردته . فقال السلطان ولو شتمتني انت في حل وامر بضرب الخادم فضرب ماية عصا " .

وامر بان ينادى في القاهره ومصر بأن امرأة لاتتعمم بعمامة ولاتتزيا بزى الرجال . ومن فعل ذلك بعد ثلاثة ايام يسلب ماعليها من الكسوة .

وفي اول هذه السنة طلب السلطان الطواشي شجاع الدين مرشد الحموى فحضر الى الابواب الشريفه . فتحدث السلطان معه في اشتغال صاحب حماه بالملاذ . وقال له قد كتبت اليه انبهه من هذه الفعلة . وطلبت شرف الدين عبد العزيز شيخ الشيوخ وسيرته اليه في هذا (٣٧ ق) الامر فما افاد . وقال له : انا اعتمدت عليك في مصلحة هذا البلد لما فيك من دين وخير وشجاعة . وقرر معه انه يلتزم بتكميل الاستخدام وان يلزم الاجناد باقامة التبرك والعدة الكاملة . فالتزم بهذه الامور وكتب له تقليد شريف وتوجه .

وفي المحرم من هذه السنة وصل الامير جمال الدين بشكر ولد الدوادار . وكان ابوه المجاهد داودار الخليفة ببغداد . وكانت له نعمة عظيمة ومماليك وغيرها فأحسن اليه السلطان الملك الظاهر واعطاه طبلخاناه .

ذكر حضور اهل العلم بالمدرسة الظاهرية

كان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي امر بأنشاء مدرسة بخط بين القصرين داخل القاهره المحروسة بجوار من المدرسة الصالحية مدفن استاذه الملك الصالح نجم الدين ايوب . فلما تكملت عمارتها فوض تدريس السادة الحنفية للصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين ابن العديم ، وتدريس السادة الشافعية للشيخ تقي الدين ابن عبد الله محمد بن الحسن ابن رزين والتصدر للاقراء الفقيه كمال الدين المحلي . والتصدر لافادة الحديث النبوى الفقيه شرف الدين عبد المؤمن بن الشيخ خلف بن ابي الحسن بن شرف الدين خضر بن موسى الدمياطي . فلما كان يوم الاحد الخامس من صفر من هذه السنة وقال صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم

بن دقماق : كان جلوسهم في يوم الاحد سابع عشر صفر او سادس عشره . اجتمع اهل العلم بالمدرسة الظاهرية وحضر القراء وجلس اهل الدروس كل طايفه في ايوان الشافعيه بالايوان القبلي والحنفية بالايوان البحرى الذى تجاهه واهل الحديث بالايوان الشرقي ومن يقرأ بالروايات السبع بالايوان الغربي . وفي هذا الايوان جماعة يقرون السبع بعد صلاة الصبح . وذكروا الدروس ومدت الاسمطه لهم . وانشد الشيخ جمال الدين ابو الحسين الجزار .

الا هكذا يبني المدارس من بنا ... ومن يتغالى (١) في الثواب وفي الثناء

لقد ظهرت للظاهر الملك همة ... بها اليوم في الدارين قد بلغ المنا

تجمع فيها كل حسن مفرق ... فراقت قلوبا للانام واعينا

(٣٨و) ومذ جاوزت قبر الشهيد فنفسه ... النفيسة منها في سرور وفي هنا (٣٨و)

وما هي الا جنة الخلد ازلفت ... له في غد فاختار تعجيلها هنا

وانشد الشيخ سراج الدين الوراق قصيدة منها .

مليك له في العلم حب واهله ... فلله حب ليس فيه ملام

فشيدها للعلم مدرسة غدا ... عراق اليها شيق وشآم

ولا تذكرن يوما نظاميه لها ... فليس يضاهي ذا النظام نظام

ولا تذكرن ملكا وبيبرس مالكا ... فكل مليك في يديه غلام

ولما بناها زعزعت كل بيعه ... متى لاح صبح فاستقر ظلام

ومذ برزت كالروض في الحسن انبأت ... بأن يديه في النوال غمام

الم تر محرابا كأن ازاهرا ... تفتح عنهن الغداة كمام

---

١) " يتعالى " في ابن عبد الظاهر (ص ٩٢)

وانشد الشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب

قصد الملوك حماك والخلفاء فافخر فان محلسك الجوزاء
انت الذى امراؤه بين الورى مثل الملوك و جنده امراء
ملك تزينت الممالك باسمه وتجملت بمديحه الفصحاء
وترفعت لعلاه خير مدارس حلت بها العلماء والفضلاء
تبقى كما يبقى الزمان وملكه باق له ولحاسديه فناء
كم للفرنج وللتتار ببابه رسل مناها العفو والاعفاء
وطريقه لبلادهم موطوءه وطريقهم لبلاده عذراء
دامت له الدنيا ودام مخلدا ما اقبل الاصباح والامساء

فرسم لهؤلاء الشعراء بالتشاريف . وكان يوما مشهودا . واوقف السلطان بهذه المدرسة خزانه كتب حمل اليها امهات الكتب في سائر العلوم وبني فيهما مكتبا لتعليم الايتام واجرى عليهم الخبز في كل يوم والكسوة في الفصلين .

وفي صفر الشهر المذكور وصل الحجاج مخبرين بأنه خطب للسلطان الملك الظاهر بمكه المشرفه . وتسلم الصدر جمال الدين حسين ابن الموصلي كاتب الانشاء الشريف المتوجه الى مكه المشرفة نائبا بها مفتاح للبيت المقدس المشرف وقفله بالقفل المسير صحبته واباح البيت الشريف ثلاثة ايام بغير شيء . ولا يؤخذ (٣٨ ق) من احد درهم واحد . وكتب الله له في هذه الحسنة التي عامل الرعية فيها بالاحسان والحسنى . وجعل البيت مثابة للناس وامنا .

وفي صفر الشهر المذكور قرئ كتاب وقف الخان بالقدس الشريف بحضور السلطان الملك الظاهر وقاضي القضاة تاج الدين . وحررت شروطه بين يديه . وكتبت بذلك عدة نسخ . وكذلك اوقف اصطبلين تحت القلعة يعرف احدهما بجوهر النوبي وحبسهما على وجوه البر .

وفي صفر الشهر المذكور وردت كتب الامير عز الدين استاد الدار نايب السلطنة بالكرك بانه رتب رواتب الخليل عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله الصلوة والسلام . ورتب الاسمطة والضيافة للوافدين . وكان ذلك قد قطع من مدة طويلة . وعد ذلك من حسنات دولة الظاهر .

وفي صفر الشهر المذكور خرج الملك الظاهر متصيدا الى جهة اوسيم وتوجه منها الى الغربية . وشكى اهلها من واليها الامير ابن الهمام وصار السلطان يركب للصيد ثم ينفرد وحده متخفيا وسائل عن حال الامير ابن الهمام المذكور وحال نوابه وعلمائه وعن المباشرين ولما تحقق سوء اعتماده قبض عليه وادبه وعزله وولى غيره .

واطلع على ان رجلا من نصارى القبط يعرف بابن حلوف يظلم الناس ويؤدبهم فأمر بالقبض عليه وشنقه . قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر : كان المذكور نقل عنه تعرض الى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يليق بشرف النبوة فأسلم ثم ارتد .

وتوجه السلطان الى دمياط وزار البرزخ ثم عاد الى اشموم الى منزلة ابن حسون (٣٩و) وتصيد بها ثم عاد من جهة الشرقيه ٠

وفي صفر الشهر المذكور سأل الفرنج نواب السلطان الملك الظاهر بالشام انهم يأذنون لهم في زراعة البلاد وتقويتها من اموالهم ٠ وهي جملة كبيرة من الغلات ٠ فتقررت الهدنة معهم الى ايام الحصاد ٠ وهي مصلحة ظاهرة لانهم يخرجون من ذخايرهم جملة من الغلات ويكون كما قال الله تعالى " فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون " (١) وعند استوائها تحصد سيوف الاسلام روؤسهم قبل حصادها وينفذ امر الله فيهم نفادهم في انفادها ٠

ذكر وفاة الملك الاشرف صاحب حمص واستيلاء الملك الظاهر على بلاده ٠

في يوم الجمعة حادي عشر صفر من هذه السنة توفي الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور ابراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الامير ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان صاحب حمص ٠ ولم يكن له ولد ولا اخ ولا ولي عهد ٠ فسير السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية الى نوابه بالشام بتسلم بلاده ٠ فوصل البريد في سابع عشرين صفر الشهر المذكور بأن الامير بدر الدين بيليك العلائي احد الامراء قد تسلمها وحلف الناس بها للسلطان الملك الظاهر وكذلك الرحبة والدير ٠ وكان المسير الى الرحبه خاصة عشرين الف دينار عينا ٠

وفي هذا التاريخ ورد كتاب الامير جمال الدين النجيبي يذكر انه ولي حران للامير جمال الدين الجاكي ٠ وولي الرقه لامير اخر ٠

---

١) سورة الانفال ٨ اية ٣٦ ٠

وفي هذه السنة بلغ السلطان الملك الظاهر ان صاحب دهلك وصاحب سواكن يتعرضان (٣٩ ق) الى اموال من يتوفى من التجار في تلك البحار . فسير اليهما بدر الدين ابن الدايه احد رجال الحلقة المنصوره رسولا بهذا السبب وبالانكار عليهما لتعرضهما لاموال من يتوفى من التجار .

قال صاحب "كتاب نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" "وفي هذه السنة ثمن القرط الذى قضمته الخيول السلطانية وجمال المناخات فكان ثمنه خمسين الف دينار" قلت : وكثرة الخيول قد ندب الله اليه واشار في كتابه العزيز الى الاستكثار منها . قال الله تعالى " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامه . والخيل لثلاثة هي لرجل اجر ولاخر ستر ولاخر وزر . فأما التي هي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله فما غيبت في بطونها فهي له اجر ولو رعاها في مرج كان له لكل شيء غيبت في بطونها اجر . ولو استنقت شرفها او شرفين كان له بكل خطوة خطتها اجر . ولو عرض لها نهر فسقاها منه كان له بكل قطره غيبتها في بطونها اجر حتى انه ليذكر الاجر في ارواثها وابوالها . واما التي هي له ستر فرجل يتخذها تعففا وتكرما وتجملا . ولا ينسى حق ظهورها وبطونها في عسره ويسره . واما الذى هي عليه وزر فرجل يتخذها اسرا وبطرا لا يربطها في سبيل الله ليركب عليها المجاهدين .

ذكر جلوس الملك الظاهر بدار العدل عند غلو الاسعار وما فعله
من الرفق بالناس

في هذه السنة غلت الاسعار ووصل الاردب القمح الى قريب المايه

---

١) سورة الانفال ٨ اية رقم ٥٩ .

درهم نقرة . فرسم الملك الظاهر بالتسعير طلبا للرفق فاشتد الحال وعدم الخبز (٤٠ و) فأمر السلطان بالنداء باجتماع الفقراء تحت القلعة . وقيل اشتد الغلاء بمصر واعمالها فبلغ الاردب القمح بمصر مائة درهم وخمسة دراهم والتعبير سبعين درهم والخبز كل ثلاثة ارطال بدرهم . واللحم كل رطل بدرهم وثلث . وبيع القمح بالاسكندرية كل اردب بثلاثماية درهم وعشرين درهم ورنا . ثم اشتد الحال بالناس الى ان اكلوا ورق اللفت والكرنب وورق الكراث وخرجوا الى الجسر فأكلوا عروق الفول الاخضر .

فأحسن الملك الظاهر السياسة . ونزل في يوم الخميس سابع شهر ربيع الاخر من هذه السنة الى دار العدل . فأول ما تحدث فيه امر الغلة وبطل التسعير . وكتب الى الامراء ببيع خمسماية اردب كل يوم بما يقدره الله تعالى منوبيتين فما دونها لئلا يشتري منه الطحان بل يباع على الضعفاء والارامل . ونزل حجابه الى تحت القلعة وكتبوا اسماء الفقراء . ثم سير الى كل جهة حاجبا لكتب الاسماء في القاهرة ومصر وحواضرها . وقال : والله لو كانت عندي غلة تكفي هذا العالم لفرقتها . فلما عد العالم وحصروا اخذ السلطان الوفا واعطى لنواب ولده الملك السعيد كذلك واخذ ديوان الجيوش وكتب الاسماء واعطى لكل امير جماعة على قدر عدته وفرق الفقراء على الامراء والاجناد ومفاردة الحلقة والمقدمين والبحرية . ونزل التركمان ناحية . وكذلك الاكراد البلديين . ورسم بأن يعطى لكل فقير كفاية مؤونته مدة ثلاثة شهور . وتسلم نواب الامراء الفقراء وكذلك الاكابر والتجار والشهود والناس على اختلاف احوالهم وفرق السلطان من شونته القمح على ارباب الزوايا . ورسم ان يفرق في كل يوم للفقراء ماية اردب مخبوزة لجامع احمد بن طولون . وكان في هذا الفعل (٤٠ ظ) ستر الوجوه

عن الكدية • وقال السلطان : هؤلاء المساكين جمعناهم اليوم وقد انقضى نصف النهار فليعط كل منهم نصف درهم يتقوت به خبزا • ومن غد يتقرر الحال • فأنفقت فيهم جملة كبيرة لهذا القدر خاصة • قال تعالى فيما ورد من الاخبار : والراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء •

قال صاحب " نظم السلوك في تراجم (١) الخلفاء والملوك " ما معناه :

• اخذ الصاحب جماعة العميان واخذ الاتابك التركمان ولم يبق احد من الخواص ولا من الحواشي ولا من الحجاب والولاة واصحاب المناصب وذوى المراتب والثروة حتى اخذ جماعة وذلك بحسن تلطف من السلطان • وقال للامير صارم الدين المسعودى والى القاهرة : خذ مائة فقير اطعمهم لله • فقال : فعلت ذلك واخذتهم دائما • فقال السلطان : ذلك فعلته ابتداء من نفسك وهذه المائة افعلها لاجلي • فأخذ مائة فقير ثانية • وشرع الناس في فتح الاهراء والمخازن وتفرقة الصدقة •

ولقد وصل الاردب القمح في الغلاء الكائن في سنة سبع وتسعين وخمسماية في الايام العادلية بولاية عهد الملك الكامل الى ثمانين درهما نقرة كل اردب • واكل الناس بعضهم بعضا وما دبر احد هذا التدبير الحسن • وكذلك الغلاء الكائن في زمان المستنصر العلوى عم الجوع والبلاء الناس حتى ان الوزير ركب الى دار الوزارة فاخذت بغلته واكلت للوقت • فأخذ آكلوها وشنقوا فأكلوا على الخشب • وزاد السعر في هذه السنة كما قدمنا شرحه • وماجرى الا الخير بنية السلطان • ونزل السعر عشرين درهما وقلت (٤١و) الفقراء وكثر الخير •

---

١) وردت "تاريخ" في جميع الامكنة الاخرى من هذا الجزء •

وقال بعض اهل التاريخ : فرق السلطان الصعاليه على الاغنياء والامراء وان اخذ لنفسه خمسماية وتولى الملك السعيد خمسماية ولنايبه بيليك الخازندار ثلاثماية دام الغلاء ودام ما رتبه السلطان الى ان دخل شهر رمضان ودخلت الغلال الجديدة • ومن اعجب ما يحكى ان السعر انحط في يوم واحد اربعين درهم الاردب ورقا • فسبحان المتصرف في خلقه كيف يشاء •

وفي اليوم الذي جلس فيه السلطان بدار العدل وفعل ما قدمنا شرحه قرأت قصة على السلطان من ضمان دار الضرب انهوا فيها توقف الدراهم وسألوا ابطال الناصرية وذكروا ان ضمانهم مايتان الف وخمسون الف درهم • فقال : يحط عنهم خمسون الف درهم ولا تؤذى الناس في اموالهم •

وفي العشرين من شهر ربيع الاخر الشهر المذكور جاءت زلزلة عظيمة هدمت دورا كثيرة •

(وفي) ثالث وعشرين شهر ربيع الاخر الشهر المذكور رسم السلطان بمسامحة بنات الامير حسام الدين الجوكندار العزيزي بما وجب للديوان في تركة ابيهن وجملته اربعماية الف درهم نقرة خارجا عما له من الاملاك والغلال والخيل • وكتب بذلك الى الشام • وهذه جملة ما سمع بمثلها لورثة امير • وقد كان هذا الامير وصل من حلب الى دمشق وحاله ضعيف • وقد نهب التتار موجوده فأحسن السلطان اليه وزاد في اقطاعاته وافتقاده حتى جمع هذه الجمل • ولما رمي البندق وادعى للسلطان سير اليه جملة عظيمة • فهذه الجمل المذكورة السلطان هو الذي وهبها له في الاول وفي الاخر لبناته • وكان افهم بذلك ان كل من يموت في خدمته ويحفظ يمينه ينصر في امر ورثته • ويبقي عليهم ما يخلفونه • وكان كما قال الشاعر •

ياذا الذى سعدت به الابـاء في الدنيا وبعد مماتهـا الاولاد ٠

وكذلـك الامير شهاب الدين القيمرى نائب السلطنه بالفتوحات الساحليـة لما توفي الى رحمة الله تعالى امر بنقل اقطاعه وهو مابة طواش لولده ٠ وكذلـك احد الامراء بالساحل وهو شجاع الدين والى (٤١ ق) سرمين الامير ناصر الديـن رسـولا الى فرقة من الفرنج ٠ فصادفه فرقة اخرى اسـرته ٠ فأبقى السلطان خبـره عليه يستغله اخوته وغلمانه ولم يغير عليهم شيئا ٠ وكل هـذه مكـارم تستجلب القلوب والله اعلـم ٠

ذكـر قصد متملك الارمـن خذله الله حلب المحروسة ورجوعه خاسرا

كـان اللعين هيثوم بن قسطنطين متملك الارمن خذله الله تعالى رجـع من عند هولاكو ملك التتار واستصحب صحبته قاضي بلاد هولاكوا ليصلح بينه وبيـن السلطان ركن الدين صاحب الروم فلما وصل الى قريب بلاده لم يـدخل الى بلاده ٠ وتوجه الى بلاد الروم واعطى قاضي هولاكو عطاء كثيرا واستماله ٠ وقال له : لااقدر على الدخول الى بلاد الروم حتى تحضر جماعة من التتار تخفرني ٠ فكتب القاضي الى التتار الذين في الروم فحضر منهم جماعة تقدير اربعماية فارس ٠ وكـان السلطان ركن الدين لما بلغه وصول متملك الارمن اليه عزم على الايقاع به على غره وانه ينسب ذلك الى التركمان ٠ ففطن الطاغية لذلك واحترز وتوجه لما حضر اليه التتار الذين طلبهم قاضي هولاكوا فالتقى صاحب الروم متملك الارمن مترجلا لاجل قاضي هولاكو واللعين الارمني لم يترجل ٠ وقـدم كل واحد منهما لصاحبه تقادم سنيه ٠ وكانت تقدمة صاحب الروم اربعة عشر فرسـا واربعين الف درهم وجميع آنيه المجلس مـن ذهب وفضه وبغال وغيرها ٠ وقدم لـه الارمني اربعة حصن وجاءوا جميعهم الى هرقله وتحالفا واتفقـا ٠

واهتم الارمني بجمع العساكر المخذولة في بلاده لقصد البلاد الاسلامية بالشام وسار فلما وصل ... الى قلعة صرفند كار (١) (٤٢ و) نادى في عسكره بان يأخذوا الاهبة لثلاثة ايام . وكان في عسكره من بني كلاب الف فارس عربا وقصدوا عينتاب .

وكان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية قد نمى منهم هذا الاتفاق لاهتمامه باستطلاع الاخبار . فسير الى عسكري حماه وحمص بالتوجه الى حلب فتوجهوا وتوجه جماعة من العسكر المنصور . فأغارت على عسكر الارمن واسرت اميرا من امرائه واخذ له ماية حمل من البخاتي فولوا منهزمين وقتل منهم ثلاثون نفرا وجرح صاحب حمص قرابة ملك الارمن وهو بارون بسرام جراحة شديدة . وكتب الطاغية متملك الارمن الى التتار الذين كانوا في الروم وهم سبعماية راكب فأحضرهم وكان قصده الشام . فلما وصلوا الى حارم وقعت ثلوج شديدة . وكان الطاغية المذكور قد كتب الى انطاكيه يطلب نجده فانجده منها بماية وخمسين فارسا ولبس الجميع السراقوجات تشبها بالتتار واجتمعوا كلهم قريب حارم . وارسل الله الثلوج والامطار حتى كادوا يهلكون . واما العسكر المنصور فانه خرج لقصدهم واتصلت بهم الاخبار وانقطعت عنهم الميرة فخافوا وتأخروا راجعين فعدم من اصحابه ماية وخمسين فارسا وثلاثون تتريا وستة نفر من خيالة انطاكية وجماعة من رجالتهم . ونصر اهل الاسلام بنية سلطانهم الملك الظاهر الذي نصرته الملوك والملايكة وامرته السماء تارة بشهبها وتارة بأمطارها وثلوجها المتداركة الى ان انهزم جموع الاعداء بحسن عزائمه المباركة رحمه الله تعالى .

---

١) كذا في ابن عبد الظاهر (ص٩٧) وفي الاصل مطموسة ظاهر منها " فندكار "

ذكر حفر خليج الاسكندرية

كان خليج الاسكندرية (١) وهو البحر الذى يقال (٤٢ ق) احضرا (٢) سريعا الى السلطان الملك الظاهر فسألها واعطاهما الاماير . فأعترفا ووجد معهما قرامين للامير فارس الدين اقطاى الاتابك من هولاكوا وهو يرغبه ويستميله اعتقادا منه ان هذه الامور يفسدها نظام . او ان السلطان اذا وقع له ذلك لا يتثبت . او انه يتوهم في اكثر خواصه . او ان الاتابك يميل الى هذا الهذيان . ففطن السلطان الى هذه المكيده . وطلب الاتابك في الساعة الراهنة وافهمه انها حيله . واراه الكتاب وقال له : اننى ماصدقت شيئا من هذا فيك . ورسم بحريق ذلك وتمزيقه . واستدل السلطان بذلك على ضعف هولاكوا وانه يتثبت بكل شيء . وهذه همة عالية ماسمع ملكا اهتم بهذه الهمة ولا بذل في اغراضه الجميلة هذه النعمة .

وفي هذه السنة تنجز البرج الذى كان الملك الظاهر رسم بعمله في قارا . وشرع في بناء برج اكبر منه لمصلحة الاسلام وحفظ الطرقات وصونا للرعية من عوادى الفرنج المجاورين خذلهم الله تعالى .

ذكر قصد متملك الارمن المسير الى بلاد الشام مرة اخرى وتخييب سعيه

في هذه السنة اهتم متملك الارمن اللعين هيثوم بن قسطنطين وجمع العساكر المخذولة من كل جهة . وفصل الف قباء تترى والف سراقوج البسها

---

١) الكلمات الثلاث مطموسة بالحبر وقد قدرتها من سياق العبارة .

٢) كان ورقه من الاصل ساقطه هنا راجع ابن عبد الظاهر (ص ٩٨) .

اصحابه ليرهب انهم نجده من التتار . فسير السلطان الملك الظاهر الى دمشق جرد منها عسكرا الى حمص . وجرد جماعة من حماه . ورسم بأن عربان الشام لا يخرجون البرية في تلك السنة . فتوجه الامير حسام الدين العينتابي فأغار على مرومان وقتل واسر وعاد سالما . وتوالت الغارات من جميع الجهات (٤٣ و) فلما احس العدو المخذول بهذه العزايم جر ذيول الهزايم وتفرقت نجداته وخمدت تجمراته وبقي خائفا مترقبا . وعدلت العساكر المنصوره الى انطاكية فغنمت وقتلت واسرت .

وفي جمادى الاخره من هذه السنة اغارت العساكر التي بالفتوحات الساحلية صحبة الامير ناصر الدين القيمرى ووصلت الى ابواب عكا . واغار الامير الشجاع على بلاد الفرنج من جهة الخسيط .

وفي جمادى المذكور شرع النواب بالشام في بناء شقيف تيرون . اعلم ان حكم شقيف تيرون حكم شقيف ارنون . لم يزل في يد من ملك دمشق الى ان سلمه الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق للفرنج سنة ثمان وثلاثين وستماية . ولم يزل في ايديهم الى ان ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب دمشق في سنة ثمان واربعين وستماية كما سبق ذكره فسير عسكرا مقدمه الامير سعد الدين بن نزار متولي صيدا . فنزل عليه وانتزعه من الفرنج ولم يزل في يد نواب الملك الناصر صاحب دمشق وحلب الى ان استولوا التتار على البلاد في سنة ثمان وخمسين وستماية كما سبق ذكره . فقصده شهاب الدين بن بحتر من قبل التتار ونزل عليه وضايقه بالرجال . فسلمه الوالي اليه فأخربه ولم يزل خرابا الى ان ملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس . فاستمر خرابا الى ان امر الملك الظاهر بعمارته فعمره نواب الشام في هذه السنة وحمل اليه زرد خاناه وذخاير والله اعلم .

وفي جمادى الشهر المذكور انعم السلطان الملك الظاهر على العسكر الساحلي الذى صحبه الامير ناصر الدين القيمرى بمايتي الف درهم وفرقت عليهم .

وفي جمادى الشهر المذكور بلغ الملك الظاهر ان جماعة من عسكر شيراز ومقدمهم الامير سيف الدين بكلك ومعهم اختيار الخوارزمي جمدار السلطان جلال الدين خوارزم شاه وصحبتهم حسام الدين حسن بن ملاح امير العراق وجماعة من امراء خفاجه وصلوا لطلب (٤٤ ق) (١) صدقات السلطان . فتقدم بالاحسان اليهم .

وفي مستهل شهر رجب الفرد من هذه السنة جلس الملك الظاهر بدار العدل وانهي اليه بأن على باب مشهد السيد الحسين رضي الله عنه مسجدا والى جانبه مكان من حقوق القصور وبيع . وحمل ثمنه للديوان وهو ستة الاف درهم . فسأل السلطان عن صورة المسجد وهذا الموضع وهل كل منهما بمفرده او عليهما حائط داير فقيل بينهما زرب قصب فأمر يرد المبلغ الى صاحب (٢) . وابقى الجميع مسجدا وامرا بعمارة المسجد . قال رسول الله صلى عليه وسلم من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة .

وفي هذا اليوم وقف رجل من الاجناد ومعه صغير يتيم . فقال : انا وصي هذا الصغير وشكى من قاضيه تتعلق به . فقال السلطان لقاضي القضاة : اعلم ان الاجناد يموت واحد منهم فيستولي خشداشيته على موجوده ويجعل اليتيم وشاقيه ويموت اليتيم فيستولى الوصى على الموجود . او يكبر اليتيم ولا يجد شيئا ولا تقوم له حجة على موجود . والوصي قد يموت فينغمر مال اليتيم في ماله . وانا ارى ان احدا من الاوصياء لا ينفرد بوصية وليكن نظر الشرع شاملا واموال اليتامى مضبوطه وامناء الحكم يحاققون على المصروف . وطلب نواب الامراء .. العساكر وامرهم بذلك وامر باستمرار الحال عليه .

---

(١) هكذا الترقيم في الاصل . (٢) هنا كلام ساقط .

وفي ثالث شهر رجب الشهر المذكور وصل الى الابواب الشريفة الجماعة اهل شيراز ومقدمهم بكلك ورفقته وهم سيف الدين اقتبار (١) جمدار جلال الدين خوارزم شاه والامراء الاتابكيه غلمان اتابك سعد وهم جماعة كبيرهم سنقرجاه وغيره من الاتابكيه ووصل (٤٥ و) في صحبتهم حسام الدين بن ملاح امير العراق وجماعة من امراء خفاجه . فأحسن السلطان الملك الظاهر الى الجميع وتلقاهم بنفسه وامر الامير سيف الدين بكلك واعطاه طبلخاناه وكذلك امراء مظهر الدين وساح بن سهرى . واطلق للامير حسام الدين حسين بن ملاح قرية في الشام وجهزهم الى بلادهم .

وفي شعبان من هذه السنة امر السلطان الملك الظاهر بتكملة عمارة بير الليون غربي الاسكندرية وحفر مبانيها وانشاء فيها بستانا ، لانها منزلة من منازله عند توجهه الى الحمامات للصيد . فشرع فيها . ووقع الاهتمام بذلك قال صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم بن دقماق . هي بئر قديمه من عهد الروم رأيتها غير مرة لما سافرت مع السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون . وهي من عجائب المباني في وسط بستان تقديره ستة افدنه اوسبعة . ولها منافذ من خارج البستان والبستان بين جبال محيطه به . وتلك الارض كثيرة .... (٢) .

وفي شعبان الشهر المذكور عدا السلطان الملك الظاهر الى الجيزيه متنزها في الاهرام وركب ورمى نشابه فعدا الاهرام . وطولها اربعماية ذراع بذراع العمل وطلع اليها جماعة من خارجها حتى ان فراشا للامير سيف الدين قشتمر العجمى طلع بخركاه ونصبها على علوها واقامت اياما والله اعلم .

---

١) راجع ص٨٨ اعلاه .
٢) سطران غير مقروئين .

وفي شعبان الشهر المذكور وصلت الاخبار الى الملك الظاهر بأن الامير علم الدين قيصر الظاهرى والى سرمين سير اليه الامير نور الدين نايب السلطنة بحلب يأمر بمصلحة من المصالح . فقال كلاما فيه استنقاص وعدم مبالاة به . فعز ذلك على الامير نور الدين ثم رضي عنه . فسير السلطان بريديا الى نائب حلب يأمر فيه باحضار قاضي القضاة بحلب واحضار والي سرمين بحضور الامراء بحلب وتأديبه الادب الزاجر . وكتب محضر بما جرى واخذ خط الجميع فيه ورسم بأن يقال اذا فرغ عن تأديبه نواب السلطنة لايفترى عليهم ولا يتجرى . وفي هذا ادب ذاك القول . وقد عزلناك من ولايتك زيادة في الادب . ويقال للامير نور الدين : انتم اصلحتم ونحن مانصطلع فاعتمد ذلك كله . وهذه نكته فيها حسن سياسة .

وفي هذه المدة امر الملك الظاهر الامراء والاجناد بعمل العدد الكائنة (٤٥ ق) لهم ولمماليكهم . فلم يبق لاحد اهتمام الا في تفصيل البركصطوانات وعمل الجواشن وصقل الزرد وكفت الخود وعمل وجوه الخيل . واذا عبر الانسان في سوق السلاح لايقدر على العبور من كثرة الخيل التي للاجناد الواقفين به . وارتفع سعر الحديد واجر الحدادين والجواشنية والصياقلة . ولم يبق لاحد همة في شيء الا تكمله عدته النافعه . وفي كل دار معلم للعب الرمح . وتعلم جمع كثير من المماليك الظاهرية لعب النار على الخيل وما بقي لاحد رغبه الا في الاشتغال بعدة الحرب . والناس على دين الملك . ولو حلف حالف ان احدا من العسكر ماانفق شيء من فعل الا في ذلك لصدق . وقد كان من تقدم من الجند ينفقون مالهم فيما لايرضي الله تعالى من الامور المحيطة للاعمال . وهذا الملك شغله هذا لاينهي عنه بلذة ولا طرب ولا ينقضي وقته الا في حسنة قد سطر الله له اجرها .

وفي شعبان الشهر المذكور وصل كتاب امير المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام يذكر انه ركب بنفسه وسار الى مكة شرفها الله تعالى صحبة الكسوة وعلقت والله اعلم .

وفي شهر رمضان من هذه السنةتنجزت كسوة الضريح الشريف النبوى شرفه الله تعالى وبعد سفرها صحبة الطواشي جمال الدين محسن الصالحي وشرع في تجهيز الشموع والبخور والزيت والطيب .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور وصل كتاب الامير ناصر الدين القيمرى يذكر له انه بلغه ان الفرنج المخذولين توجهوا الى جهة يافا . وكان الملك الظاهر قد اطلع على حركتهم فأمره بالغارة على قيسارية وعتليت فساق الى باب (٤٦ و) عتليت ونهب وقتل واسر . ثم ساق الى قيسارية واعتمد فيها هذا الاعتماد وبلغ الذين اجتمعوا في يافا من الفرنج ذلك فسقط في ايديهم وانعكست القضية وخافوا ورجعوا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور جرى الملك الظاهر على عادته في اجراء الصدقات بمطابخ في القاهره ومصر برسم الفقراء . انصرف فيها كل ليلة جملة من الطعام والخبز . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فطر صايما فله اجر صايم . وكذلك جرى على عادته الحسنة في عتق ثلاثين نسمة على عادة الملوك الماضين . هذا غير من اعتق من مماليكه الامراء وخواصه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اعتق نسمه مؤمنه كان له بكل عضو منها عتق عضو من النار .

وبلـــغ السلطان ان الفرنج اخذوا اخيذة من بلاد الاسلام، فانكر ذلـــك وارسل الى النواب بالشام بالاجتهاد في ردها . فوصل كتاب الامير ناصر الدين القيمرى يذكر ان الفرنج ردوا الاخيذة وهي عالم كبير من اهل البلاد وجملة من المواشي . فسمع في تلك الساعة من اختلاف الاصوات بدعاء الرجال والنساء وبكاء الاطفـــال ما تكاد ترق له الحجارة . وكـان السبب في رد هذه الاخيذة ان الامير ناصر الدين المذكور سير الى الفرنج يتهددهم ويقول لهم : نحن هادناكم كما سألتم المدة التي طلبتموها . وهذه الاخيذة كانت في مدة الهدنة . فبعث الفرنج وزير قيساريـــة ليتحدث في ذلك فقبض عليه الامير ناصر الدين وما زال حتى احضر جميع ذلك وبعـد ذلـك سيب (١) الوزيـــر .

وفي هـذا التاريـخ وصلت كتب نواب البيرة يذكرون ان صارم الدين بكتـــاش الزاهدى ركب في جماعة واغـار (٤٦ ق) على باب قلعة الروم واغار مرارا .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور وصل رسول من الملك شارل (٢) اخي الملـك فرنسيس وهو صاحب مرشيلية ووصلت صحبته عدة من السناقر الشهب والامتعة . ومضمون كتابه المحبة والمشايعة . ووصل كتاب استاد داره بان مخدومه امره ان يكون امر السلطان نافذا في بلاده وان اكون نايب السلطنة كما انا نايبـه .

وفي يوم الجمعـة خامس عشر شهر رمضان قرئ مكتوب بجامع مصر بابطال ماقرر على ولاية مصر من الرسوم وهي ماية الف درهم واربعة الاف درهم نقرة وشملت المسامحة بذلـــــك .

---

١) في الاصل " سير " راجع ابن عبد الظاهر (ص١٠٤)
٢) فـي الاصـل " شـارك " .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور احضرت فلوس من جهة قوص وجدت مدفونة فأخذ منها فلس فاذا على الوجه الواحد صورة ملك واقف في يده اليمين ميزان وفي يده الشمال سيف . ومن الوجه الاخر رأس مصور بأذن كبيرة ... وعين مفتوحة وبداير الفلس سطور فقرأها راهب يوناني فكان تاريخه الى وقت قرائته الفين وثلاثماية سنة . وفيه مكتوب انا غليات الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن اطاع والسيف في يسارى لمن عصى وفي الوجه الاخر انا غليات الملك اذني مفتوحة لسماع المظلوم وعيني مفتوحة .

وفي هذا الشهر بلغ السلطان ان رسله الذين كانوا توجهوا الى الملك بركه عوقهم الملك الاشكرى . فطلب السلطان نسخ الايمان واخرج منها يمين الملك كرميخائيل الاشكرى وهي بالرومية . واحضرت البطاركة والاساقفة وتحدث معهم فيمن يخالف بكذا وكذا من دينه وانه يكون محروما من دينه . فأخذ خطوطهم بذلك وهم لا يعلمون ما يراد منهم ثم اخرج لهم نسخ ايمان الاشكرى وقال : قد نكث بامساك (٤٧ و) رسلي ومال الى جهة هولاكو وكان ماسنذكره .

حكى الصاحب عز الدين ابن شداد مؤلف سيرة الملك الظاهر في سبب تأخر رسل الملك الظاهر عن الاشكرى مامعناه : لما وصل رسل الملك الظاهر الى القسطنطينيه وجدوا الباسلوس كرمخايل صاحبها غائبا عنها في حرب كانت بينه وبين الفرنج . فلما بلغه وصولهم طلبهم اليه فساروا اليه مسيرة عشرين يوما في عمارة متصلة فاجتمعوا به في قلعة اكسابا فأقبل عليهم واظهر لهم المسرة واكرمهم ووعدهم ان يساعدهم على التوجه . ووجدوا عنده رسل من جهة هولاكوا فاعتذر عن تأخير توجههم لخوفه من هولاكو ان يطلع على ماوصلوا بسببه . ثم امرهم بالرجوع الى قسطنطينيه وان يقيموا بها حتى يعود ويجهزهم . وكان ذلك خديعه منه .

ولم يزل يمطلهم مدة سنة وثلاث شهور . فلما طالت المدة عليهم ارسلوا اليه يقولوا : ان لم يمكن الملك المساعدة على ان يوجهنا فليأذن لنا في الرجوع الى بلادنا . فأذن للشريف في الرجوع بمفرده . واعتذر بمنعهم عن التوجه لكون ان بلاده بعيدة عن البلاد المجاورة لمملكة السلطان ركن الدين وقريبه من البلاد المجاورة لمملكة هولاكو، وانه متى سمع اني مكنت رسل صاحب مصر من التوجه الى بركه توهم انتقاض الصلح بيني وبينه . فربما تسارع الى نهب ما جاوره من بلادي وما انا قريب منها حتى اذب عنها . فعاد السيد الشريف وتأخر فارس الدين اقوش مدة سنتين فهلك اكثر ما كان معه من حيوان ورقيق . وتسارع القصاد الى غيره .

"وفي اثناء هذه المدة قصد عساكر بركه القسطنطينية واغاروا على اطرافها فهرب الباسلوس الى القسطنطينيه (٤٧ و) وبعث بالامير فارس الدين اقوش الى مقدم عسكر بركه يعلمه ان البلاد في عهد الملك الظاهر وصلحه . وان بركة في صلح من صالحه وعهد من عاهده فطلب منه ان يكتب له خطه بذلك فكتب . وكتب ايضا انه مقيم باختياره وانه لم يمنع من التوجه . فتوجه العسكر .

"ثم ان الباسلوس جهز الامير فارس الدين الى بركة وبعث معه رسولا من جهته برسالة ضمنها ان يقرر على نفسه ما يحمله كل سنة وهو ثلاثماية ثوب اطلس على ان يكون معاهدا ومصالحا له ومدافعا عن بلاده . فتوجه الامير فارس الدين الى بركة . فلما اجتمع به ساله عن تأخره حتى هلك اكثر ما كان معه من الحيوانات . فاعتذر ان صاحب القسطنطينية منعه من الحركة . فأخرج له خطه بما كتب به لمقدم عسكره . قال له : انا ما اواخذك لاجل الملك الظاهر وهو اولى من واخذك على كذبك وافساد ما ارسله معك" ولما انكر الملك بركه الامير فارس الدين كتب عز الدين الى الملك الظاهر يعرفه بما صدر من فارس الدين من التقصير وكونه رحل عسكر بركه عن القسطنطينيه

بما اوهمه من كون البلاد في عهد الملك الظاهر • وكان قادرا ان يأخذ منه في معابل ترحيله عنه قيمة ما افسد من الهدية لاضطراره الى ذلك • فلما رجع فارس الدين الى مصر واجتمع بالسلطان نقم عليه لفعله وقبض عليه واخذ منه ماكان وصل معه من البضائع • وكانت قيمتها اربعون الف دينار • وكان وصوله في جمادى الاخره سنة خمس وستين وستماية "•

والاظهر ما حكاه القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر وغيره ان اجتماع الرسل بالملك الاشكرى كان في مدينة أنيه • وان السلطان الملك الظاهر لما بلغه في (٤٨و) هذه السنه ان الاشكرى عوق رسله وطلب نسخ الايمان واخرج منها يمين الاشكرى واحضر البطاركة وسألهم واجابوه كما قدمنا شرحه طلب الراهب الفيلسوف اليوناني الذى قرأ الفلس الذى قدمنا ذكره وطلب اسقفا وقسيسا • وجهزهم الى الاشكرى وصحبتهم هذه المكاتيب المقدم ذكرها • وكتب الى الاشكرى وهو يغلظ له في القول • ثم قال : ان كان سبب امساك رسلي فساد حالك مع الملك بركه وكون عساكره وافسدت في بلادك فانا اصلح الحال بينك وبينه • وكتب السلطان كتابا الى الملك بركه بذلك وسيره الى الامير فارس الدين اقوش المسعودى المتوجه بالهدية الى الملك بركه وامره بالتوسط في الصلح وتوجهت الجماعة المذكورون بذلك فلوقته اطلق الجميع وساروا الى الملك بركه في هذه السنة وعادوا كما سنذكره ان شاء الله تعالى •

ذكر سلطنة الملك السعيد بن الملك الظاهر

في شوال المبارك من هذه السنة سنة اثنتين وستين وردت اخبار بأن جماعة من التتار مستأمنه • وجلال الدين الدويدار واصل وصحبته جماعة كبيرة من الاتراك والبغادده قاصدوا باب السلطان بالحرم • فأعلم الملك الظاهر الامراء الاكابر بذلك وقال : ماجمعت هذه الاموال الا لمهم يحصل للمسلمين وهؤلاء التتار

مانحمل امرهم على الحزم · ووصول هؤلاء على كثرتهم من جهات فيه استرابة · ونحن نخرج فان كان هؤلاء طائعين كان لهم مالاولي الطاعة · والا فتكون سيوفنا لاعاقة عن تجريدها · ومن احتاج منكم ومن العساكر المنصوره اعطيته · ومن عدم واسيته · وانا في نصرة الاسلام كأحدكم ولا اوفر نفسي في امر وانا بنو بني فرس · وجميع ماعندى من خيل وجمال كله لكم ولمن يجاهد في سبيل الله · فتقرر خروجه فأشار عليه حينئذ بعض الامراء (٤٨ ق) بسلطنة ولده الملك السعيد ليكون بالديار المصرية مقيما في غيبة السلطان ·

وفي يوم الخميس ثالث عشر شوال الشهر المذكور اركب السلطان ولده الملك السعيد بشعار السلطنه وخرج بنفسه في ركابه وحمل الغاشية راجلا بين يديه واخذها الامراء وعليهم الخلع الفاخرة · ولم يبق احد من اولياء الخدمة الا وعمته الخلع · ورجع السلطان الى مقر ملكه · ولم يزل الملوك والامراء والعالم في خدمته الى باب النصر · ودخلوا من القاهرة رجالة يحملون الغاشية وقد زينت احسن زينة واهتم الامراء بنصب القهاب · وشق المدينة الملك السعيد ··· (١) واتابكه الامير عز الدين ايدمر الحلي راكب الى جانبه · ولم يزل الثياب الاطلس والعتابي وغيرهما تفرش له الى حيث عاد الى قلعته ولم يبق امير الا بسط من جهته ثياب · فحمل من ذلك احمال تفرقها المماليك السلطانيه وارباب المنافع وانبسطت الايدى والالسنة له بالدعاء يسألون الله اعزازه واتمام هلاله وبقاء بدره · وان يجمع به للاسلام (٢) الشمل وتتم نعمته عليه كما اتمها على ابويه من قبل ·

---

١) كلمة " المدينة " مكرره هنا في الاصل

٢) كذا في ابن عبد الظاهر (ص١٠٦) لكنها "للانسان" في الاصل ·

وكتب القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر تقليد الملك السعيد بتفويض عهد السلطنة له ٠

وفي يوم الاثنين سابع عشر الشهر المذكور اجتمع الامراء وقاضي القضاة والعلماء وقرئ التقليد وهو (١) : الحمد لله منور الدروس ومبهج النفوس ومزين سماء المملكة بأحسن الاهلة ٠ واضوء البدور واسرق الشموس ٠ الذي شد ازر الاسلام بملوك يتعاقبون مصالح الانام ويتناوبون تدبيرهم كتناوب العينين واليدين في مهمات الاجساد وملمات الاجسام ٠ نحمده على نعمه التي ايقظت جفن الشكر المتغافي واوردت منهل الفضل الصافي ٠ وحولت الالاء حتى تمسكت الامال منها بالوعد الوافي (٢) ٠ واخذت بالوزن الوافي ونشهد (٤ و) ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد كثر الله عدده وعدده واحمد امسه ويومه ٠ ويحمد ان شاء الله غده ونصلي على سيدنا محمد الذي اطلع الله به نجم الهدى والبدر المشرقين به ارديه الرشد واوضح به مناهج الدين وكانت ذرائعه قددا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تنقضي ابدا وبعد فانا لما الهمنا الله من مصالح الامم وخولناه من الصور على مهمات السداد التي قطع به شأفة الكفر وحسم (٣)، واتى بنار الحرب قد علم كل احد استعار ناره فكان علما بنار مضرمه لا نارا على علم ٠ وقدره من دفع الكفر من جميع الجوانب وضمهم من كل جهة حتى رميناهم بالحيف الواصل والعذاب الواصب ٠ فأصبح الحرب من الاباده في سرف الاسلام لا يخاف من فتق ولا يخشى من درك وثغور الاسلام عاليه المباني ناميه المقتنى دانيه ثمار الادخار من هنا ومن هناك تزاحم بروجها

---

١) ابن عبد الظاهر (ص ١٠٦ ــ ١٠٩) والقلقشندي ج ١٠ ص ١٦٣ ــ ١٦٦
٢) ابن عبد الظاهر "الوفي" (ص١٠٦)
٣) "وختم "في ملاحق نشرها على ابراهيم حسن في "تاريخ المماليك البحرية " ص٣٧٢

في السماء البروج . وتجلت [illegible] الاعداء منها سماء قد بنيت وزينت فما لها من فروج . وعساكر المملكة المحمدية في كل [illegible] من الآراك امثال [illegible] تموج . وفي كل واد تبجس [illegible] ربا نصر ولكنها تفعل ما تعي . قد [illegible] البلاد [illegible] الاعداء تارة بالالمام وتارة بالاوهام . و [illegible] سيفها [illegible] يقظة [illegible] وتبعا بالاحلام [illegible] [illegible] الانفاذ [illegible] المستاًيب [illegible] لديك [illegible] عكفنا عليه عكوف المستجيد ولبيناه تلبية المستجيب . [illegible] فيه جميع الاوقات والحواس وتسمت مباشرته ومؤامرته سائر الزمن حتى [illegible] تردد [illegible] النفس من الانفاس . و [illegible] تنفذنا [illegible] في امتداد [illegible] الدور وادرع بمحكم الدلاص (١) التي كانهما [illegible] بزراو [illegible] ([illegible]) [illegible] التي قد [illegible] الاجفان وجرت فكالمياه [illegible] (٢) وتفويق السهام التي عدت قسيها من انامنا لها تأتي واعداد [illegible] السمهرية التي [illegible] الاعداء منها ندما كما [illegible] في [illegible] غير ذلك من كل غارة شعواء تسيء للكفار [illegible] وتهدم كالجبال وتسير كالرياح . ومنازلات كم استلبت من موجود وكم استنجزت من [illegible] موعود . وكم مدينة [illegible] لها مدينة ولكن [illegible] الله الى اجل ممدود . وكانت [illegible] المدركة قد امتد منها فرع تفرسنا فيه الزيادة والنمو . وتوسمنا منه حسن [illegible] . ورأينا انه [illegible] الذي اخذ في ترقي منازل السعود الى الابدار . وانه [illegible] الذي [illegible] مكان الاختيار له حسن الاختيار . اردنا ان ننبهه في منصب احلنا الله فيه [illegible] ونشرفه بما خولنا الله من شرفه (٣) وان تكون يدنا ويده [illegible]

---

١) في ابن الظاهر (ص١٠٧) "وادراك محكم "
٢) "فكالغدران "في ابن عبد الظاهر (ص١٠٧)
٣) " نشرفه "في ابن عبد الظاهر (١٠٨) وكذا في [illegible] علي ابراهيم حسن ([illegible]).

من ثمره وجيدنا وجيده يتحليان بجوهره • وانا نكون للطافة السمع والبصر وللمملكة المعظمة في التناوب بالاضاءة الشموس والقمر • وان تصول الامة منا ومنه بحدين ويبطشون من امرنا وامره بيدين وان نربيه على حسن سياسة تحمد الامة ان شاء الله عاقبتها عند الكبر وتكون الاخلاق الملوكية منتسبة معه ومنتسبه به من الصغر • ونجعل سعي الامة يتمنى مثله حميدا ونهب لهم منه سلطانا نصيرا وملكا سعيدا • ويقوى به عضد الدين ويربى به (١) جناح المملكة وتنجح مطالب الامة بايالته • وكيف لا ينجح مطالب يكون فيه بركه • وحرح امرنا لا برح مستعدا ومسعفا ولا عدمت الامة منه خلفا منيلا ونوعا (٢) محلفا بأن يكتب هذا التقليد لولدنا الملك السعيد ناصر الدين بركه خاقان محمد جعل الله مطالع سعده بالاشراف محفوفا • وان الامه من ميامنه ما يدفع للدهر صرفا ويحسن بالتدبير تصريفا بولاية العهد الشريف على قرب البلاد وبعدها (٥٠ و) وغورها ونجدها وعساكرها وجندها وقلاعها وثغورها وبرورها وبحورها وولاياتها واقطارها (٣) ومدنها وامصارها وسهلها وجبلها ومعطلها ومحتملها وما تحوى اقطاره الاقلام (٤) وما ينسب للدولة القاهرة من يمن وحجاز ومصر وغرب وسواحل وشام بعد شام • وما يتداخل ذلك من قفار ومن بيد في ساير هذه الجهات • وما يتخللها من نيل وملح وعذب وفرات ومن يسكنها من حقير وجليل • ومن يحتلها من صاحب رغاء وثغاء وصليل وصهيل • وجعلنا يده في ذلك كله المبسوطة (٥) وطاعته المشروطة ونواميه المضبوطة • ولا تدبير ملك كلي الا بنا وبولدنا يحمل،

---

١) ليست في ابن عبد الظاهر (١٠٨)
٢) كذا في ابن عبد الظاهر (١٠٨) وليست واضحة في الاصل •
٣) " في اقطارها " في الملاحق ص٣٧٢
٤) كذا "اقطاره من الاقلام" في ابن عبد الظاهر (ص١٠٨)، وفي القلقشندي، ج١٠ ص١٦٥ "من الاحلام "
٥) مبسوطة ابن عبد الظاهر (ص١٠٩)

ولا سيف ولا رزق الا بأمرنا . هذا يسل ، وهذا يسأل . ولا دست سلطنه الا بأحدنا يتوضح (١) الاشراق ولا غصن قلم في روض امر ونهي الا ولدينا او لديه تمتد له الاوراق ولا منبر خطيب الا باسمينا يميس، ولا وجه درهم ولا دينار الا بنا يشرق . ويكاد تبرجا لابهرجا يتطلع من خلال الكيس . فليتقلد الولد ما قلدناه من امور العباد وليشركنا فيما نباشره من مصالح الثغور والقلاع والبلاد وستتعاهد الولد من الوصايا بما سينشأ معه توأما ويمتزج بلحمه ودمه حتى يكاد يكون ذلك الهاما لاتعلما . وفي الولد بحمد الله نقاء الذهن وصحة التصور ماتتشكل فيه الوصايا احسن التشكيل . وتظهر صورة الابانه في صفايه الصقيل . فلذلك استغنينا عن شرحها هاهنا مسرودة . وفيه بحمد الله من حسن الخليقة مايحقق انها بشرف الالهام موجودة والله لايعدمنا منه اشفاقا وبرا ويجعله ابدا للامة سندا وذخرا .

ثم وردت الاخبار بفتور عزائم العدو . وان سبب حركه جلال الدين ولد الدوادار ان هلاون بلغه (٥٠ ق) ان بلاد العراق فيها جماعة من الاجناد والاتراك قد استخفوا وتزيوا بزى الفقراء والفقهاء وانقطعوا بالمدارس والربط وانهم في كل سنة يتسللون الجماعة بعد الجماعة الى الديار المصرية . فأراد التحيل عليهم بحيلة يجمعهم بها وتحقق ان المذكورين لا يركنون الى التتار فسير الى جلال الدين المذكور يفهمه طلب نجده ويحسن له طلب جماعه من الاتراك والجند والانفاق فيهم واستخدامهم نجده على بركه . فسارع جلال الدين الى ذلك وبذل الاموال واستخدم . فأجتمعت له جماعة كبيرة . وفهم في اثناء هذه الحال القصد في هذا الامر وانه منه هلاك لجميعهم . فتجهز وخرج معرجا الى خدمة السلطان الملك الظاهر وتواصلت الاخبار بذلك فابتهج السلطان بذلك . وفتر عزم الحركة وشرع السلطان في ختان ولده الملك السعيد وامر الناس بالتأهب للعرض والاسلحة والجواشن وآلة الحروب خاصة . واما ولد

---

١) " منه الاشراق " ابن عبد الظاهر (ص ١٠٩)

الدوادار فانه خرج واجتمع هو والعربان بنوا خفاجه غلمان السلطان ووصلت جماعة مـن جهته فكتب السلطان باطابة قلبه وكتب الى سائر امراء خفاجه وعربه (١) وغيرهـم بخدمتهم واغاثتهم · وامـر امراء البغادده بالكتابة اليهم بما هم فيه من نعمـة ·

وفي اواخـر شـهر رمضان من هذه السنة ظهر كوكب بالشرق ذو ذؤابـة بالافق نحو المغرب وصار يطلع في كل يوم قبيل الفجر خلف النجم المعروف بكوكـب الصبح · ثم صار يتقدم في كل يوم قليل الى ان صار يبدو مرتفعا عن كوكـب الصبح ويبقى ضوء ذنبه ظاهرا ولم يتغير موضعه من منزله وكان بعده منها الى جهة (٥١ و) المشرق نحو رمح طويل ويبقى ظاهرا ثم يرتفع بارتفاعها ويسير بسيرها · وبقي الى اوايل ذى القعده من هذه السنة الى ان تغلب عليه ضو النهار · وكان يظهر له قبل بروزه شعاع عظيم في جو السماء · وظهر ايضا من قبل المغرب بشمال بعد العشاء الاخره في ليال عدة من اواخر شهر رمضان واوايل شوال خطوط مضيئه كهيئة الاصابع مرتفعة في جو السماء · واحمـرت الشمس في اواخر الرابع من شـوال من هذه السنة قبيل المغيب وذهب ضو الشمس بحيث توهم كثير من الناس انها كسفت وغربت وهي كذلك · ولمـا كان بعد العشاء الاخره اصاب القمر مثل ذلك ليلة الخامس من شوال من هذه السنة ·

وفي هذه السنة احضر الى الملك الظاهر طفل ميت من المقس بالقاهره لـه راسان واربعة اعين واربعه ارجل واربعة ايدى ذكر انه وجد بساحل المقسـم ·

---

١) " غزيّه" في ابن عبد الظاهر (ص١١٠) والقلقشندى جـ ٤ ص٢١٥ وهي هنا مشكولة ·

ذكر قتل الملك المغيث صاحب الكرك

قد قدمنا من اخبار الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل الايوبي وكيف ملك الكرك وكيف اخذت منه وكيف قبض عليه وارسل الى قلعة الجبل بظاهر القاهره المحروسة وحبس بها فأغنى عن الاعادة هاهنا · حكي الشيخ قطب الدين اليوناني (١) في تاريخه ان الاميرعز الدين استدعى من يقتل الملك المغيث ممن يثق به واعطاه الف دينار · وكان استاد داره · وكان رجلا دينا وفيه تقوى فأبى ان يفعل فأكد عليه · فقال له والله لو اعطيتني ملء هذه الدار دنانير مافعلت هذا ولو ضربت رقبتي · فانتهزه وحاوله بكل طريق فلم يجب · فأعرض عنه وطلب اخر من اصحابه فيه شره وعنده شهامه واقدام · فأمره بذلك فبادر اليه · ودخل على المغيث وقتله خنقا · واخذ الالف دينار وشرع يشرب في دار له على بركة الفيل واخرج من الذهب فسأله ندماءه (٥١ و) في حال سكره : من اين لك هذا المال ؟ فذكر الواقعه · فشاع ذلك واتصل الخبر بالملك الظاهر · وكان حريصا على كتمه ويظهر الامر ان الملك المغيث حي يرزق وانه موسع عليه في النفقه · فأنكر على الاميرعز الدين الحلي وطلب الشخص القاتل منه فأحضره اليه · فأمر باستعادة الالف دينار منه وقتلـه ·

وكان قتل الملك المغيث في اوايل هذه السنة · وقيل في اواخر سنة احدى وستين ·

ذكر رجوع رسل الملك الظاهر وصحبتهم رسل الملك بركه ·

كنا قدمنا ان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ارسل رسل الى الملك بركه بسبب استمالته الى قيد الاسلام واغرائه بهولاكو والايقاع به · ولما

---

١) كذا ولعلها اليونيني ·

وصل الرسل الى بلد الاشكرى مرض الفقيه مجد الدين فرجع صحبه رسد الملك بركه الواصلين الى الابواب الشريفه وهم جلال الدين ابن القاضي والشيخ علي المدمشقي وتوجـه الامير سـيف الدين .... (١) مـن المغل . قـال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر في كتابه الذى سماه "الفضل الباهر من اخبار الملك الظاهر" .. : كان اجتماع الرسل بالاشكرى في آنيه . ثم رحلوا الى قسـطنطينيه في عشرين يوما ومنها الى اصطنبول ومنها الى دفنسا وهي ساحل السوداق من جهة الاشكرى ثم ركبوا في البحر الى البر الاخر ومسيرته مابين العشره ايام الـى اليومـيـن بريح طيبه ثم طلعوا الى جبل يعرف بسوداق . فالتقاهم الوالي بتلـك الجهة واسمه طابوق فركبهم على خيل البريد الى القرم يسكنها عدة اجناس مـن القفجاق والروس . ومن الساحل الى هذه القرية مسيرة يوم واحد . ثم سـاروا من القرم الى بره يوما واحدا فوجدوا بها مقدما اسـمه طوقبغا على عشرة الاف فارس حاكما على تلك الجهات ثم ساروا عشرين يوما في صحرا' عامرة بالخركاوات والاغنام الى بحر ايتل وهو بحر حلو سعته سعة بحر النيل وفيه مراكب الروس . ومنزلة (٥٢و) الملك بركه الساحل منه . وحملت اليهم الاقامات والاغنام طول هذه الطرقـات . ولما قاربوا الارد التقاهم الوزير شرف الدين القزويني وهو يتحدث بالعربية والتركيـة فأنزلهم في منزلة حسنة وحمل اليهم الضيافة من اللحم والسمك واللبن وغير ذلك .

"ثم حضروا عند الملك بركه والوزير شرف الدين في خدمتهم فخدموه على العاده . وكانوا قد فهموا آدابه التي تعتمد معه وهي الدخول من جهة اليسار . فأذا اخذت الكتب منهم ينتقلون الى جهة اليمين ويكون القعود على الركبتين . ولا يدخل احد معه الى خركاة الملك سيف ولا سكين ولا عدة ولا دبوس . ولا يدوس برجله عتبـة

---

١) كلمتان غير مقروءتيـن .

الخركاه ولا يقلع الانسان عدته الا على الجانب اليسار ولا يترك القوس في القربان ولا يخليه موتورا ولا يحط في قربانه نشابا ولا يأكل الثلج ولا يغسل ثوبه الا في الارد ٠

" فلما دخلوا اليه وجدوه في خركاة كبيرة تسع ماية رجل ٠ وقيل تسع قدر خمسماية نفر مكسوة لبادا ابيض ومستره من داخلها بصندات وخطاى وجواهر ولولو وهو جالس على تخت مرخي الرجلين وعلى الكرسي مخدة ٠ فانه كان به وجع النقرس ٠ والى جانبه الخاتون الكبرى واسمها طغطغاى خاتون ٠ وله امرأتان غير هاوهما جحك خاتون وكهار خاتون ٠ وليس له ولد ٠ وصفته خفيف اللحية كبير الوجه في لونه اصفرار يلف شعره عند اذنيه وفي اذنه حلقة وبها جوهرة ثمينة وعليه قباء خطائي وعلى رأسه سراقوج وفي وسطه حياصه من ذهب مجوهرة معلق بها صولق بلغارى اخضر ٠ وفي رجله خف كيمخت احمر ٠ وليس في وسطه سيف ٠ وبحياصته قرون سود مموجه مقمعه بذهب وعنده خمسون اميرا او ستون على كرساى في الخركاه ٠

ولما دخلوا اليه وادوا الرسالة اعجبه ذلك واخذ منهم الكتاب وامر وزيره بقراءة الكتاب ثم نقلهم عن يساره الى يمينه واسندهم الى جانب الخركاه خلف الامراء الذين (٥٢ ق) بين يديه ٠ واحضر لهم القمز ٠ وبعده العسل المطبوخ ٠ ثم احضر لهم لحما وسمكا فلما اكلوا امر ان ينزلوا عند زوجته جحك خاتون ٠ فلما اصبحوا اضافتهم الخاتون في خركاتها ثم انصرفوا آخر ذلك النهار الى المكان الذى لهم وصار يطلبهم في اكثر اوقاته ويسألهم ٠ فسأل عن الفيل والزرافة ومصر ٠ وسألهم عن النيل وقال : سمعت ان عظما لابن آدم ممتدا على النيل يعبرون الناس عليه ٠ فقالوا مارأينا هذا " ٠

قـــال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر ماصيغته : نقلت من خط ابي زكريا بن اياس بن القاسم صاحب "تاريخ الموصل" قـال : قال عبيد الله بن اسحق : بلغنا انه لم ينج من الغرق الا من كان فـي السفينة ورجل يقال له عوجا بن عنق زعموا ان الماء كان الى نصف ساقه . ثم اهلكه الله تعالى بعد ذلك فيما يزعمون في زمن موسى عليه السلام . ولم يكن له ولد . وقـال محمد بن اسحاق انه كان يضرب بيده فيأخذ بها الحوت من البحر فيشـويه في حر الشمس حتى ينضجه ثم يأكله . وكان عمره فيما يذكر ثلاثة الاف سنة وستماية سنة . وكانت امه من بنات آدم عليه السلام . فعاش حتى قتله موسى عليه وعلـى نبينا محمد رسول الله افضل السـلام .

وذكـر في سـلامته من الغـرق/ما ذكـره الطلحـي . وكان ارتفاع الماء فيما يروى عن وهب بن سليمان عن شعيب الجنائي قـال : سيق ماء الارض ماء السـماء بأربعين يوما وعلا الماء فوق اطول جبل في الارض مسيرة خمسة اشهر صعـــدا وقيل ان الماء علا فوق كل شيء خمسة عشر ذراعا . وقـد ذكر ان موســى عليه السلام كان طوله سبعة اذرع بذراعـه . وقفز عن الارض سبعة اذرع فوصـل الى كعبه وما صح ذلك . والدليـــل على ان اطوال (١) الناس مناسبة منذ قيام الدنيا والى هذا الوقت ان الناووس وهو القبر الموجود الان بالاهرام ولا خـلاف انه قبر بأنيها . وهو على طول الانسان . وكذلك بقيه النواويس الموجـودة في مصر القديمة وغيرها . والاهرام بنيت فيما ورد قبل طوفان نوح (٥٣و) عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل الصلاة والسلام لان بانيها رأى في علمه ان آفة من الماء تهلك العالم . فبناها وقاية له والصحيح انها قبور .

---

١) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ١١٦) لكنها "اطـول" في الاصـل .

انتهى ماذكره • وقد تقدمنا في اول كتابنا هذا ماقاله العلماء في الاهرام وما قالوه في عوج بن عنق من الاختلاف والله اعلم بصحة ذلك على ما اتى •

تتمة خبر رسل الملك الظاهر وما اتفق لهم : وفسر قاضي القضاة الذى عند الملك بركة الكتاب وبحث (١) به نسخة الى القان • وقرئ كتاب السلطان بالتركي على من عنده وفرحوا به • واعادوا الرسل بجوابه وسير معهم رسله • فان لكل امير عنده مؤذن وامام • ولكل خاتون مؤذن وامام والصغار يتلقنون القرآن العزيز في المكاتب • وعادوا من جهة الاشكرى ووصلوا الى الابواب الشريفة وحضروا عرض العساكر المنصورة لابسة كما سنذكره ان شاء الله تعالى وذلك في عاشر ذى القعده من هذه السنة • وما زال الرسل يحضرون الى خدمة السلطان ويشاهدون لعب الكرة وحضروا الطهور وانزلوا باللوق •

وقال صاحبنا صارم الدين ابراهيم بن دقماق : اقام رسل الملك الظاهر عند الملك بركة مدة ستة وعشرون يوما • واعطاهم من الذهب الذى يتعاملون به في بلاد الاشكرى • واخلعت عليهم زوجته ججك خاتون • واعطاهم الاجوبة • وارسل معهم الرسل • ورجعوا فأقاموا في بلاد الاشكرى الى سنة خمس وستين والله اعلم اى ذلك كان • قال : وحكى الصاحب عز الدين ابن شداد : ان الرسل دخلوا القسطنطينيه ووجدوا الباسلوس كرمخايل صاحبها غائبا عنها في حرب كانت بينه وبين الفرنج • فلما بلغه وصولهم طلبهم اليه فساروا اليه مسيرة عشرين يوما في عمارة متقدمة فاجتمعوا به ..... (٢) •

ذكر عرض الملك الظاهر عساكر الديار المصرية

---

١) الاصح " منه "
٢) سطران غير مقروئين •

كنا قدمنا ذكر اهتمام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي بأمر العدد الحربية والاستكثار منها والزام الامراء والمفادرة والجند بتكملة العدة • وهي عدة الحرب وعدة النجارة وعدة الحجارة • وارسل بذلك الى جميع البلاد الشامية والحلبية والى الملك المنصور صاحب حماه فاهتموا بذلك همة عظيمه ولم يبق لهم شغل الا تحصيل العدد والاستكثار منها ومن الجواشن الليمخت المصفحة بالذهب والفضة وبركصطوانات الخيل جواشن والخوذ الفرنجيه فرأى عرض العساكر جميعها في يوم واحد وتقدم قبل ذلك الى كل امير ان يعرض اصحابه ومضافيه •

وفي العشر الاول من ذى القعده من هذه السنة جلس (٥٣ ق) السلطان الملك الظاهر على الصفه التي بجانب دار العدل عند طلوع الشمس والعالم قد شرعوا في اللبس من الليل • وامتلأت الدنيا عساكرا فلا تقع العين الا على خوذ لامعه وانوار ساطعه وخيول تصهل وجنود تقبل واطلاب سايقه وعساكر متلاحقه • وساق كل امير في طلبه لابسا لامة حربه وجروا من الجنايب خيولا كأنها الرياح في المطاردة والجبال في المشاهده عليها من عدد الحروب ما تطمئن به من الممتطين لصولتها القلوب وامر السلطان ان لايلبس احد في هذا اليوم الا ماهو من شعار الحروب وان تكون التشاهير والمراوات لوقت آخر •

وكان السلطان قد عفى عن سر حررد قسطلان يافا واطلقه فركب وشاهد مابهر عقله • وقال : رأيت عسكر الفرنج وعساكر هلاون وما رأيت مثل هذه العساكر العظيمة • ولم يزل السلطان جالسا والعساكر سايقين لابسين وديوان الجيوش بين يدى السلطان يجيبون عما يسألون • مع ان السلطان لايكاد يخفى عليه شيء من عساكره بالاسماء والصفات • وعبرت العساكر خمسة خمسة • وطال الامر فعبروا عشرة عشرة وكاد الناس يهلكون من الزحام وحمو الحديد • شعر :

حمي الحديد عليهم فكانه ومضان برق او شعاع شموس

فعبر الناس بلا حساب وطال الامر وقرب وقت المغرب والعالم لا يزدادون الا كثرة • وهلك
ذلك اليوم من الزحام جماعة منهم عز الدين ايبك مملوك الامير عز الدين الحلي • وكان
قصد السلطان بركوب الناس في يوم واحد حتى لا يقال ان احدا استعار من احد شيئا •
وبقي كل احد يدخل من باب القرافه ويخرج من جهة الجبل الى باب النصر الى
الدهليز المضروب (٥٤و) هناك • ولما قرب وقت المغرب ركب السلطان بقباء
ابيض لا غير وساق في وسط العساكر اللابسه العدد في جماعة يسيره من سلاح داريته
وخواصه • ونزل الى الدهليز ورتب المنازل ورجع الى قلعته وقت المغرب ومهابته اعظم
في القلوب من وقع السلاح • وعظمته تخطف الابصار ولا يقدر احد على تلحظه ولا
التماح • ثم ان الناس اهتموا باللعب ولبسوا خيولهم التشاهير والبراشم البحرية
والمراوات والاهله والذهب والفضه والاطلس والخطاى وغير ذلك شيئا عظيما • ونزل
السلطان وجنايبه تجر بين يديه تبهر العيون بحسنها وحسن ماعليها من الاهلة
والمراوات والبنود • قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك
الظاهر قال لي القاضي فتح الدين ابن سناء الملك قبل هذا الوقت بمدة سنة ان الذى
دخل في المراوات من البنود الاطلس والاصفر قيمته عشرة الاف دينار وما تجدد بعد
ذلك لا يحصى • وساق السلطان الى ميدان العيد وقدامه جنايبه التي ماسمع
ان ملكا جمع مثلها ولا غالا في اثمانها كمغالاته • ولقد سير طلب فرسا من هذه الخيول
من صاحب المدينة • المشرفة النبوية على ساكنها سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل
الصلوة والسلام • فحضر ولد صاحب المدينة وصحبته عدة خيول من جملتها هذه
الفرس • وذكر انه سير الى نجد ودخل على اصحابه دخول الزمام وبدل لهم جملة
من ابل وجوارى وقماش حتى اخذه • فأعطاه السلطان الفي دينار مضافا الى الخلع
والافتقاد • واعطى ولده جملة كبيرة واكثر تحصيل هذه الخيول على هذه الصفة

وكانت كما قيـــل :

وخيل عليها الدارعون كأنهـــا ... رياح سرت (يحملن) (١) في السحب امواها

الفـن القنا حتى لو ان نصالها ... تميز عن آذانها ما عرفناهـــــا

يصرفهـا ماضي العزيمة جاعـل ... بمصـر على اسم الله واليمـن مرساهـا

مليك لو ان الارز في ظل عفـوه ... وستر سجاياه الكرام لغطاهـــا

وشرط السلطان لكل امير بحسب القبق فرسا من هذه الخيل بما عليه من التشاهـير وخلعة لكل مقدم او مملوك او جندي تليق بمثله . وساق (؟؟؟) السلطان والامـراء على طبقاتهم ثم المقادرة والبحرية والظاهرية والحلقة والاجنـاد . ودخل الناس بالرماح بكرة النهار ونزل السلطان وقت الصلوة للصلاة واطعام الطعام . ثم ركب السلطان ولبسوا وركب السلطان وشفع ذلك بيومي النشاب والعطاء والخلع .

وحضـر رسل الملك بركه في هذا الوقت فشاهدوا من كثرة العساكـر وحسـن زيهم واهتمام السلطان وحسن الرجال والخيول المسومه ما بهرهم واستمر وقوف السلطان وهم الى جانبه يشاهدون خلفه حركات هذه الجنود واصابه رميها . واقاموا كذلـك اياما على هذه الصفة .

وفي تاسـع ذي القعدة الشهر المذكور خلع السلطان على من خلع عليه مـن الملوك والامراء والبحرية والحجاب والحلقة وارباب المناصب والعمائم والوزراء والقضاه وارباب البيوت . اعطاهم ذلك مرة ثانية . وحضر الناس لابسين الخلع ولعبوا بقيـه ذلك النهار . فقالت رسل بركه للسلطان : هذه عساكر مصر والشام . فقال : بـل عساكر المدينة خاصة غير الذين في الثغور مثل اسكندرية ودمياط ورشيد وقـوص والمجردين والذين في اقطاعهم . فعجبوا من ذلك . وذكر الرسول انه ما رأى خيلا

---

١) كذا في ابن عبد الظاهر ص١١٢ وهي في الاصل ساقطه .

ولا عدة في عسكر السلطان جلال الدين ولا غيرهم مثل هذا الموكب ٠

وفي عاشر ذى القعده الشهر المذكور عمل السلطان السماط في القلعة المحروسة ٠ وحضر الملك السعيد بن الملك الظاهر ٠ وحضر في خدمته اولاد الملوك واولاد الامراء فظهر الملك السعيد ٠ ثم ظهر ابن الاميرعز الدين الحلي اتابكه وابن الامير شمس الدين سنقر الرومي وولد سيف الدين سكر وولد حسام الدين ابن بركه خان وولد الملك المجاهدين صاحب الموصل ثم اولاد الملك المغيث صاحب الكرك الثلاثه وولد فخرالدين الحمصي وجماعة من اولاد الامراء ٠

وكان قبل (٥٥و) ذلك رسم السلطان بكسوة جماعة من الايتام وابناء الفقراء بمصر والقاهره فأحضروا الى القلعة وطهروا في هذا اليوم ٠ وكان السلطان رسم أن يختن مع ولده اولاد الملوك والامراء والمقدمين والاجناد والقضاة والفقهاء والعوام والفقراء ٠ ونادى بذلك مدينتي مصر والقاهره ٠ واحضر الناس اولادهم فبلغ عدد الصغار الف وستماية وخمسة واربعين من اولاد الفقهاء والعامة خارجا عن اولاد الملوك والامراء والمقدمين والجند فأمر لكل منهم بكسوة على قدره وماية درهم ورأس غنم ٠ وحمل السلطان عن الامراء والخواص كلفه التقادم وسد هذا الباب شرف نفس منه وعدولا عما كان يفعله غيره من الملوك في مثل هذا المهم العظيم من تكليف الناس ٠ ما احسن قول القايل ٠

ملك تفرد انه يهب البلاد مع الممالك
ويجود بالمدن العظام وبالحصون وما هنالك
حاشاه يسلك من قبول هدية تلك المسالك
او انه مع جوده وعطائه يرضى بذلك

ذكر توجه الملك الظاهر الى الصيد ومسيره الى ثغر الاسكندرية ورجوعه الى قلعته سالما

لما فرغ السلطان الملك الظاهر من هذا المهم العظيم كما قدمنا شرحه خرج من قلعته متصيدا فعدى الى بر الجيزية في ذى القعده من هذه السنة . وسار الى الطرانه الى وادى هبيب (١) ونزل بالدره التي هناك . ووصل تروجه واخذ منها الى جهة الحمامات وسار الى منزله الكبش وقيل الكرش بالرا قرب العقبه الصغرى التي غربي الحمامات . وركب من الكبش الظهر وضرب حلقه في اليوم الثاني ووصلت الميسرة الى فوق العقبه الصغرى . وعيد عيد الاضحى ونحر الاضاحي وصلى صلاة العيد .

وبلغه ان بعض العربان قد عصوا في بعض البرارى فجرد اليهم جماعة وحضر جماعة من عرب هواره وعرب سليم فكتب عليهم الحجج بعمارة البلاد وان لا يقربوا احدا من العربان العصاة . وعاد السلطان الى الاسكندرية وصلى في الجامع الغربي . وعم جميع الامرا والمفاردة وخواصه بما فرقه عليهم من الاموال والاقمشه عمل الدار الطراز والاشكر لاط ولعب الكرة (٥٥ ق) بميدان الاسكندرية وزار الشيخ الشاطبي . وسار متوجها الى القاهره المحروسة . ولما نزل بتروجه عند رجوعه رسم بتقديم سيف الدين عطا الله بن عزاز على عرب برقه وتحدث معه في امر العربان وكونهم ينتفعون من مصر باثمان الخيول المجلوبة والاغنام وغيرها . وانهم يستنتجون الاغنام ويزرعون الزرايع ولا يقومون بحق الله تعالى من الزكاة والعشر . وابو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : ولو منعتوني عقالا كانوا يعطونه لرسول الله صلى الله وسلم لقابلتهم على منعه . وقد قال الله تعالى : واقيموا الصلاة واتوا الزكاة (٢) فالتزم الامير عطا الله بهذا الامر وانعم السلطان عليه سنجق ونقارات فتوجه ملتزما حفظ البلاد واستخراج الزكاة من العربان والله اعلم .

---

١) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ١١٦) وفي الاصل بدون نقط .
٢) سورة النسا ٤ آية ٧٦ .

ولما وصل السلطان الاسكندرية الى قلعته سالما وصل الى الابواب الشريفه شحنه تكريت ومعه جماعة . فأحسن السلطان اليهم وعمل فيهم كما قال الله تعالى : اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (١) .

وفي هذه السنة وصل للسلطان الملك الظاهر عشرة عقبان فأطلقها . فعمل في ذلك الامير جمال الدين ابن الامام الحاجب :

جاءت ملوك الطير في يد آسر ... قهرا الى ملك الانام الظاهر
اضحى سليمان الزمان فملكه ... يسمو به لقياصر واكابر
ملك الزمان ستاتينت مثلهم (٢) ... في اسر خادمت الزمان الجائر

ذكر توجه عسكر جهزه السلطان الى خيبر لاصلاح من بها .

ابت همة السلطان الملك الظاهر الا افتتاح البلاد القريبة والبعيدة واحتمال المشاق (٥٦و) في المهمات العتيدة . ورأى ان بلاد الحجاز طريق البلاد اليمنية وظهر البلاد الكركيه والشوبكيه . ونظر الى جهة خيبر فوصلته كتب اصحابها عبيد الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه يبذلون الطاعة والخدمة ويستجدون اسباب النعمة . فسير نجابين استصبح الاخبار . وانتدب الامير امين الدين موسى بن التركماني . وجهز الرماة والمقاتله وانفق فيهم الاموال وجهز الخلع للمقدمين والمشايخ وكتب الى نايب الكرك بتجهيز امراء العربان وجماعة من البحرية المجردين بالكرك صحبته وجهز الغلال والذخاير لهذه القلعة فتوجه الامير امين الدين وافتتحها .

---

١) سوره قريش ١٠٦ آية ٤

٢) كذا في ابن عبد الظاهر (ص١١٧) وغير واضحة في الاصل .

وفي هـذه السـنة ظهر قتلى في الخليج وفقد جماعة من الناس اتهم بهـم معارفهم والتبس الامر فيهم . ودام هذا الحال مدة شهر حتى ظهر ان امرأة حسناء تسمى غازية كانت تخرج في زينة فاخره . وتطمع من يراها من الاحداث ومعها امرأة عجوز فاذا رأت احدا مال اليها بالنظر وتبعها تعرضت اليه وخاطبته في امرهـا وقالت له لايمكنها تجتمع بأحد الا في منزلها خوفا على نفسها . فمنهم من يحمله الغرض على موافقتها فينطلق معها فاذا حصل عندها خرج اليه رجلان فيقتـلانـه ويأخذا لباسه وما معه . وكانوا على ذلك يتنقلون من مكان الى مكان خوف الشعور بهم . الى ان سكنوا خارج باب الشعرية على الخليج . فاتفق انه كان بالقاهره ماشطه مشهورة فجاءتها العجوز وقالت لها : عندنا امرأة قد زوجناها ونريد منك تدبير امرها وتزيينها بأحسن زينه . ونحن نعطيك مهما احببتي وواعدتها علـى المسير اليها فحملت الماشطة (٥٦ ق) ماتيسر عندها من الحلى والثياب مع جاريـة لها وخرجت اليهم فدخلت عندهم وانصرفت الجارية . فلما انصرفت الجارية قتلوهـا وابطى خبرها على الجارية . فجاءت الى الدار فطلبتها فأنكروها . فوشت بهـم الى الوالي بالقاهره . فركب الى الدار وهجمها فوجد فيها الصبية والعجـوز فأخذهما وتوعدهما فاقرا على نفسهما وعلى رجلين آخرين . فحبس النساء فسمـع بهما احد الرجلين فأتى يتفقدهما فقبض عليه وعوقب حتى اقر فدل على رفيقـه رجلا في جوارهم له اقمنه يحرق فيها الطوب . فكان يلقي فيها من يقتلوه . فيحترق ولايعرف به احدا . واظهروا من الدار حفاير مملوءه قتلى فطالعوا السلطان بأمرهم . فامر بتسميرهم تحت القلعة فسمروا في يوم واحد وشفع عنـد السلطان في المرأة بعد تسميرها بيومين فأمر باطلاقها ففكت مساميرها واطلقت . فأقامت اياما وماتت . ولما سمروا عمد بعض عوام البلد الى بيتهم فعمره مسجدا والله اعلم .

قال بعض اهل التاريخ وفيها امر السلطان الملك الظاهر بانشاء خان بالقدس الشريف وفوض امر بنايه للامير جمال الدين محمد بن نهار ونقل اليه من القاهرة بابا من بعض دهاليز قصور الخلفاء بمصر واوقف اوقافا حسنة منها قيراط ونصف من قرية الطره من اعمال دمشق ، وثلث وربع قرية المشيرفه من عمل بلد السواد ونصف قرية لينا من عمل القدس يصرف ذلك في ثمن خبز واصلاح نعال من يرد اليه من المسافرين المشاة ، وفلوس وبنى بالخان طاحونا وفرنا ، وجعل النظر فيه للامير جمال الدين محمد بن نهار ،

وفيها اتفقت واقعة بالمغرب بين السلطان ابي يوسف (٥٧و) يعقوب المريني وبين الفرنج ، وكان المقدم على الفرنج قائدا يسمى بدر قزمان ، وكان الملتقى على مكان يقال له بيره فهزمه المريني وقتل جماعة ممن كان معه واثر في تلك البلاد آثارا حسنة ،

(٥٨ ق) (١) ذكر وفاة من توفي من الاعيان في هذا العام وبعض اخبارهم ،

ابراهيم بن مكي بن عمر بن نوح بن عبد الواحد المخزومي الدماميني يلقب ضياء الدين الكاتب ، سمع من ابي الحسين علي بن قصر بن الحسين الخلال وحدث بالقاهره فسمع منه الشريف عز الدين احمد بن محمد وغيره وتقلب في الجند الديوانيه بديار مصر ، ولد في رابع عشر المحرم سنة اربع وثمانين وخمسماية بدمياط وتوفي في حادي عشر ذى الحجة سنة اثنتين وستين هذه السنة ببلبيس رحمه الله تعالى ،

---

١) لاوجود لصفحة رقم ٥٧ ق ولا لصفحة ٥٨و مع العلم ان صفحة ٥٧و لم يكتب فيها الا ثلاثة اسطر وبعض السطر ،

احمد بن ابي عبد الله محمد بن مندر المالقي المصرى يكني ابا جعفر ويعرف بالضيا' الحافظ · كان عارفا بالادب وله نظم حسن ومعرفة بعلوم عدة · توفي في هذه السنة ·

احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن رافع الحلبي الاسدى يكني ابا العباس ويلقب كمال الدين ويعرف بأبن الاستاذ · سمع الكثير وحدث وولي قضا' القضا' بحلب واعمالها في سنة ثمان وثلاثين وستماية · وكان في عنفوان شبابه · فحمدت سيرته وشكرت طريقته · وكان سديد الاحكام وله المكانه العظيمه من الملك الناصر صلاح الدين يوسف الايوبي صاحب حلب ومن سائر ارباب الدولة · ولم يزل متوليا الى ان ملك التتار حلب · توفي في نصف شوال من هذه السنة ·

اسماعيل بن علي (١) بن الجباب المصرى يلقب لشمس الدين ····· (٢) بعض الاخوان قال : زرت القرافه الصغرى وشاهدت (٣) الجبد المقطم تحت العارض بجوار مراكع موسى في تربة قديمة بايوان كثير معقود قبورا عديدة على لوح رخام عند رأس قبر منها مامثاله بعد (٥٩و) البسملة الشريفه : اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها (٤) · هذا قبر الفقير الى الله تعالى شمس الدين اسماعيل بن علي بن الجباب توفي في الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وستماية ·

سليمان بن عامر العقرباى الدمشقي يكني ابا المؤيد ويلقب زين الدين ، ويعرف بالزين الحافظى · لهذا الزين الحافظي امور قبيحة وقعت منه في حق المسلمين

---

١) في الاصل " ع ··· لى " ·
٢) في الاصل " احب لي " ولعلها " اخبرني " ·
٣) في الاصل " وشـ اهدت "
٤) سورة الرعد ١٣ آية ٤٠ ·

حين حضر التتـار الى الشام وقد قدمنا بعض ماوقع منه فنسأل الله حسن الخاتمة بمنـه وكرمه انه على كل شيء قدير . ذكر الصاحب ابن شداد في سـيرة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ان من جملة الاسباب المؤكدة لقتله ان الملك الظاهر استدعى اخاه عماد الدين احمد المعروف بالاشتر من دمشق وعوقه اياما ثـم افـرج عنه وانعم عليه في الشهر بخمسماية درهم ورتب له خبزا ولحما وغير ذلك مما يحتاج اليه . وامره ان يكتب الى اخيه الزين المذكور كتابا يعرفه فيه نية السلطان وان ماله ذنب وهو بريء مما نسب اليه من افعاله القبيحة وانضمامه في سلك هولاكو ملـك التتار . فكتب اليه بجميع ما اراد الملك الظاهر فلما وصلت الكتب الى الزين الحافظي حملها الى هولاكو وعرضها عليه . وقال له ان صاحب مصر انما يكتب لي بمثل هذا ليقع في يدك فيكون سببا لقتلي . وقد عزمت ان اكاتب من عنده من الامراء القائمين بدولته والاعيان بمثل ماكاتبني لاكيده كما كادني . فأذن له فكتب كتبا لجماعـــة فوقعت في يد السلطان الملك الظاهر فعلم انها مكيدة منه . فكتب اليه يشـــكره على عرض الكتب على هولاكو واستصوب رأيه في ذلك كونه عرضها لتزول التهمة (٥٩ ق) عنه . وبعث الكتب مع قصاد وقرر معهم انهم اذا وصلوا الى وسط جزيرة ابن عمـر يتجردوا من ثيابهم على انهم يسبحوا ويحتالوا في اخفاء انفسهم ليظن انهم قـد غرقوا وتكون الكتب في ثيابهم . ففعلوا ذلك فرأى نواب التتار الثياب فأخذوها وفتشوها فوجدوا فيها الكتب فحملوها الى هولاكو فوقف عليه وكتم امرها واسرها في نفسه مضمرا لقتله . ثم احضره وقال له : انت قد ثبت عندي خيانتك وتلاعبك بالدول فانـك خدمت صاحب بعلبك طبيبا فخنته ، واتفقت مع غلمانه على قتله . فلما قتل انتقلت الى خدمة الملك الحافظ الذي عرفت به ونسبت اليه فلم تلبث ان خنته وباطنت عليه

الملك الناصر صاحب حلب واخرجت قلعة جعبر من يده • ثم انتقلت الى خدمة الملك الناصر ففعل معك ما لم تسم اطماعك اليه ولا الى بعضه • فخنته معي حتى جرى له ماجرى • ثم انتقلت الى فأحسنت اليك احسانا لم يخطر ببالك فجعلت تكافيني عليه بالافعال الرديئة وتعاملني عليه بما كنت تعامل به الملك الناصر وشرعت في مكاتبة صاحب مصر فأنت معي في الظاهر خارجا عني في الباطن • فأنت شبهك شبه القرعة على وجه الماء كيفما ضربها الهوى سارت وعدد له ذنوبا عديدة في خيانته في الاموال التي كان سيره في جبايتها واستخراجها • ثم امر بقتله وقتل اخوته واولاده ومن يلوذ به • فكان مجموعهم نحو الخمسين فضربت رقابهم صبرا • لم ينج منهم سوى ولد له يسمى مجير الدين محمد وولد اخيه شهاب الدين • قتل الزين الحافظي في اواخر هذه السنة •

صالح بن ابي بكر بن سلامه المقدسي الحمصي يكنى ابا البقاء الفقيه الشافعي • ولي القضاء بمدينة حمص • كان حسن الظاهر سديد الطريقه محمود السيرة توفي بحمص في هذه السنة •

(٦٠ و) عبد الملك بن نضر بن عبد الملك المصرى النجوى يعرف بابن اللغوى ولد في رابع صفر سنة تسع وتسعين وخمسماية بالاسكندرية • وتوفي بمصر في رابع عشر شهر ربيع الاول من هذه السنة ودفن من يومه بسفح الجبل المقطم •

عبد الكريم بن قاضي القضاه جمال الدين عبد الصمد بن محمد الانصارى الخزرجي الدمشقي يكنى ابا الفضائل ويلقب عماد الدين ويعرف بابن الحرستاني • روى عن الخشوعي وعن ابيه وغيرهما • كان دينا ناب في القضاء بدمشق عن والده في الايام العادلية وعن قاضي القضاة الخويي عند توجهه الى الحجاز الشريف وولي

قضاء القضاة بدمشق في الايام الاشرفيه . وولي الخطابة والامامة . بجامع دمشـــق وتدريس الزاوية الغزالية سنة ثلاث واربعين وستماية . ثم ولي مشيخة دار الحديـــث الاشرفية . واستقر ذلك من الايام الصالحية النجميه ومن قبلها الى ان تعصـــب عليه نائب السلطنة الامير جمال الدين اقوش النجيبي وكاتب السلطان في حق ولده محي الدين فجاء المرسوم بتولية ولده الخطابه مع الزاوية الغزالية وان يولـــي دار الحديث للشيخ شهاب الدين ابو شامه . ولـد الخطيب عماد الدين بدمشـــق في سابع عشر شهر رجب سنة تسع وتسعين وخمسماية . وتوفي ببيت الخطابه بالجامع الاموى بعد صلاة الصبح من يوم الاحد تاسع عشرى جمادى الاولى من هذه السنة وصلى عليه بالجامع قاضي القضاة شمس الدين احمد بن خلكان . وبسوق الخيل الشيخ شهاب الدين ابو شامه وكان له مشهد عظيم حضر جنازته غالب من في دمشق وحواضرها . وانتشر الخلق فكان اولهم الصالحية وآخرهم سوق الخيل . ودفن بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشـق قريبـا من ابيــه .

محمد بن محمد بن ابراهيم بن الحسن بن سراقه الانصاري (٦٠ ق) الشاطبي يكنى ابا بكر ويلقب محي الدين ويعرف بابن سراقه الحافظ . ولي مشيخه الحديث بالمدرسة الكاملية بالقاهرة المحروسة . ولـد بشاطبه من بلاد الاندلس في شهر رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسماية . وتوفي بالقاهره بعد الظهر من يوم الثلاثاء العشرين من شعبان من هذه السنة ودفن من الغد بسفح المقطـم .

محمـد بن عيسى وقيل ابن منصور السكندرى يكنى ابا القاسم ويعرف بالقبارى الشيخ الصالح الزاهد . كان احد المشايخ المشهورين بكثرة الورع والتحرى فـي المأكل والملبس والانقطاع والتخلي وترك الاجتماع بابناء الدنيا والاقبال على مايعنيه . وكان يزوره الملوك والامراء فلا يكاد يجتمع بأحد منهـم .

ولما توجه الملك الظاهر الى الاسكندرية قصد زيارته فركب الى بستانه فلم يفتح له الباب . ويحكى عنه انه كان اذا رأى ثمره ساقطه في ارض البستان تورع عن اكلها خشيه ان تكون الثمرة من شجرة غيره قد حملها طائر فسقطت من الطائر الى غيطه . وحكي عنه انه اباع دابة بخمسين درهم . فأحضرت الدراهم فجعلها في قادوس . وان المشترى لها اتاه بعد يومين فقال له ان الدابه لم تأكل علفها منذ يومين . فقال له : ماصنعتك قال : رقاص . فدخل واخرج القادوس وفيه الدراهم وضعفها وقال : افتح يدك فان دابتنا ماتأكل الحرام . وان ذلك الرجل اباع كل درهم منها بثلاثة دراهم لاجل البركه . وله مناقب كثيرة توفي ببستانه بجبل الصيقل ظاهر ثغر الاسكندرية في هذه السنة ودفن بوصية منه وذكر قاضي القضاة شمس الدين احمد بن خلكان عن الشيخ مجد الدين ابن الخليلي ان موته كان في سادس شعبان وان الاثاث المخلفه عنه كان قيمته خمسين درهم فبيع بنحو عشرين الف درهم وان الناس تزايدوا فيه رجاء البركة حتى في الابريق الذى كان يتوضى به .

(١٦و) محمد بن ابي بكر بن سيف التنوخي الموصلي يلقب شمس الدين الوتار المعرى . خطب بجامع المزه . وكان له حاصل من الادب وله شعر فمنه قوله :

وكنت واياها مذ اختط عارضي ... كروحين في جسم ومانقضت عهدا
فلما اتاني الشيب يقطع بيننا ... توهمته سيفا فالبسته غمدا

ومن شعره في الصاحب صفي الدين ابن مرزوق لما عزل من الوزارة في دولة الملك الاشرف بن الملك العادل الايوبي :

ما ابصر الناس ولا يبصروا ... في عصرهم مثل ابن مرزوق
من جهله يحكم في عزله ... كهارب يضرب بالبوق

ولد في سنة تسع وسبعين وخمسماية بالموصل . توفي في هذه السنة ووجد على قبره مكتوب هذين البيتين :

قد كان صاحب هذا القبر لؤلؤة وكان قد صاغها الرحمن من صلف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيرة منه الى الصدف

موسى بن الملك المنصور ناصر الدين ابراهيم بن الملك المجاهد اسد الدين شيركوه الايوبي الحمصي . يكني ابا عمران ويلقب مظفر الدين وينعت بالملك الاشرف صاحب حمص . كان شابا عفيفا عما يقع فيه غيره . وكان كريما له صلات لمن يقصده . يحب اهل العلم وله في كسرة التتار في المرة الثانية الاثر الجميل والفعل الحميد . توفي بحمص في يوم الجمعة حادي عشر صفر من هذه السنة قبل الصلاة . ودفن ليلا على جده الملك المجاهد بالمدرسة التي انشأها بباطن حمص ومات وله خمس وثلاثون سنة ولم يكن له ولد ولا اخ ولا ولي عهد .

لاجين بن عبد الله العزيزي يلقب حسام الدين الجوكندار كان من مماليك الملك العزيز غياث الدين صاحب حلب . وكان شجاعا جوادا كريما كيسا لطيفا متواضعا محبا للفقراء (١٦ ق) نحسن الاعتقاد بالصالحين وله المواقف المشهورة . ذكره الشيخ قطب الدين اليوناني (١) في تاريخه واثنى عليه وقال : كان له في الفقراء والصالحين عقيدة حسنة ويكثر الاحسان اليهم وكان يعمل السماعات ويحضر فيها من المآكل والمشارب والروائح الطيبه مايبهر العقل ويتجاوز الحد ويمد السماط ثلاث مرات بشرط انه لا يرفع منه شيئا بل يوكل منه ما امكن ويتفرق من حضر ما بقي . وجميع ما يشرب في تلك الليلة من اولها الى آخرها من المياه مصنوعا بالثلج والسكر المكرر وماء الجلاب والورد .

---

(١) كذا في الاصل ولعلها اليونيني .

فاذا كان في وقت السحر اخذ الحمام المجاورة لداره ودخل اليها ومعه معظم الجمع فيخدم الفقراء بنفسه وغلمانه فاذا خرجوا يعقد من عليه قميص خليع او دلق واحضر اليهم قمصانا جددا ودلوقا في غاية الحسن ثم يستدعيهم الى داره ويسقيهم من الاشربة ماينا سب الحمام ويلائمه ٠ ويمد لهم السماط من التطماج والحلوى السخنة ويخلع على المغاني ٠ وكانت الاشياء بدمشق غاليه في ذلك الوقت جدا ٠ وقيل كان تقدير مايصرفه على كل سماع ثمانية الاف درهم ٠ توفي لاجين المذكور في رابع عشر المحرم من هذه السنة بدمشق ودفن بسفح قاسيون وقد ناهز الخمسين سنة ٠ وقيل انه سم من مملوكه جمال الدين ايدعدى بمواطأة عليه ٠

يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج القرشي الاموي يكنى ابا الحسين ويلقب رشيد الدين النابلسي الاصل المصري المولد والدار المالكي العطار الحافظ ٠ سمع الكثير من خلق كثير وحدث بالكثير وانتهت اليه رياسة الحديث بعد الحافظ ركن الدين المنذري ٠ ولد في شعبان سنة اربع وثمانين وخمسماية وتوفي بمصر بعد الظهر من يوم الاثنين ثالث جمادى الاول من هذه السنة ٠ ودفن بسفح المقطم قريبا من (١) ابي بكر الخزرجي رضي الله عنهما ٠

٦٦٣ هـ (٢٤ اكتوبر ١٢٦٤ ـ ١٣ اكتوبر ١٢٦٥)
(٦٢ و) ذكر الحوادث في سنة ثلاث وستين وستماية

توجه السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في اوائل هذه السنة الى الصيد فأقام باوسيم وعرج الى جهة العباسة ٠ ورمى البندق واصرع جماعة وادعوا للسلطان ومن جملتهم الامير فخر الدين عثمان بن الملك المغيث صاحب الكرك وصرع السلطان الملك الظاهر نسرا في ثالث شهر ربيع الاول قريب (٢) رأس الماء ٠

---

١) بعدها نصف سطر بياض قبيل " ابي " ٠
٢) يبدو كأنها كانت "قريبا" ثم كتبت كما هي في المتن ٠

ذكر نزول التتار على البيرة ومحاصرتهم لها وتجريد العساكر المصرية اليها وخروج الملك الظاهر الى الشام

كان السلطان الملك الظاهر خرج متصيدا بجهة العباسة واعراس · فبلغه ان التتار قد جمعوا ونازلوا البيرة المحروسة فوثب وثبة الاسد المفترس واندفع اندفاع السيل المحتبس واخذته الحمية للاسلام ومنع جنبه ان يضطجع وعينه ان تنام · وامر الامير بدر الدين الخزندار بالركوب على الخيل السابقة · وانه ساعة وصوله يجرد اربعة الاف فارس من العسكر الخفيف وساقوا وساق السلطان من اعراس الى قلعته · فأقام ليلة واحدة وكانت العساكر متفرقه في البلاد والخيول على الربيع وكانت الفرنج قد افهمت التتار ذلك وان عسكر الديار المصرية لا يمكنها وقت الربيع الحركه · وما علموا ان للاسلام ملكا يحمل النعس على المشاق · واذا ساق الى جهة تخيل ان ركب على البرق وساق · فلما استقر بقلعته رسم للامير عز الدين ايغان الملقب بسم الموت بتقدمة العساكر ولمن هو مسافر معه بالتوجه جرايد · ومنهم الامير فخر الحمصي والامير بدر الدين بيليك الايدمرى والامير علاء الدين كشتغدى الشمسي وجماعة (٦٢ ق) من الامراء والحلقه وتوجهت هذه العساكر في رابع شهر ربيع الاول من هذه السنة·

وامر الامير جمال الدين المحمدى وجمال الدين ايدغدى الحاجبي بالتجهيز في قريب اربعة الاف اخرى · فخرجت هذه العساكر ثاني يوم خروج الامير عز الدين ايغان وسافروا بعد سفر العسكر الاول بأربعة ايام ·

ولما توجهوا شرع السلطان في التجهيز وسير السلاح داريته لاحضار الدواب من الربيع واحضار الجند · وخرج السلطان الملك الظاهر بنفسه في خامس شهر ربيع الاخر من هذه السنة · ورحل في سابع الشهر المذكور · وسار والنصر تقدمه ·

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يضمن الله لمن خرج في سبيل الله لايخرجه الا جهاد في سبيلي والا ايمان بي وتصديق لرسلي ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نايلا مانال من اجر او غنيمة . وكانت العساكر تملاء الارض وما نقصت في العين بسبب من جرد . وصارت الجمال تتفانا بلا سبب . وبقيت اموال الناس مطروحة على الطرقات . ولمهابة السلطان لم يتأخر احد . ولما عرفوا السلطان بحال الناس وبموت الجمال . قال : ما انا في قيد الجمال انا في قيد نصرة الاسلام .

ونزل السلطان غزه في العشرين من شهر ربيع الاخر . فوصلت كتب النواب بأن العدو نصب على البيره سبعة عشر منجنيقا . فكتم السلطان هذا الامر عن امرائه ولم يطلع عليه الا الامير شمس الدين سنقر الرومي وسيف الدين قلاون الالفي . وصار يكتب الى الامير عز الدين ايغان ويقول : متى لم تدركوا هذه القلعة والا سقت اليها بنفسي جريدة . فساق العسكر وحث السير .

ولما نزل السلطان في (٦٣و) قريتا (١) ركب للصيد فتقنطر عن فرسه وانهشم وجهه وانسلخ جلده فأظهر تجلدا ورحل فنزل يبنا (٢) . وحضر في الخدمة قسطلان يافا واحضر جمله من التقادم .

ذكر وصول العساكر الاسلامية لحماية البيرة وهزيمة التتار وورود البشائر الى الملك الظاهر بذلك

كنا قدمنا ان التتار قد جمعوا ونازلوا البيره المحروسة . وان السلطان

---

١) في الاصل بدون نقط اما في ابن عبد الظاهر (ص١٢٠) فهي قريبا من صيداء وهي "قريتا" عند المقريزى ، السلوك ، (ص٥٢٤)
٢) في الاصل بدون نقط .

الملك الظاهر لما بلغه ذلك جرد العساكر اولا اولا • ثم خرج بنفسه وتوجه الى جهة الشام • فلما وصلت العساكر الاسلامية المجردين من الديار المصرية الى البيرة وشاهدوهم التتار ورأوا عزايمهم الماضيه في قتالهم هربوا ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم وانهزموا لا يلوى احد على احد ولا يقف والد لولد • فلما كان سادس عشر من شهر ربيع الاخر الشهر المذكور ورد البريد الى يبنى من جهة الامير جمال الدين النجيبي نايب السلطنة بالشام • وكان السلطان قد دخل الى الحمام في دهليزه المنصور فسمع انه قد وصل خبر طيب فقام لوقته عريانا وقرئت عليه الكتب فوجد في كتاب الامير جمال الدين النجيبي نائب دمشق بطاقة من الملك المنصور صاحب حماه مضمونها انه وصل الى البيره بالعساكر المنصوره صحبة الامير عز الدين ايغان وجماعة الامراء يوم الاثنين • وان التتار عندما شاهدوهم وراوا عزائمهم الماضيه هربوا ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم وانهزموا لا يلوى احد على احد ولا يقف والد لولد • وكان كتابتها من البيره الى حين وصولها الى يبنى اربعة ايام • فان البطاقة وصلت الى حماه الى دمشق على الجناح • ومن دمشق حضر البريد بها الى يبنى وهذا لاحتفال السلطان بامر الاسلام وترتيب (٦٣ ق) المصالح العامة، واى همة اعظم من همته تبلغه الاخبار من البيره وهو في اول بلد الساحل في اربعة ايام ويكون في الحمام فلا يصبر الى ان يلبس قماشه بل يخرج على الصفة التي ذكرناها عجلا خشية من مصلحة تفوت •

وللوقت سير البطاقة صحبة الامير حسام الدين لاجين الدوادار فأوقف عليها الامير شمس الدين سنقر الرومي والامير سيف الدين قلاون الالفي • ثم حضر اربعة مماليك من جهة الامير عز الدين ايغان والامير فخر الدين الحمصي والامير بدر الدين الايدمرى والامير بدر الدين العلائي مقدم عسكر الشام بالبشارة • فطلب

السلطان امراء دولته وقرأوا الكتب واستبشروا بهذا النصر وكفى الله المؤمنين القتال . وكتب كتب البشائر الى الديار المصرية وغيرها .

واصبح ينظر في امور دولته لانه كان اذا لم يركب يصلي الصبح ويخرج الى باب دهليزه ويجلس على كرسي امير جانداره ظاهرا للناس كافة . ويقرب منه الفقير والمرأة والضعيف ويقضي حوائج الناس ويسمع قصص الرعايا ويوقع عليها بين يديه الى ان يرى امراءه حضروا من ركوب الخيل يقوم ويجلس في مرتبه السلطنه ويحضر الامراء ويمد لهم الخوان ويجلس لقضاء حوائج الناس وللعلامة على الكتب . وانما ذكرنا ذلك ليعلم ان هذا السلطان اوقاته مستغرقة في مصالح المسلمين ولذته في الاهتمام بأمور الدين .

ثم احضر البريدية من البيره سكك حديد كان العدو صنعها للصعود في الاسوار . وورد كتاب الامير جمال الدين اقوش المغيثي النايب بالبيرة يذكر صفة الحال وما اشتملت عليه من قوه العزائم وشدة الشكايم . وانه لما كثر العدو على القلعة وطم الخندق حفر اهل البيره حفيرا قدر قامة (٦٤و) وعملوا فيه سردابا نافذا الى الاحطاب التي كان العدو ردمها في الخندق . ورموا فيها النار فاحترقت جميعها في الخندق وما قدر العدو على طفيها . ثم سد المسلمون السرب المحفور . وذكر مصابرة اهل الثغر وان نساءهم فعلن من حسن البلاء في قتال الاعداء ما لا يفعله الرجال . ومن جملة ماوصف ان برجا واحدا كان عليه خمسة عشر منجنيقا وثبت شهرين . وكان العدو قد ضربوا اربعين سكة كل سكة ثلاثة ارطال بالحلبي وخمسين سكة كبيرة . وجعلوا فيها الحبال ليجروا بها السلالم ويرفعوا المقاتلة . فأخذ اهل الثغر الجميع واخذ من العدو مراكب كبارا وصغارا .

فكتب السلطان بأطابة قلوبهم وعينت امثله بأقطاعات لمن جاهد من البحرية وغيرهم بالبيره . واستشهد الامير صارم الدين بكتاش الزاهدي احد الامراء

المجردين بها بحجر منجنيق · وترك موجودا كبيرا وبنتا واحدة تستحق نصف ميراثه · فرسم ان يكون جميع ميراث ابيها لها لاتشارك فيه لما فعله ابوها في الخدمة · واهتم بعمارتها وحمل الاقوات اليها · وكتب الى جميع القلاع والولايات بمساعدة هذا الثغر وكتب تذاكر بما يحمل اليها من مصر والشام من اصناف واسلحة وعدد مجانيق وغيرها · وكلما تحتاجه هذه القلعه ومن فيها عشر سنين · وكتبت الى الامراء انهم لايتحركوا من مكانهم حتى ينظفوا جميع الخندق وينقلوا الحجارة التي ردمت فيه وكتب بذلك الى الملك المنصور صاحب حماه والى جميع الناس · وامر بنقل ذلك على اكتافهم وخلهم · فاقاموا كذلك مدة ·

ووردت الى السلطان كتب الامراء بها وهم يصفون مايعتدونه من حمل التراب بنفوسهم ونقل الحجارة · فصادف ذلك ان السلطان واقف على سور قيسارية وهو(٦٤ ق) يهدم بنفسه · وفي يده القطاعة وقد تجرحت يده · فكتب في الجواب : انا بحمد الله تعالى ماتخصصنا عنكم براحة ولا انتم في ضيق ونحن في سعة · ماهنا الا من هو مباشر الحروب الليل والنهار وناقل الحجار ومرابط الكفار · وقد تساوينا في هذه الامور · وما ثم ماتضيق به الصدور " ·

ووردت كتب الامراء يخبرون بأن النوبه كانت على الامير عز الدين ايغان والامير فخر الدين الحمصي · والامير بدر الدين الايدمرى وجماعة من البحرية · وكانت خيلهم في الجانب الشامي ترتعي وهم رجاله يعلمون · فأحاطت بهم فرقة من التتر المغل ملبسين · فاجتمعوا ورموهم بالنشاب وانكوهم بالجراحات فولوا منهزمين وسار العسكر خلفهم فوجد منهم جماعة قد هلكوا من تلك الجراح في الطريق · وفي حران وغيرها وجماعة من كبارهم قتلوا في ذلك اليوم ·

وسير السلطان استدعى من الديار المصرية مايتي الف درهم ومايتي تشريف وجهز معها من دمشق ماية تشريف ودراهم • وسير الجميع الى البيره • وكتب الى عز الدين ايغان بأن يحضر اهل القلعة وجميع من بها من امير ومأمور وجندى وعامي ويخلع عليهم وينفق فيهم المال حتى الحراس وارباب الضوء (١) يلبسون الخلع ويخدمون "بياب" (١) القلعة • وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال : يا رسول الله اى الاعمال افضل ؟ قال : مؤمن يجاهد بنفسه وما له في سبيل• ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله • وقال الله تعالى :

مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة والله يضاعف لمن يشاء (٢) •

ووصل كتاب الامير عز الدين ايغان بانه اعتمد هذا الامر • وسار خبره في البلاد (٦٥ و) وتحقق الناس ان السلطان لا يزيح له به عمل عامل وانه ليس عن غلمانه بغافل • وطابت قلوب اهل القلاع بذلك • وقالوا : السلطان يطوى لنجدتنا المراحل وتسبق عساكره الاخبار الى المنازل • ولما وصل الامير جمال الدين المحمدى رسم السلطان بأن يكون مقدما على العساكر المصرية والشامية لكبر سنه • والامير عز الدين ايغان يتحدث في المهمات واطلاق الاموال وترتيب امور البلاد فوردت كتبهم بأن الخنادق قد تنظفت ولم يبق لهم عايق •

فرسم السلطان ان يحملوا الى القلعة حجارة زلط • وقرر على صاحب حماه لنفسه خاصة الف زلطه وعلى كل امير من امرائه ماية حجر وكل جندى خمسين زلطه • وكذلك قرر على جميع الامراء والجند • وقرر عليهم حمل النشاب والاخشاب للمجانيق وجرد للعمارة الامير علم الدين والامير سيف الدين بلبان الحبشي وركن الدين الصروى

---

١) بدون نقط في الاصل

٢) سورة البقرة (٢) آية ٢٦٠ •

وتجرد من كل امير صحبتهم ثلاثة نفر يقيمون لنجار العمارة · واذا اتموا ذلك يتوجهون الى تل باشر للاغارة على بلاد سير فورد ت كتبهم باعتماد ذلك جميعه · واستمر حمل الغلال الى البيرة فلا ترى الا قوافل حاملة وركايب موسقه راحلة · وكتب السلطان الى الامير جمال الدين النجيبي بالحث على ذلك والتوبيخ (١) فعزم عزمة الرجال وحمل ماملاء الارض من الغلال وحملت اليها المجانيق من شيزر وعوضت عنها من دمشق · ورحل عنها العسكر وقد نصره الله واظفره وشيد بنية السلطان الثغر وعمره ·

ذكر تبطيل المزر واخراجه من اقطاعات الجند وتعويضهم غيرها ·

لما فرغ السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي من امر البيره كما قدمنا شرحه (٧٥ ق) رأى ان يتبع الحسنه حسنة وان يزيل منكرا تغدوا آثاره بينه وكتب الى الديار المصرية بتبطيل المزر وان تعفى آثاره وتخرب بيوته وتكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان · وكتب الى الامير عز الدين الحلي : اشتهي لاجلي تزيل هذا المنكر فان بعض الصالحين تحدث معي في ذلك · وقال القمح الذى جعله الله تعالى قوت العالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى بابطاله · ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ومن كانت له على هذه الجهة شيء يعوضه من مال الله الحلال · فورد ت الكتب واعتماد ذلك وعوض المقطعون وكتبت هذه الحسنة في صحائف هذه الدولة والله اعلم ·

ذكر تجهز الملك الظاهر لغزو الفرنج وفتح بلادهم ·

لما وصلت الاخبار الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وهو

---

١) في الاصل " والتوسح "

بالساحل بنصرة العساكر الاسلامية على التتار وانهزامهم شر هزيمة وامر بعمارة ثغـــر البيرة كما قدمنا شرحه ثني عينه الى جهة الفرنج ليدينهم كما دانوا ويكون لهم كمـا كانوا · وما اعلم احدا مغزاه ولافهم اين مرامه ومرماه · وركب من العوجا بعـــد رحيل الاطلاب للتصيد في غابة ارسوف · ورسم للامراء بان من اراد الصيد فليحضر · فأن الغابة كثيرة السباع وكان قد احضر الى باب دهليزه سبع مقتول احضره احـد الاجناد فأنعم على قاتله · وتشـوف الى تنظيف الغابة من الوحوش الكاسرة وسـاق فمر على قنطرة نهر العوجاء فوجد جماعة من الرعية والسوقيه عابرين على القنطـــرة في ليلة شاتيه فوقف وامر ان (٦٦و) لا يعبر احد حتى تعبر الضعفاء · ووقف لرجـل دابه فما زال واقفا حتى نزل خواصه وحملوا الدابة ونقلوا القماش · قال رسول اللـه صلى الله عليه وسـلم : ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء · وسـاق السلطان من ذلك المكان فرتب الحلقه ميمنه وميسرة ودخل الغابة وقضى بغيته من صيده وجرب سيوفه في تلك الوحوش على انها لم تزل مجربة ورتب الحتوف على الاعداء وان كانت عليهم مترتبه · وسار الى ارسوف وقيسارية وشاهدهما وعاد الى دهليزه فوجد اخشابا للمهمات قد احضرت صحبة زردخاناه كان الامير علم الدين نائب امير جاندار قد احضرها فطلب الامير عز الدين امير جاندار وامره بنصب عدة مجانيق مغربيـــة وفرنجيه من الاخشاب المذكورة · وفي وقت السحر من اليوم الثاني خرج السـلطان بنفسه وجلس عند الصناع ليبذلوا الاجتهاد فعمل في ذلك اليوم اربع منجنيقات كبار خارجا عن الصغار · وكتب السلطان الى قلاعه بطلب المنجنيقات والصناع والحجارين ورسم للعسكر بعمل سلالم · وعين لكل امير حمل عدة منها ورحل الى قريب عيـــون الاساور فأمر بعد عشاء الاخره بلبس العدد وركب قريب الصبح وساق الى جهـــة قيسارية وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالـى ·

ذكر بعض اخبار قيسارية وفتحهـــا

اعلم ارشدنا الله واياك ان قيسارية من البـلاد الساحلية في جند فلسطـين ٠ وكانت مدينة على سيف البحر حصينة منيعة لها ربض كبـــير٠

قـال البلاذري : ولى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنـــه يزيد بن ابي سفيان رضي الله عنهما فلسطين مع ما ولاه من اجناد الشام وكتب اليه يأمره بغزو قيسارية ٠ وقد كانت حوصرت قبل ذلك فنهض (٦٦ ر) اليها في سبعـة عشر الف فقاتل اهلها ٠ فمرض فعاد الى دمشق ٠ واستخلف عليها اخاه معاوية بـــن ابي سفيان رضي الله عنهم وذلك في سنة ثمان عشرة ٠ ولما توفي يزيد كتب امـــير المؤمنين عمر بن الخطاب الى معاوية رضي الله عنهم توليته على ما كان يتولاه يـــزيد فشكر ابو سفيان ذلك لعمر رضي الله عنهما وقال : وصلتك رحم ، فحاربها معاوية رضي الله عنه حتى فتحها في شوال سنة تسع عشرة للهجرة قسرا ٠ وبعث بفتحها تميم بن ورقا عريف خثعم الى عمر رضي الله عنه فقام عمر رضي الله عنه على المنـــبر ونادى في الناس الا ان قيسارية قد فتحت ٠ ولما فتحت وجد بها من المرتزقـــة سبعماية الفا ومن السامرة ثلاثون الفا ومن اليهود مايتا الف ٠ ووجد فيها ثلاثمـــاية سوق قائمة كلها ٠ وكان يحرسها في كل ليلة على سورها ماية الف ٠ وحوصرت سبع سنين الا شهرا واحدا ٠ وقال ايضا عن من حدثه ان الروم خرجت في ايام عبد الله بـــن الزبير رضي الله عنهما الى قيسارية فشعثتها وهدمت مسجدها الجامع فلما استتام(١) لعبد الملك بن مروان الاموي الامر رم قيسارية وبني مسجدها وشحنها بالرجـــال ٠ انتهى كـــلامه ٠

---

١) في الاصل بدون المـــيم ٠

ولم يزل بلي قيسارية من بلي جند فلسطين الى ان اخذتها الفرنج في سنة اربع وتسعين واربعماية بالسيف وقتلوا من فيها . ولم تزل بأيديهم الى ان فتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي على يد الامير بدر الدين دلدرم الياروقي وغرز الدين قليج في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية .

ثم خرجت عنه في الهدنه بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين وخمسماية . واستمرت في ايديهم (٦٧و) الى ان كسر عسكر ريدا فرنس الفرنجي على دمياط في سنة سبع واربعين وستماية . واسرثم اطلق . فنزل الساحل وعمر قيسارية وشيدها وحصنها . ولم تزل بأيديهم الى ان نزل عليها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في هذه السنة على حين غفلة من اهلها في يوم الخميس تاسع جمادى الاول ولوقته طاف بها وهاجمها الناس والقوا نفوسهم في خنادقها وعمدوا الى السكك الحديد الذى للخيل والسبح والمقاود فعلقوا فيها وطلعوا من كل جانب ونصبت عليها السناجق وحرقت ابوابها وهتك حجابها فهرب اهلها الى قلعتها . وسير السلطان كتب البشاير الى البلاد والى الاتابك فارس الدين .

ونصب السلطان المنجنيقات على القلعه وهي من احصن القلاع واحسنها وتعرف بالخضراء وكان الريد فرنس حمل اليها العمد الصوان واتقنها . وما رئي في الساحل احسن منها عمارة ولا امتع ولا ارفع لان البحر الملح خاف بها وحاير في خنادقها والثقوب لاتعمل فيها للعمد الصوان المصلبة في بنائها حتى اذا علقت لا تقع . واستمر الزحف عليها ورمي المنجنيقات والسلطان تارة يرمي النشاب من علو كنيسة قبالة القلعة وتارة يركب ويخوض عباب البحر ويقاتل (١) . وعملت دبابات وزحافات واطلق النشاب

---

١) في الاصل بدون نقط .

للعساكر من قلعه عجلون لكل صاحب مايه فارس اربعة الاف سهم • وكذلك الحلقه والجند ورسم بنقل الاحطاب وحجارة المجانيق وخلع على الامير عز الدين الافرم امير جاندار لاجتهاده في المنجنيقات وعلى المنجنيقيه •

وجرد الامير شهاب الدين القيمري بجماعة من عسكر الساحل لجهة بيسان فسير جماعة من التركمان والعربان الى ابواب عكا فأسروا جماعة من الفرنج ودوابا وغيرها • (٦٧ ق) واستمر السلطان على المصابره والمثاغرة • واقام بالكنيسه لايخرج الى دهليزه يرامي هو وجماعة الافجيه يمنعون الفرنج من الصعود الى علو القلعه • وتارة يركب في بعض الدبابات ذوات العجل ويجر من تحته حتى يصل الى الاسوار ويرى الثقوب بنفسه واخذ في بعض الايام في يده ترسا وقاتل وما رجع الا وفي ترسه عدة سهام •

وفي ليلة الخميس منتصف جمادى الاول الشهر المذكور حصرت الفرنج واسلموا القلعه بماقيها وتسلق المسلمون اليها من الاسوار وخرقوا الابواب ودخلوها من اعلاها واسفلها واذن بالصبح عليها • وطلع السلطان الى القلعه وقسم المدينة على امرائه وخواصه ومماليكه وحلقته وشرع في الهدم • ونزل واخذ بيده قطاعة واخذ يهدم بنفسه ورآه المسلمون فتشبهوا به وعملوا بنفوسهم وصار يباشر ذلك بنفسه وبيده • وقد اكتسى من الغبار اثوابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايلج النار رجل بكى من خشيه الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم ، وقال صلى الله عليه وسلم : ماغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار •

قـال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر ماصيغته :
وهـذه قيسارية من المداين قديما فتحت في صدر الاسلام وذلك في سنة تسع عشره من الهجرة النبوية . وسبب فتوحها ان الكفار المنتزحين بين يدى المسلمين التجأوا اليها وتحصنوا . فلما فرغ المسلمون من غزاة اجنادين ومن فتوح دمشق ومن قلعة فحل ومن قلعة اليرموك التي بدد الله فيها جموع الروم كتب امير المؤمنين عمر بن الخطـاب رضي الله عنه الى يزيد بن ابي سفيان رضي الله عنهما : اما بعد فقد وليتـــك (٦٨و) اجناد الشام كله وكتبت اليهم ان يسمعوا ويطيعوا ولا يخالفوا لك امرا فاخرج فعسكر بالمسلمين ثم سر بهم الى قيسارية ثم لاتفارقها حتى يفتحها الله عليك فانه لاينبغي افتتاح ما افتتحتم من ارض الشام مع مقام اهل قيسارية فيها وهم عدوكم والى جانبكم . وانه لايزال قيصر طامعا في الشام مابقي فيها احد من اهل طاعته ولـو قد فتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام والله عز وجل فاعل ذلك وصانع للمسلمين ان شاء الله تعالى . فسار اليها يزيد رضي الله عنه وقاتلها قتالا شديدا فلـم ينالوا منها شيئا . فقام عبادة بن الصامت رضي الله عنه ثم قال في جملة ماوعظهم به اني خايف عليكم ان تكونوا قد غللتم يعني سرقتم المكاسب ولم تقتسموها . فان عمر رضي الله عنه قال للمسلمين في نوبة اليرموك : سبحان الله اوقد دافعوهم يعنـي المشركين . ما اظن المسلمين الا قد غلوا . وقـال : لو لم يغلوا ماوافقوهم ولظفروا بهم بغير مونه اى بغير تعب . فصدقهم المسلمون القتال . فلما كان بعض الايام خرج اهل قيسارية والمسلمون غافلون فاجتمعوا عليهم من كل جهة ونصر الله عليهم فقتـل في المعركة خمسة الاف رجل . ولما شاهد يزيد تلاف حالهم استخلف عليهما معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهم وجل عنها ففتحها الله على يديه في التاريخ المذكور. ولم يبق في الشام حينئذ عدو للمسلمين في اقصاه ولا ادناه . وصار الشام كله للمسلمين . انتهى كـلامـه .

وفي جمادى الاول الشهر المذكور وردت الى السلطات الملك الظاهر كتب الامراء المجردين للغاره بأنهم وصلوا الى ابواب عكا وغنموا وعادوا سالمين ٠

وفي هذه الايام ورد خبر من جهة يافا بأن الاميرعلم الدين سنجر الصيرفي عمل حيله على بعض اصحابه وسيره الى يافا ليقضي له شغلا ٠ وكان قد اتفق مع قسطلان (٦٨ ق) يافا على القبض عليه فقبض عليه واعتقل في الجب فأنكر السلطان الملك الظاهر ذلك فأحضر اليه من يافا كتاب استاذه اليهم بحبسه ٠ فجمع السلطان الامراء وفي جملتهم الاميرعلم الدين الصيرفي وانكر عليه هذا الامر غاية الانكار وخلص المذكور من الامير ٠ قال الله تعالى : ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان (١) ٠ قالت العلماء : انقاذ اسرا المسلمين من ايدى الكفار من افضل القربات والمثوبات ٠ وقد قال بعض العلماء : اذا اسروا مسلما واحدا وجب على الاسلام ان يواظبوا على قتالهم حتى يخلصوه ويبيدوا الكفار والله اعلم ٠

ذكر ارسال الملك الظاهر تجريده الى حصن الملوحه وتوجه السلطان الى جهة عثليست وارسال تجريدة الى حصن حيفا وتسلمهم له ورجوع السلطان الى دهليزه سالما

لما قارب السلطان الملك الظاهر الفراغ من هدم قيسارية سير الامير شمس الدين سنقر الالفي الظاهرى والامير سيف الدين المستعزى وجماعة فهدموا قلعة للفرنج عند الملوحة ٠ وكانت عاتيه عاصيه ٠ ودكوها الى الارض ٠

---

١) سورة النساء رقم (٤) آية ٧٤

وفي سادس وعشرين جمادى الاول الشهر المذكور توجه السلطان الى جهة عثليث جريده وسير شمس الدين سنقر السلاح دار الظاهري والامير عز الدين الحموي والامير شمس الدين سنقر الالفي الظاهري الى حيفا فساروا اليها ودخلوا قلعتها فنجا الفرنج بأنفسهم الى المراكب بعد ان قتل منهم واسر واحضرت الاسارى والتروس واخربوا المدينة وقلعتها واحرقوا ابوابها وجعلوها خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وكان اخذها وما اعتمد فيها من قتل واسر واخراب واحراق في يوم واحد وعاد الامراء سالمين . واما (٦٩و) السلطان فانه وصل الى عثليث وامره بشعثها وقطع اشجارها . فقطعت جميعها وخربت ابنيتها في ذلك النهار . وعاد السلطان واذاق الكفار حسرة واى حسرة . ولا بد ان يعيد الحيف عليهم كما بدا اول مرة . وثنى العنان عنها وهو اليها يمتد . وحول الساعه وهو الى مرماتها يشتد واخرها الى اجل مسمى . ورأى انه تقدم على امرها الذى ليس بمهم وترك اهلها في حبس منها وقطع قلوبهم قبل قطع المسيرة عنها . وعاد الى دهليزه بقيسارية وكمل هدمها . حتى لم يدع لها اثرا . ووصل والسلطان على قيسارية الامير سيف الدين الزيني وصحبته المنجنيقات المحضره من جهة الفرنج ومن جملتهم احد ابناء الملوك فأعطاهم السلطان الاقطاعات واحسن اليهم . ومرض ايضا جماعة من الامراء فركب السلطان اليهم وعادهم . وهم الامير شمس الدين سنقر الرومي والامير عز الدين امير جاندار والامير سيف الدين الزيني امير علم .

ذكر بعض خبر ارسوف وفتحها

قال القاضي الامام الرئيس الاوحد العالم عز الدين محمد بن علي بن شداد الحلبي في تأليفه " الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة " ما صيغته : أرسوف ليس لها في الفتوح العمرى ذكر ولا فيما وقفت عليه من الكتب المؤلفة في صدر الاسلام . قال : واول ما احاط به علمي من امرها ان الفرنج تسلموها في سنة

اربع وتسعين واربعماية ثم فتحها الناصر صلاح الدين في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية • ثم دخلت في بلاد المهادنة بينه وبين الفرنج • ولما اطلق ريد فرانس ونزل الساحل عمر قيسارية وارسوف وبقيت في ايدى الفرنج الى ان فتحها الملك الظاهر بيبرس سنة ثلاث وستين وستماية واخربها " • انتهى كلامه •

قلت في تاسع وعشرين من جمادى الاول من هذه السنة سنة ثلاث وستين (٦٩ ق) رحل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي من قيسارية ولم يعلم احد الى اين توجهه • وسار الى ارسوف فنزل بها مستهل جمادى الاخره من هذه السنة • وامر بنقل الاحطاب فصار حولها كالجبال الشاهقة والتلال السامقة • وما ان اطل الاعداء له يشاهدون قالت لهم الاقدار حصب جهنم انتم لها واردون فعملت منها الستاير وامر بحفر سرا بين من خندق المدينة الى خندق القلعة وسقفت بالاخشاب • ولما فرغ من السرا بين سلم احدهما للامير شمس الدين سنقر الرومي والامير بدر الدين بيسرى والامير بدر الدين الخزندار الظاهرى والامير شمس الدين الذكر الكركي وجماعة الامراء السنجقية وغيرهم • وسلم السرب الاخر للامير سيف الدين قلاون الالفي والامير علم الدين الحلبي الكبير والامير سيف الدين كرمون وجماعة من الامراء • وعمل طريق من الخنادق الى القلعة فخرج الفرنج لاحراق الاحطاب فطلبهم الامير سيف الدين قلاون وغيره وقلب عليها المياه بنفسه وبجماعة الامراء وطغيت تلك النار •

ولما تكامل ردم الاحطاب بالخندق تحيل الفرنج بأن نقبوا من داخل القلعه الى ان وصلوا الى تحت الردم فخرقوا الارض الى الاحطاب وعملوا بتاتي ملأته ادهانا وسحوتا واوقدوا النيران وعملوا في النقوب المنافذ ولم يعلم العسكر بهذه الحيلة الا بعد تمكن النيران • وكان ذلك في الليل فحضر السلطان بنفسه في الليل ورمى

الناس نفوسهم في النار لاطفائها وسكبت المياه بالزوايا فما افادت شيئا • واشتعل جميع مابالخندق من الاحطاب وصارت هباء منثورا • وتمت الحيلة للفرنج خذلهم الله تعالى •

ولكن احدث الله بعد هذا النصر امورا وهو بأن السلطان تقدم (٧٠و) الى الامير شمس الدين سنقر الرومي ومن معه وهم نصف امراء السنجقيه وميمنه الامراء البحرية وميمنه الحلقة وميمنه لامراء الحاضرين غير من هو مجرد في البيرة وغيرها بأنه يأخذ هو والجماعة المذكورون من مكانه في باب السرب من حافات الخندق من جهة سوره حفرا الى البحر الملح • وتقدم الى الامير سيف الدين قلاون الالفي بأن يأخذ هو ونصف السنجقيه من جهة الميسرة وميسرة الحلقه وميسرة البحرية بأنهم يحفرون الى آخر الخندق من الجهة الاخرى • وان يحفروا من كل ناحيه من هذه النواحي سربا يكون حايط خندق العدو سائرا له • ويحفر في هذا الحائط ابواب يرمي التراب منها وينزل في هذا السرب حتى يساوى ارضها بأرض الخندق • وطلب عز الدين ايبك الفخرى احد اصحاب الاتابك واحضر المهندسين وعدق هذا الامر به • فاستمر العمل في هذه الخنادق والملك الظاهر طائف بنفسه وملازم الخندق يعمل فيه بيده • ويساوى الناس في جر المنجنيقات ورمي التراب ونقل الحجارة •

قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلفة سيرة الملك الظاهر : فتعست ام الجبان • فلقد رأيت السلطان يبذل من نفسه كل مصون ويهون منها مالا يهون • وهو بمفرده ماشرفي يده ترس وهو تارة في السرب وتارة في الابواب التي تفتح وتارة على حافة البحر يرامي مراكب الفرنج ويجر في المجانيق ويطلع فوق الستاير يرمي من فوقها ويرى كل احد حقه من المباشره والامر بالجهاد وشكر من يجب شكره بالخلع على كل من يفعل فعلا حسنا من ساير الناس • ومعهذا رحم الله الامه بسلامته ومن عليهم بوقايته • قال القاضي محي الدين : حكي لي الامير جمال الدين ابن بهار •

قال : رأيت (٧٠ و) السلطان في هذا النهار رمى ثلاثماية سهم نشابا . وقد قال صلى الله عليه وسلم : الا ان القوة الرمي . وقال صلى الله عليه وسلم : من رمى بسهم في سبيل الله كان كعتق رقبه . وقال صلى الله عليه وسلم : اذا .... (١) فارموهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم واتفق ان السلطان حضر الى السرب وبعد في رأسه خلف طاقة يرمي فيها فخرجت جماعة من الفرنج الفرسان ومعهم الرماح بالخطاطيف فلم يشعر الا وهم على باب السرب . فقام وقاتلهم يدا بيد . وكان معه الامير شمس الدين سنقر الرومي والامير بدر الدين بيسرى الشمسي والامير بدر الدين الخزندار وغيره . وصار سنقر الرومي يناوله الحجارة فقتل بها فارسين . وقطع الامير حسام الدين الدوادار احد الخطاطيف بسيفه وجرح في عضده ورجع الفرنج على اسوا حال . وكان السلطان يطوف بين عساكره في الحصار بمفرده ولا يجسر احد ينظر اليه ولا يسير بأصبعه وحضر العباد والزهاد والفقها والفقراء الى هذه الغزاة المباركة التي ملأت الارض بالعساكر واصناف العالم . ولم يتبع بها خمر ولا شيء من الفواحش بل النساء الصالحات تسقين الماء في وسط القتال ويجرون في المجانيق . واطلق السلطان لجماعة من الصالحين الرواتب مثل الشيخ على المجنون والشيخ الياس من الاغنام والحوائج . واطلق للشيخ على البكا حملة من المال وما سمع ان احدا من خواصه اشتغل عن الجهاد في نوبته بشغله ولا سير امير غلمانه في نوبته . واستراح هولاء الناس "سوا" في هذه الامور .

ولازم السلطان تفقد المجانيق بنفسه في كل وقت وعمل كرموس آغا منجنيقا بسبعة سهام شرا سرا "حسنا" . واحضر من دمشق مجانيق وكانت المفاردة في العتاب تحملها (٧١ و) على الرقاب . واجتهد الامير عز الدين الافرم في امر الحصار الاجتهاد التام . ولم يزل ملازم البيت عند المنجنيقات وهو المتصرف فيها . ولما امرت المنجنيقات في هدم الاسوار وفرغ من السرابات التي الى جانب الخندق من الجهتين وفتحت فيهما

---

١) كلمة غير واضحة .

ابواب متسعة . حصل الزحف على ارسوف في نهار الاثنين ثامن شهر رجب الفرد من هذه السنة وفتحت في ذلك النهار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرمت النار على عين بكت من خشيه الله وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم : غدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها . ورباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها . وقال صلى الله عليه وسلم . طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله . اشعث رأسه مغبرة قدماه . فان كان في الحراسة وان كان في الساقه كان في الساقه . .

وزار السلطان قبر الشيخ الصالح علي بن عليم المدفون الى جانب ارسوف . وهذا الشيخ علي بن عليم من الصالحين المشهورين بالبركات والكرامات . من جمله بركاته انه مدفون على باب ارسوف ولا يدخل الى تربته خنزير . ويساق فيخرج من الباب وعاند ابن البان صاحب ارسوف في امره وشرب عند تربته فيبست يده واقام ثلاثة ايام ومات . فعظمته الفرنج من ذلك الوقت . ويحكى عنه رحمه الله تعالى ان خادمه دخل عليه يوما وهو في خلوته فسمعه يقول : والله لاارضى فخرج ودخل مرة اخرى فسمعه يقول والله ما ارضى . ثم سمعه يقول رضيت . فبقي في قلب الخادم من ذلك شيء فلما حضرت الشيخ الوفاة قال للخادم في خاطرك شيء لابد ان ازيله . وهو ذلك الذي سمعتني اذكره . قال : نعم . قال : شفعني الحق سبحانه وتعالى في الف رجل ممن زارني فلم ارض . ثم شفعني في الفين فلم ارض . ولم ارض الا (١٧ ق) في جميع من زارني ان لا يعذبه الله بالنار فعند ذلك رضيت . وعبرت مركب وفيها رجل مسلم اسير مع الفرنج فسأل عنه فقال له هذا قبر رجل صالح . فقال اللهم ان كان لعبدك هذا حرمة وهو من عبادك الصالحين فخلصني . ورفع صوته فضربه الفرنج فوقفت المركب ثلاثة ايام حتى اطلقوه فنزل الى قبره . وهذا الشيخ مشهور مذكور في الكتب والله اعلم .

وكان للشيخ الصالح علي المجنون كرامات معروفة · فجرت منه نكته غريبه في هذه الغزاة وهي انا كنا قدمنا ان الشيخ علي المجنون وجماعة من الصالحين حضروا هذه الغزاة · فلما كان في يوم الفتح قبل ان يعلم احد حديث الفتح ركب الشيخ علي وحصل له حال فساق الى ان وقف على حافة الخندق · وازبد وغاب ذهنه وصار يرفع صوته ويشير الى القلعه · وستره الناس بالطوارق · ولم يزل على هذه الحالة حتى سير الامير شجاع الدين الشبلي وعرف السلطان ان الباشوره انشقت · فلما ثني الشيخ على رأس فرسه ورجع الى باب السرب وقع سور الباشورة وشاهد الناس هذه الحالة والكرامة · ومن كرامات هذا الشيخ علي ما حكي عن ابن صبره قال : كنت اخدم صاحب ماردين فحضر هذا الشيخ علي المجنون اليه وشفع في تركمان حبسهم المذكور فلم يقبل شفاعته فيهم · فأعاد السؤال فأنكر عليه صاحب ماردين دخوله في هذه القضيه · فحصل للشيخ حال وقال والله لارمين حجارة هذه القلعه على رأسه · فأرسل الله تعالى سحابة · وكان الوقت صيفا واستلت على القلعه واسودت حتى اظلم الوقت وامطرت حجارة فتطارح صاحب ماردين على رجليه حتى رضي واقلعت (٧٢و) السحابة · ولما قدر الله وقوع الباشورة في الساعة الرابعة من نهار الخميس طلع المسلمون اليها تسليقا · وما احس الفرنج بالمسلمين الا وقد خالطوهم من كاب باب · ورفعت الاعلام الاسلامية على الباشورة · وحفت بها المقاتله · وطرحت النيران في ابوابها واعطى السلطان سنجقه الامير شمس الدين سنقر الرومي · وامره ان يؤمن الفرنج به من القتل عندما طلبوا الامان · فلما اراد الفرنج بطلوا القتال وسلم السنجق للامير علم الدين سنجر المسروري الحاجب المعروف بالخياط ودليت له الحبال من قلعه ارسوف فربطها في وسطه والسنجق معه · ونشله الفرنج الى القلعه · فأخذ سيوفهم واحضروا في الحبال والامراء صفوف والاسارى يؤتى بهم السوف ·

وكان فتح قيسارية يوم الخميس · وفتح قلعتها يوم الخميس · وفتح ارسوف يوم الخميس · وهذا دليل على توفيق الله سبحانه وتعالى لانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما كان يخرج في سفر الا يوم الخميس · وقال العلماء ينبغي للمجاهد ان لا يخرج الا في يوم الخميس اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره لان الاعمال تعرض على الله سبحانه وتعالى يوم الخميس · ولما لم يبق بأرسوف احد من الفرنج اباح السلطان القلعه للمسلمين بما فيها من غلال وذخاير ومال · وكان بها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض منها الا لما اشتراه بماله · وكان في اسر الفرنج جماعة من المسلمين خلصوا تلك الساعة واخذت قيود هم قيد بها الفرنج · ونقل الاسر من المسلمين الى الكافرين وبقي به صدور قوم مؤمنين فسبحان الفعال لما يريد · وجرد السلطان جماعة من المقدمين يتوجهون مع الاسارى · وسير لكل امير جماعة من اسارى الفرنج ولكل مقدم جماعة ·

وكتب السلطان (٧٢ ق) الى قسطلان يافا بأن يكتب الى صاحبه بأنا لا نحتمل الهضيمة · واذا اخذ احد مزرعة اخذنا عوضها قلعة مرتفعة · واذا اسر لنا فلاح اسرنا الفا من المقاتله لابسه السلاح · واذا هدموا جدارا هدمنا اسوارا · والسيف في يد الضارب والجواب عنانه في قبضه الراكب · ولنا يد تقطع الاعناق ويد تصل الى الارزاق ومن تحرش فعن تجربة ومن اراد شيئا من الاشياء فهذه الامور له مرتبه ·

وشرع السلطان في تقسيم ابراج ارسوف على الامراء وجعل هدمها دستورهم (١) ورسم بأحضار الاسارى لاخرابها فكانوا كما قال الله تعالى : يخربون بيوتهم

---

١) في الاصل بدون نقط ·

بأيديهم وايدى المؤمنين (١) • فنظم القاضي محي (٢) ابن عبد الظاهر جامع سيرة الملك الظاهر في وصف الفتح المذكور ابياتا منها :

وقد غلبت على الدنيا فدونكها	كما تسرك والدنيا لمن غلبا
واكتب الى الارض بالبشرى فربك في	السبع السموات بالبشرى لها كتبا
وثبت بالدين لما ثبت (٣) مقتدرا	يا خير من ثاب او يا خير من وثبا
طلبت ثار الهدى والدين اذ قعدت	عنه الملوك وما استطاعوا لها(٤) طلبا
نصبت للشرك اشراكا فصدتهم	لم يقدروا رهبا ان يقدروا هربا
قلعتهم بقلاع ظلت تهدمها	انت الذى تبغي (٥) المسلوب لا السلبا
ان اسرعوا نقلة عنها فانهم	حلوا لها كل برج ظل منقلبا
ان الفتوحات لما رث ملبسها	تبتز من بز قيسارية القشبا
في كل ارض جيوش قد بعثت بها	حتى لقد اصبحت اياتها عجبا
ففي الحجاز لها نفع وفي حلب	نفع وكم تركت من خلفها حلبا
لها السيوف التي كم اقفرت بلدا	لما غدوت ومنها "تعطر العربا"
اكرم بها عصبة مثل النجوم سنا	وكالرجوم اذا لها (٦) اضرموا اللهبا
اجلت من الكفر اقطارا وكم عمرت	من الجيوش لهم ماكان قد خربا
كم قد قذفت شياطين العدو بها	حتى لقد ابصروا من شهبها شهبا
(٧٣و) يثني اعنتها ملك عزائمه	قد اصبحت في الوغى راحاتها التعبا (٧٣و)
ملك سعادته قالت لتسمع ما	من الثغور نأى عنها وما قربا
لا يحسب الناس قيسارية ضعفت	او اسلمت نفسها من خيفة رهبا
لكنها بذيول النصر قد علقت	وقد اتته لعكا تطلب الحسبا
كذاك ارسوف لما جاز غايتها	ماجاء محتبطا بل جاء محتطبا

---

١) سورة الحشر ٥٩ اية ٢ (٢) كذا مع ان اسمه محي الدين •
٣) بدون تنقيط في الاصل • (٤) كذا في الاصل ولعلها "لـه" (٥) كذا في الاصل والوزن يقتضي ان تكون "تبتغي" (٦) كذا في الاصل والوزن غير مستقيم ولو كانت (ما) لاستقام الوزن وما اختل المعنى •

لئن غدا آخذ الدنيا ومعطيها — فأنه احسن التقسيم محتسبا
فللحديد رقاب منهم اسرت — وللخيول من البلدان ماوهبا
وللسيوف دماء منهم سفكت — وللنسور من الاشلاء ماانتهبا
وللصحايف اجرزان صفحتها — وللبشاير ذكر طرز الكتبا
الملك جد وجد يستضاء به — وليس زهوا ولا لهوا ولا لعبا
لازال في نعمة يدعو الانام له — وذاك حق على الاسلام قدوجبا

لما فتح الله تعالى على السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي قيسارية كما قدمنا شرحه امر الامير سيف الدين الرومي الدوادار بكشف بلادها وتحقيق متحصلها . وعملت اوراق بذلك . ولما فتح الله ارسوف كما قدمنا شرحه طلب قاضي دمشق والعدول ووكيل بيت المال بها وتقدم بأن يملك الامراء المجاهدون من البلاد التي فتحها الله عليه مايأتي ذكره . وكتب التواقيع لكل منهم ولم يطلعوا عليها . ولما اثبتت التواقيع فرقت على اربابها وكتب بذلك مكتوب جامع بالتمليك ونسخته (١) :

اما بعد حمدا لله على نصرته المتناسقه المعقود وتمكينه التي رفلت الملة الاسلامية في اصفى البرود وفتحه الذى شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت لامر مايسود من يسود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاهد الكفار وجاهدهم بالسيف البتار واعلمهم لمن عقبى الدار وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشي والابكار (٧٣ ق) فأن خير النعمة نعمه وردت بعد اليأس واقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس . فأكرم بها نعمة وصلت للملة المحمدية اسبابا . وفتحت للفتوحات ابوابا وهزمت من التتار والفرنج العدوين ورابطت من الملح الاجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين . وجعلت عساكر الاسلام تذل الفرنج بغزوهم في عقر الدار وتجوس من حضرتهم المانعة خلال الديار والامصار وتقود من فضل عن شبع السيف الساغب الى حلقات الاسار . ففرقه منها تقتلع للفرنج قلاعا وتهدم حصونا وفرقة تبني ماهدم التتار

---

١) انظر ابن ابي الفضائل ، النهج السديد ، ص١٣٧ ــ ١٤٤

بالمشرق وتعليه تحصينا · وفرقة تتسلم بالحجار قلاعا شاهقة وتتسنم هضابا سامقه · فهي بحمد الله البانيه الهادمة والقاسية الراحمة كل ذلك لمن اقامه الله وجرده سيفا فغرى · وحملت رياح النصره ركابه تسخيرا فسار الى مواطن الظفر وسرى وكونته السعادة ملكا اذا راته في دستها قالت : تعظيما له ماهذا بشرا وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدين والدنيا ابو الفتح بيبرس جعل الله سيوفه مفاتح للبلاد واعلامه اعلاما من الاسنة على رأسها نار بهداية العباد فانه آخذ البلاد ومعطيها وواهبها بما فيها · واذا عامله الله بلطفه شكر واذا قدر عفى واصلح · فوافقه القدر واذا اهدت اليه النصرة فتوحات قسمها في حاضرها لديه متكرما وقال الهدية لمن حضر · واذا خوله الله تخويلا وفتح على يديه قلاعا جعل الهدم للاسوار والدماء للسيف البتار والرقاب للاسار والبلاد المزدرعة للاولياء والانصار · ولم يجعل لنفسه الا ماتسطره الملائكة في الصحائف لصفاحة من الاجور · وتطوى عليه طويات السير التي غدت بما فتحها الله من الثغور باسمه باسمة الثغور :

فتى جعل البلاد من العطايا — فأعطى المدن واحتقر الضياعا
سمعنا بالكرام وقد ارانا — عيانا ضعف مافعلوا سماعا (٧٤و)
اذا فعل الكرام على قياس — جميلا كان مافعل ابتداعا

ولما كان بهذه المثابة وقد فتح الفتوحات التي اجزل الله بها اجره وضاعف ثوابه · وله اولياء كالنجوم ضياء وكالاقدار مضاء وكالعقود تناسقا وكالوبل تلاحقا الى الطاعة وتسابقا رأى ان لاينفرد عنهم بنعمه ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحه غدت بسيوفهم تستنفد وبعزائمهم تستخلص وان يؤثرهم على نفسه · ويقسم عليهم الاشعه من انوار شمسه ويبقى للولد منهم وولد الولد مايدوم الى آخر الدهر ويبقى على الابد · وتعيش الابناء في نعمته كما عاش الاباء وخير الاحسان ماشمل واحسنه

ما خلد . فخرج الامر العالي لا زال يشمل الاعقاب والذراري وينير انارة الانجم الدراري ان يملك امراءه وخواصه الذين يذكرون وفي هذا المكتوب يسطرون ما يعين من البلاد والضياع على ما يمس ويبين من الاوضاع وهو الاتابك فارس الدين اقطاي الصالحي عتيـــل بكمالها . الاميـــر جمال الدين ايدغـــدي العزيزي النصف مـــن زيتا . الامير بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي نصف طوركرم (١) الامـــير شمس الدين الدكز الكركي (٢) ربع زيتا . الامـــير سيف الدين قليج البغـــدادي ربع زيتا . الامير ركن الدين بيبرس خاص ترك الكبير الصالحي افراسين بكمالها . الامير علاء الدين ايدكين البندقدار الصالحي تامه (٣) الشريفه بكمالها الامير عز الـــدين ايدمر الحلبي الصالحي نصف قلنســـوة (٤) . الامير سيف الدين قلاون الالفي الصالحي نصف طيبه الاسم . الامير عز الدين افغان سم الموت نصف طيبة الاسم . الامـــير جمال الدين النجيبي نايب سلطنة الشام ام الفحم بكمالها من قيســـارية . الامـــير (٧٤ و) علم الدين سنجر الحلبي الصالحي بتـــان (٥) بكمالها الامـــير جمـــال الدين اقوش المحمدي الصالحي نصـــف بورين . الامير فخر الدين الطنبا الحمصـــي نصف بوريـــن . الامير جمال الدين ايدغدي الحاجبي (٦) الناصري نصف بيريـــس (٧) الامير بدر الدين بيليك الايدمري الصالحي نصف بيرين . الامير فخر الدين عثمـــان بن الملك المغيث ثلث حلمه (٨) . الامير صارم الدين صـــراغان ثلث جلمـــه (٩) .

---

١) وبعده في ابن ابي الفضائل (ص١٢٩) "والامير بدر الدين بيليك الخزندار نصف طوركرم" .
٢) الركني في ابن ابي الفضائل (ص١٣٩).
٣) "باقة" في ابن ابي الفضائل (ص١٤٠) ٤) وبعده "الامير شمس الدين سنقر الرومي نصف قلنوسه" ابن ابي الفضائل (ص١٤٠)
٥) في الاصل بدون نقط . راجع ابن ابي الفضائل (ص١٤٠)
٦) الخاصي في ابن ابي الفضائل (ص١٤٠)
٧) بيرين ابن ابي الفضائل (ص١٤١)
٨) "حلبه" في ابن ابي الفضائل (ص١٤١)
٩) ساقط هنا "الامير شمس الدين سلار البغدادي ثلث حلبه" ابن ابي الفضائل (ص١٤١).

الامير ناصر الدين القيمري نصف البرج الاحمر · الامير سيف الدين بلبان الزينـي الصالحي نصف البرج الاحمر · الامير سيف الدين ايتامش (١) السعدي نصف تما (٢) الامير شمس الدين اقسنقر السلحدار نصف تما (٣) الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة نصف دنابه · الملك المظفر صاحب سنجار نصف دنابه · الامير بدر الدين محمد بن ولد الامير حسام الدين بركه خان دير العصفور (٤) بكمالها ·

الامير عز الدين ايبك الافرم امير جاندار نصف الشويكه · الامير سيف الدين كرمون آغا التتري نصف الشويكه · الامير بدر الدين الوزيري نصف طرس (٥) الامير ركن الدين منكورس الدويداري نصف طرس · الامير سيف الدين قشتمر العجمي علار بكمالها ·

الامير علاء الدين اخو الدويدار نصف عرعرا · الامير سيف الدين بيجو (٦) البغدادي نصف عرعرا · الامير سيف الدين ذكحل (٧) البغدادي نصف فرعون · الامير علم الدين سنجر الازكشي نصف فرعون · الامير علم الدين طردج (٨) الامدي سبايا (٩) بكمالها · الامير حسام الدين ايتمش ابن اطلس خان سيدا بكمالها · الامير علاء الدين كندغدي الظاهري امير مجلس الصير الفوقا (١٠) الامير عز الدين ايبك الحموي الظاهري نصف ارتاج · الامير شمس الدين سنقر الالفي نصف ارتاج · الامير علاء الدين طيبرس الظاهري نصف يافه (١١) الغربية · (٧٥و) الامير عز الدين الاتابك الفخري القصير بكمالها ·

---

١) انتمش في ابن ابي الفضائل ص١٤١

٢) يما في ابن ابي الفضائل ص١٤١

٣) كذا في الاصل وفي ابن ابي الفضائل (ص١٤١) يما ·

٤) دير الغصون في ابن ابي الفضائل ص١٤١

٥) طبرس في ابن ابي الفضائل ص١٤٢ (٦) تقجق في ابن ابي الفضائل ص١٤٢ ·

٧) دكجل في ابن ابي الفضائل ص١٤٢ (٨) طرطج في ابن ابي الفضائل ص١٤٢ ·

٩) اقتابه في ابن ابي الفضائل ص١٤٢ (١٠) الصفرا بكمالها في ابن ابي الفضائل ص١٤٢

١١) باقة في ابن ابي الفضائل ص١٤٣ ·

الامير علم الدين سنجر الصيرفي الظاهري احد ابراج بكمالها • الامير ركن الدين بيبرس المعزى نصف قفيش • الامير شجاع الدين طغريل الشبلي امير مجمندار نصف كفر راعي • الامير علاء الدين كندغدي الجيشي (١) مقدم الامراء البحرية نصف كفر راعي • الامير شرف الدين بن ابي القسم نصف كستا • الامير بهاء الدين يعقوب الشهرزورى نصف كستا • الامير جمال الدين موسى بن يغمور استاد الدار العالية نصف برويكه (٢) • الامير علم الدين سنجر الحلبي الغزاوي (٣) نصف برويكه • الامير علم الدين سنجر نايب امير جاندار نصف حانوتا من ارسوف • الامير سيف الدين بيد غان الركني افراد نسيفا (٤) بكمالها من قيسارية • الامير عز الدين ايدمر الظاهري نايب الكرك ثلث حبلسه من ارسوف • الامير جمال الدين اقوش السلحدار الرومي ثلث حبله • الامير شمس الدين سنقرجاه الظاهري ثلث حبله من ارسوف الامير بدر الدين بكتاش الفارقاني امير سلاح ثلث جلجوليه • الامير علاء الدين كشتغدى الشمسي ثلث جلجوليه • الامير بدر الدين بكتوت بجكا (٥) الرومي ثلث جلجوليه (٦)•

وكتب من كتاب التمليك الشرعي الجامع نسخ وفرقت لكل امير نسخة بمكانه • وخلع على قاضي القضاة وتوجه الى دمشق • وكتب الله تعالى هذه الحسنة للسلطان الملك الظاهر في صحيفته قبل كتابتها في سيرته • وتسلم كل من الامراء ما خصه من ذلك• ونقلت المنجنيقات الى القلاع القريبة الكرك وعجلون وغيرها •

ورحل السلطان من ارسوف بعد استكمال هدمها في يوم الثلثاء ثالث وعشرين شهر رجب الفرد سنة ثلاث وستين وستماية هذه السنة • والفرنج قد انقطعت ظهورهم واحتلت امورهم وخابت مساعيهم • وقام بالعويل ناعيهم • وكلمة الاسلام قد رفعت واسباب (٧٥ و) الكفر من الحياة قد قطعت وحصونهم الحصينة ما نفعت •

---

١) الجيشي في السلوك ص٥٢٢ (٢) "برنيكه" في ابن ابي الفضائل ص١٤٣
٣) العزازى في ابن ابي الفضائل ص١٤٣ (٤) فرديسيا في ابن ابي الفضائل ص١٤٣
٥) كجكا في ابن ابي الفضائل ص١٤٤ (٦) لائحة هذه الاسماء في السلوك للمقريزى ص٥٢٢ — ٥٢٤ ويقول E.Blochet (جـ١ ص٤٨) انها في النويرى ايضا لكن هنالك بعض الاختلاف

وسار السلطان الى غزه وعاد منها الى مقر مملكته بالديار المصرية ٠ وخرج الملك السعيد بن الملك الظاهر واتابكه عز الدين الحلي نايب السلطنه بالديار المصرية للقايه من بركة الحجاج ٠ ودخل السلطان وشق مدينة القاهرة وهي مزينة في يوم الخميس حادي عشر شعبان من هذه السنة والاسرى بين يديه ودخل قلعته ٠ وعرض ما حصله الامير عز الدين الحلي والصاحب بهاء الدين من الحزاين ولم يترك احدا من امير ولا وزير ولا مقدم ولا مفردى ولا حواشيه ولا برد داريته ولا جميع حاشيته الا عمهم بالخلع والاحسان واحسن الى رسل الملك بركة وكتب الى اليمن والانبرور بالبشاير واخرج حملة من الصدقات غلة ودراهم وكساوى فرقت في الفقراء بجامع الازهر وغيره ٠

ذكر ما وقع بالقاهرة ومصر من الحريق وما فعله الملك الظاهر عند قدومه الى قلعته ٠

كان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي بلغه ان الحريق بمصر والقاهرة قد كثر في كل مكان ٠ وشاع الخبر بأن النصارى يفعلون ذلك لاجل اتلاف دينهم واحراق كنايسهم ٠ وصار الناس من ذلك في شدة عظيمة ٠ ووجد النفط والكبريت في بعض الجهات ٠ فلما حضر السلطان الى قلعته واستقر في مقر مملكته طلب النصارى واليهود وانكر عليهم هذه الامور التي تفسخ عهدهم وارم بحريق جميعهم ٠ فجمع منهم عالم كثير في القلعة واحضرت الاحطاب والحلفاء ٠ فلما راوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب سألوا الرحمة ومننوا بسابق الخدمة ٠ فشفع فيهم الامير فارس الدين اقطاي اتابك العساكر على ان يلتزموا بالاموال التي احترقت وان يحملوا الى بيت المال خمسين الف دينار ٠ فأفرج عنهم ٠ وقال صاحب "نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك" قرر عليهم حمل خمسماية الف دينار (٧٦ و) الى بيت مال المسلمين ٠ والتزم بتوزيعها واستخراجها بطرك النصارى ٠ والتزموا انهم لا يعودون الى شيء مما كانوا يعتمدونه

من المنكرات ولا يخرجون عما هو مرتب على اهل الذمه واتفصل الحال على ذلك وحمل المال اولا اولا ٠ والله اعلم ٠

ذكر هروب زامل بن علي والقبض عليه

لم يزل السلطان محسنا الى الامير نور الدين زامل بن علي وهو لا يزيد الا علوا واستكبارا والفتنة لاتسكن بينه وبين الامير عيسى بن مهنا ٠ ولما طلعت العساكر الى الشام صحبة الامير علاء الدين طيبرس واجتمعت بالبلاد الحلبية قبضوا على زامل بن علي لتستريح الخواطر من تلك الفتنة واحضروه الى قلعة عجلون ٠ ولما بلغ السلطان الملك الظاهر ذلك احضره واعتقله ثم افرج عنه وطيب قلبه وصار يلعب مع السلطان الكرة ٠ وطلب السلطان الامير شرف الدين عيسى بن مهنا واجمل بن حجي والامير هرون واصلح بينه وبينهم واعادوا الى الامير زامل اقطاعه وامرته ٠ وتوجهوا فلم يصبر زامل الى ان يصل الى البلاد بل ساق من اول الرمل الى البلاد ٠ وذكر ان عيسى هجم بيوته فأخرب زامل وافسد وقبض على قصاد السلطان ومملوك الاتابك المتوجه الى شيراز واخذ الكتب وتقرب بها الى هلاون وتوجه اليه بنفسه واطمعه في المسلمين ٠ فأعطاه هلاون اقطاعا في العراق وتوجه الى الحجاز لمشتاه فنهب وقتل وانتهك حرمة الاشراف وحضر الى اوايل الشام ٠ وكان الملك الظاهر قد اعطى اقطاع زامل وامرته لاخيه ابي بكر فضاقت على زامل الارض بما رحبت ٠ وراسل السلطان في طلب العفو فقرر معه الحضور وعينت له مدة وكتب اليه انه ان تأخر عن هذه المدة ليس له عهد ولا ايمان فتأخر عن المدة المعينة (٧٦ ق) فلما وصل سير السلطان الى القلعة ورسم بحبسه وسكنت الفتة واوقعه الله في البئر التي حفرها واراه عاقبه بطر النعمة التي كفرها ٠ وهذا جزاه من كفر الاحسان و خان الله وخان السلطان ٠ جعل الله كل باغ عليه في قبضته اسيرا وخوله في الدنيا ملكا عظيما وفي الاخره نعيما كبيرا ٠

ذكر قتل الامير علم الدين سنجر بن صون

كان الاميرعلم الدين سنجر بن صون من رجال الحلقه فتحرب في ايام الملك المظفر سيف الدين قطز صاحب الديار المصرية بحركات ذميمة · ولما انتقلت السلطة من الملك المظفر الى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي احسن اليه واراد استصلاحه فرجع الى ماكان يعتمده في الدولة المظفرية · فاعتقله السلطان الملك الظاهر مدة ثم ذكر له خدمه سابقة فاطلقه وامره فشرع في الامور التي كان عليها · فطلبه السلطان في الموكبوقال له انني اسمع عنكموافقة للمفسدين فارجع عما انت عليه · وسير له خلعه وذهب فأخذ ذلك وهرب الى العرب وسير في افساد جماعة من العسكر · فأرسل له السلطان امانات مرارا فردها وتواتر فساده فسير اليه السلطان من قطع رأسه واحضر بعد ذلك اخوه فأحسن السلطان اليه والله اعلم ·

في خامس عشري شعبان من هذه السنة، جلس السلطان الملك الظاهر بدار العدل وطلب تاج الدين ابن القرطبي · فلما حضر قال له : اضجرتني مما تقول عندى مصالح لبيت مال المسلمين فتحدث الان ماعندك · فتحدث في حق قاضي القضاة وفي حق صاحب سواكن والامراء الذين يتوفون وانهم اخذوا اكثر من حقوقهم فأحضر (٧٧و) السلطان زيارا واراه للناس وقال : من صبر على هذا الزيار يستكثر له اقطاع او يستكثر لورثته موجود لخلفه لهم وانكر عليه وامر بحبسه ·

وتحدث السلطان في امر الجند وانهم في البكار وفي مواطن الحصار لا يصل اليهم شاهد فيشهد احدهم اصحابه فاذا حضروا لاتقبل شهادتهم وتضيع اموال الناس لهذا السبب · وقال انا اريد ان كل امير يعين من جماعته من فيه خير وديانة يسمع قوله · وكذلك كل مقدم وكل جماعة من الجند ممن فيهم الخير والصلاح تسمع اقوالهم لتحفظ اموال الناس ·

ففرح الامراء بهذه القضية ٠

وشرع قاضي القضاة في اختيار الناس الجياد لذلك وجلس ايضا بدار العدل في تاسع وعشرين شعبان الشهر المذكور فوقف له شخص في امر خلو الاملاك الديوانية ٠ فأنكر كون الديوان لا يخلي عن الناس وامر بالاخلاء عند الاجارة ٠

وفي هذا الشهر وصلت رسل من جهة الانبرور ووصلت رسل الملك الاشكرى واحضر رسول الاشكرى جمله من الهدايا من الاطلس والوبر والطيور وغيرها ٠

وفي هذا السنة توجه الامير بدر الدين بيليك الفايزى ومعه جماعة كشافه وساق حتى سقي خيله من دجلة ٠

وفي سابع شهر رمضان من هذه السنة وصلت العساكر التي كانت بالبيرة صحبة الامير جمال الدين المحمدى والامير عز الدين ايغان ٠ وفي شهر رمضان وصلت هدية من جهة ملك الكرج الى الابواب الشريفه (١) وسبب ذلك ان السلطان كان سير القصاد الى ملوك الطوايف ومن جملتهم ملك الكرج داون بن سودان ملك ابحر (٢) ووصل من جهته كتاب عرب وهو (٧٧ ق) الشكر قدام الله ٠ ولخوف العدو في الطرقات ماذكرت اسم السلطان ولا اسمي ٠ وقد فرحت فرحا عظيما كونك فتشت على محبة اهل بيتي لاهل بيتك والان فقد حلفت لك على الانجيل اني عدو عدوك وصديق صديقك والناس مترددون من عندى الى عند الملك بركه فأن كان لك شغل سير الى عندى رسولا حتى اوصله الى عنده الى غير ذلك والله اعلم ٠

---

١) في الاصل الشريف

٢) كذا في الاصل ٠

ذكر بعض خبر قرقيسيا وفتحها

كانت قرقيسيا هذه من اقدم المدن وكانت تعرف بالزباء ملكة من ملوك الجاهلية وفيها يقول ابن دريد :

فاستنزل الزباء قسرا وهي من عقاب لوح الجو اعلى منتما ·

وكان السلطان قد ارسل اهلها وسير اليها الامير كمال الدين الطورى وملكها واقام بها مدة · فقصدها التتار · وكانت حمص والرحبة في يد الملك الاشرف صاحب حمص وهذه الجهة لايتأتى فيها امر الا بالرحبة فعاد كمال الدين الطورى الى خدمة السلطان الملك الظاهر وتركها ·

وفي شهر رمضان من هذه السنة ارسل مقدموها الى عز الدين السكندرى النايب بالرحبة وسألوه عفو السلطان وسيروا رهاينهم فسارت اليها جماعة من الخيالة والاقجيه وساقوا من اول الليل الى نصفه وباتوا على ماكسين · فلما اصبح الصبح احاط بها المسلمون وعسكر السلطان وتسلموها وقتلوا من كان بها من عسكر التتار والكرج واسروا من المرتدة نيفا وثمانين نفرا · وتسلموا الجسر ومراكبه والسلسلة · وكان تسلمها في نصف شهر رمضان من هذه السنة ·

وفي هذه السنة بلغ الملك الظاهر ان بحر اشموم الذى كان الامير سيف الدين الرشيدى توجه لعمله (٧٨و) ان عمله ما افاد · فرسم بتحصيل المراكب لاجل التغريق وحصلت الالات · وتوجه السلطان اليه بنفسه في ثاني شوال من هذه السنة وقسم عمله على الامراء وعمل بنفسه · وشاهد على كتفه قفه مملوءة ترابا فلم يبق احد من امير ولا وزير ولا كبير الا وبادروا العمل بنفوسهم · وحصل الاجتهاد من كل جهة وصار السلطان مستمر العمل في كل يوم يركب في مركب ويشاهد تغريق

المراكب ويحسن الى من نهض في العمل • فتنجز الشغل في ثمانية ايام وتكامل الحفر • وكذلك الجهة التي من جهة جوجر • وتوجه السلطان الى منزلة ابن حسون وعاد الى قلعته في حادى وعشرين شوال الشهر المذكور • ورسم السلطان بابطال حراسة النهار بالقاهره ومصر • وكانت جملة مستكثرة وكتب التواقيع بابطالها طلبا لثواب الله تعالى •

وفي يوم الجمعة قرئ مكتوب بأشموم بمسامحة الاعمال الدقهليه والمرتاحية بأربعة وعشرين الف درهم عن رسوم الولاية والمال المستخرج برسم النقيدى •

وفي شوال المذكور توجه شجاع الدين ابن الداية الحاجب الى الملك بركه رسولا من السلطان في كف غارات الملك بركه عن بلاد الاشكرى حسب سؤال الاشكرى في ذلك • فسيره في ذلك وفي مهمات اخر • وسير معه ثلاث عمر اعتمر بها بمكه شرفها الله تعالى للملك بركه لم يعمل مثلها لما اشتملت عليه من الايات والاحاديث النبوية والاذهاب • وسير معه قمقمان من ماء زمزم ودهن بلسان وغير ذلك • وتوجه معه احد اصحاب الملك بركه وهو جمال الدين محمود •

وفي آخر شوال الشهر المذكور تشوش مزاج السلطان الملك الظاهر فتداوى بالصدقه (٧٨ ق) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : داووا مرضاكم بالصدقه وافرج عن المعتقلين •

وفي ذي القعدة من هذه السنة وصل الى الابواب الشريفة الراهب كربانوس المسير الى الملك الاشكرى بكتاب الاشكرى بالحلف للسلطان على حفظ العهود •

وفي ذي القعده الشهر المذكور وصل الامير جمال الدين النجيبي الى الباب الشريف فتحدث معه في مهمات الامور وكتب على يده تذكرة بمصالح الرعية وعاد في

ذى الحجة .

ذكر من ولي القضاء بمصر المحروسة من زمن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ان جعلهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس في هذه السنة اربع قضاة من كل مذهب من المذاهب الاربعة اهل السنة والجماعة قاضي شافعي وقاضي حنفي وقاضي مالكي وقاضي حنبلي .

اعلم ارشدنا الله واياك ان اول من ولي القضاء بمصر المحروسة في زمن عمر بن الخطاب امير المؤمنين رضي الله عنه بعد ان فتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه قيس بن ابي العاص السهمي رضي الله عنه فأقام الى سنة اربع وعشرين للهجرة وتوفي رحمه الله تعالى .

وولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعده عثمان بن قيس بن ابي العاص فلم يزل قاضيها بمصر الى ان عزله امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان الاموى رضي الله عنهما في سنة اثنتين واربعين للهجرة .

وولي بعده سلمان (١) بن عنز (٢) النجيبي . وولي بعده ..... (٣) عابس بن سعيد المرادى (٤) وكان اميا فلم يزل الى ان توفي في زمن الامير عبد العزيز بن امير المؤمنين مروان بن الحكم الاموى امير مصر نيابة عن اخيه امير المؤمنين (٧٩و) عبد الملك بن امير المؤمنين مروان بن الحكم الاموى في سنة ثمان وستين للهجرة .

---

١) "سليم" في كتاب القضاة ص٥ وابن حجر، رفع الاصر (ص٤)
٢) "عتر" في مقدمة كتاب القضاة (ص٨)
٣) بياض في الاصل .
٤) كذا في الاصل وهي المردى في كتاب القضاة (ص١١) والمرادى في رفع الاصر (ص٤)

وولي بعــده بشـير (١) بن النضر المزنـي ٠

وولـي بعده عبد الرحمن بن حجيره (٢) الاكبر فلم يزل الى ان توفي في سـنة ثلاث وثمانين للهجرة ٠ وقيـل في هذه السنة كانت اول ولايته وان وفاته كان في سنة خمس وثمانين للهجرة والله اعلم اى ذلك كـان ٠

وولي بعده يونس بن عطيه الخضرى فلم يزل الى ان توفي في سنة ست وثمانين للهجـرة ٠

وولي بعده عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الكندى ٠(٣)

وولي بعـده عمران بن عبد الرحمن بن شر حبيل ابن حسنه (٤) ٠ ولم يزل الى ان توفي في سنة تسع وثمانين للهجـرة ٠

وولـي بعده عبد الاعلى بن خالد بن ثابت العبسـي (٥) ٠

وولـي بعده عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيره الخولاني ولم يزل الى ان عـزل في سـنة ثلاث وتسعين للهجـرة ٠

وولـي بعده عياض بن عبيد الله الازدى بن السلامي ولم يزل الى ان عزل في سـنة مائة للهجـرة ٠

وولي بعده عبد الله بن خدام (٦) ولم يزل الى ان عزل في سنة اثنتين ومائة ٠

وولي بعده يحي بن ميمون الحضرمي ولم يزل الى ان عزل في سنة اربع عشرة ومائة ٠

---

١) بشر في رفع الاصر ص٤ ملحوظة ٤ و هو بشير في كتاب القضاه ص١٣
٢) في الاصل بدون تنقيط ٠
٣) [illegible] رفع الاصر ص٤ ملحوظـة ١٢
٤) في كتاب القضاة ص٢٣ "الحسـيني"
٥) عبد الاعلى بن خالد الفهمي ، رفع الاصر ص٤ ملحوظة ١١
٦) حذامر في كتاب القضاة ص٣٢

وولي بعده يزيد بن عبد الله بن خـــدام (١)

وولي بعده الجعـان بن خالد المدلجي (٢) • ولم يزل الى ان توفي في سنة خمس عشره ومايه للهجـرة •

وولي بعده ابو محجن توبه (٣) بن نمر بن نمر بن جبريل بن ثعلب بن ربيعه بن نمر الحضرمي • وهو اول من د يون الاحباس وجعل لها ديوانا واستعفى عن القضـــاء فقيل له فمن ترى يكون فأشار لخير (٤) بن نعيم وكان استعفاءوه من الحكم علـى ماذكره الفرا في تاريخه في سنة (٧٩ق) احدى وعشرين ومايه للهجرة •

وولي بعده ابو اسماعيل خير بن نعيم بن مرة بن كعب بن عمر بن خزيمة بن اوس الحضرمي • ولم يزل الى ان عزل في سنة ثمان وعشرين ومايه للهجرة •

وولي بعده اوس الحضرمي وعزل في سنة ثمان وعشرين ومايه للهجرة •

وولي بعده عبد الرحمن بن سـلام (٥) بن ابي سالم الجيشاني • ولم يزل الى ان انقرضت الدولة الاموية وعزل لما دخلت عساكر بني العباس مصر في سنة ثلاث وثلاثين ومايه للهجـرة •

واعيد بعده خير بن نعيم للقضاء ولم يزل الى ان حبس جنديا على دين فأخرجه امير مصر فعظم ذلك على خير فعزل نفسه عن القضاء في سنة خمس وثلاثين ومايه للهجرة • فقالوا له من تولي بعدك فقال كاتبي ولم يعد بعد ذلك الى القضاء • وتوفي في سنة ستين ومايه وقبره عند قبر القاضي بكار ابن قتيبه وهو يـزار •

---

١) حذامـــر في كتاب القضاة ص ٣٢ .
٢) الخيار بن خالد المدلجي في رفع الاصر ٤ ملحوظة ١٩
٣) بدون تنقيط ـ راجع كتاب القضاة ص ٣٦
٤) بدون تنقيط في الاصل راجع كتاب القضاه ص ٤١
٥) ابن سالم في كتاب القضـاه ص ٤٦

وولي بعده غوث بن سلمان الحضرمي (١) وهو كاتب خير بن نعيم القاضي قبله فبقي الى ان خرج مع الامير صالح بن علي العباسي امير مصر للصافيه في سنة اربع واربعين ومايه للهجرة ٠

وولي ابو خزيمه ابراهيم بن يزيد الباتي والبات بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق بعد الالف بطن من حمير فبقى الى ان استعفى فأعفي وجعل مكانه يقضي عبد الله بن بلال الحضرمي ٠

وولي من بعده عوف بن سليمان ٠٠٠٠ (٢) سنة اربع واربعين ومايه للهجرة وشخص عوف الى العراق ورتب مكانه ابو خزيمه ابراهيم بن يزيد فبقي الى ان توفي في سنة اربع وخمسين ومايه للهجرة ٠

فولي ابو جعفر المنصور امير المؤمنين العباسي ابا عبد الرحمن عبد الله بن لهيعه بن عقبه واجرى له في الشهر وهو اول قاضي اتاه الحكم من قبل الامام العباسي (٣٠و) وهو اول قاضي ركب للهلال مع الشهود ٠ وبقي الى ان عزل في سنة اربع وستين ومايه للهجرة ٠

وولي بعده اسماعيل بن اليسع الكوفي الحنفي ٠ كان يذهب الى قول الامام ابي حنيفه رضي الله عنه ٠ فكتب الليث بن سعد الى الخليفه ببغداد ان اصرفه عنا فصرفه ٠

وعاد الى القضاء غوث بن سلمان كاتب خير بن نعيم فلم يزل الى ان توفي في سنة ثمان وستين ومايه ٠ وقيل انه هو اول قاضي ركب للهلال وقيل ابن لهيعه على ماتقدمنا شرحه ٠ فولي بعده المفضل بن فضاله بن عبيد الغساني (٣)

---

١) غوث بن سليمان الحضرمي — رفع الاصر ص٥ ملحوظة ٥
٢) بياض في الاصل ٠
٣) بدون تنقيط وهي القتباني في كتاب القضاة ص ٦٥ ٠

وهو اول قاضي اطال الكتب • وكان من فضلاء الناس وخيارهم • وقبره رحمه الله احد المزارات • وهو وولده في قبر واحد • وعزل في سنة تسع وستين ومائة للهجرة •

وولي بعده ابو طاهر (١) عبد الملك بن محمد بن ابي بكر بن حزم الاعرج الانصارى • ولم يزل الى ان استعفى فأعفي في سنة اربع وسبعين ومائة للهجرة ،

ثم اعيد المفضل بن فضالة وعزل في صفر سنة سبع وسبعين ومائة للهجرة •

وولي محمد بن مسروق الكوفي • ولم يكن محمودا في ولايته • وبقي الى ان خرج للعراق في سنة اربع وثمانين ومائة للهجرة • واستخلف عنه اسحق بن الفرات التجيبي بعد التاء المثناة من فوقها جيم فبقي الى صفر سنة خمس وثمانين ومائة للهجرة وعزل •

وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله بن المحر (٢) بن عبد الملك بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول من دون اسماء الشهود • وعزل في خلال سنة اربع وتسعين ومائة •

وولي بعده هشام (٣) بن ابي بكر البكرى من اولاد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان حنفي المذهب • وتوفي في غره المحرم سنة ست وتسعين ومائة للهجرة وهو على الحكم •

فولي مكانه (٨٠ ق) ابراهيم بن البكا (٤) ولاه الامير جابر بن الاشعث امير مصر وصرف جابر وعزل ابراهيم بعده في سنة ست وتسعين ومائة للهجرة •

وتولى مكانه لهيعه بن عيسى • فلم يزل على القضاء الى ان قدم المطلب بن عبد الله اول سنة ثمان وتسعين ومائة للهجرة فعزله •

---

١) ابو الظاهر • رفع الاصر ص٥ ملحوظة ١٣

٢) لعلها المحير وهو عبد الرحمن بن عبد الله العمرى — كتاب القضاة ص٧٨ ورفع الاصر ص٥ ملحوظة ١٥ (٣) هاشم في كتاب القضاه ص٩٣

٤) كذا في الاصل وهو ابن البكا في كتاب القضاه ص٩٧ وهي بدون همزه في رفع الاصر ص٥ ملحوظة ١٧ •

وولي بعده الفضل بن غانم ثم عزله واعاد لهيعه بن عيسى . فلم يزل على القضاء حتى توفي في ذى القعده سنة اربع ومايتين للهجرة .

فتولى بعده السرى بن الحكم وامير مصر يومئذ ابراهيم بن اسحق القارئ حليف بني زهرة فاستعفى فأعفي .

وولي مكانه ابراهيم بن الجراح . وكان يذهب الى قول الامام ابي حنيفه رضي الله عنه . فلم يزل قاضيا الى ان قدم الامير عبد الله بن طاهر مصر اميرا في سنة احدى عشرة ومايتين للهجرة فعزله .

وولي مكانه عيسى بن المنكدر (١) بن محمد بن المنكدر . واجرى له عبد الله بن طاهر في الشهر اربعة الاف درهم . وهو اول قاضي اجرى عليه ذلك فلم يزل الى ان قدم الامير المعتصم بن هرون الرشيد العباسي مصر اميرا زمن اخيه امير المؤمنين المأمون في سنة اربع عشرة ومايتين وكلم فيه احمد بن ابي داؤد قاضي العراق فاشخصه الى العراق وتوفي هناك .

وبقيت مصر بغير قاضي . وقدم امير المؤمنين المأمون الخليفه الى مصر في خامس المحرم سنة سبع عشرة ومايتين للهجرة ولم يقدم احد من خلفاء بني العباس مصر في خلافته الا المأمون هذا .

وولي القضاء بمصر يحي بن اكثم فحكم ثلاثة ايام بها وخرج امير المؤمنين المأمون الى سخا واصلح احوالها وتوجه الى الاسكندرية (١٨و) وعاد الى مصر وخرج عنها في الخامس من صفر من هذه السنة . وجعل القضاء بمصر الى هرون بن عبد الله الزهري قلده ذلك وهو بالشام . فقدم الى مصر بعد ليال بقين من شهر رمضان

---

١) كذا في الاصل وفي كتاب القضاة ص١١١ لكنها المتكدر في رفع الاصر ص٥ ملحوظه ٢٢

سنة سبع عشرة ومايتين للهجرة • فلم يزل قاضيا الى سنة ست وعشرين ومايتين للهجرة فصرف عن القضاء •

ولي مكانه محمد بن ابي الليث الاصم الى شهر ربيع الاول من سنة خمس وثلاثين ومايتين للهجرة • فعزل وحبس وبقيت مصر بغير قاضي حتى وليها الحارث بن مسكين في جمادى الاخره سنة سبع وثلاثين ومايتين • جاءته الولاية وهو بالاسكندرية فلم يزل قاضيا الى ان صرف عنها يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الاخر سنة خمس واربعين ومايتين للهجرة •

ولي بعده عبد الرحمن بن ابراهيم بن السر (١) الدمشقي • جاءته الولاية وهو في الرملة من اعمال فلسطين • فتوفي قبل ان يصل الى مصر في سنة خمس واربعين ومايتين للهجرة •

تولى بعده القاضي بكار بن قتيبه ابن اسد بن ابي بردعه بن عبيد الله بن بشير بن ابي بكره الحارثمولي رسول الله صلى الله عليه وسلم البصري من اهل البصرة • ودخل الى مصر لثمان خلون من جمادى الاخره سنة ست واربعين ومايتين للهجرة • وبقي الى سنة سبع وستين ومايتين للهجرة وهي السنة التي اعتقل فيها القاضي بكار المذكور • وكان السبب في ذلك على ماحكاه المؤرخون في كتبهم ان الخليفة المعتمد على الله ابا العباس احمد بن المتوكل على الله جعفر بن هرون الرشيد العباسي كان مشتغلا بلذاته • فخرج عليه صاحب الزنج وقام بالحرب الموفق اخو المعتمد وطال موافقته لصاحب الزنج فقصد الموفق القدوم الى مصر وبها الامير احمد بن (٨١ ق) طولون • فبلغ ذلك اخاه المعتمد فسير اليه واعاده عن هذا الرأى استبقاء لابن طولون • وكان جرى بين الامير احمد بن طولون وبين الامير الموفق

---

١) في رفع الاصر ص٦ ملحوظة ٣ هو ابن ابراهيم الدمشقي •

مكاتبات مقتضاها تسيير الجند والمال اعانه له على صاحب الزنج فقصر عنه احمد بن طولون . فندب اليه الموفق عسكرا . فقاتله احمد بن طولون فكسره . وجرت احوال فلما بلغ ابن طولون ذلك سير الى فقهاء مصر وكان بالشام فتوجهوا اليه الى دمشق في سنة سبع وسبعين ومايتين للهجرة . وكان في جملة الفقهاء قاضي مصر القاضي بكار بن قتيبه فقال لهم احمد بن طولون ان الموفق خلع طاعة اخيه المعتمد . وكان الموفق ولي عهد اخيه فأفتو (٨١و) فقهاء مصر بخلع الموفق من ولاية العهد . فتوقف بكار بن قتيبه عن خلعه . فقال له الامير احمد بن طولون : لم لاتوافق الفقهاء ؟ فقال له : انت اوردت علي كتاب الخليفة المعتمد بولاية اخيه الموفق فأورده علي بخلعه . فقال هو الآن مغلوب مقهور في يديه وانا ايضا احبست حتى يرد كتابه باطلاقك . فقيده وسيره الى مصر وحبسه . وكان بن طولون كل سنة يحمله بالف دينار فعاد طالبه بها فسيرها اليه بختمها . وكان عدتها ستة عشر كيسا . وبقي القاضي بكار محبوسا الى اخر ايام احمد بن طولون .

ورتب في الحكم عوضا عنه وهو كالخليفة عنه محمد بن شاذان الجوهري . وبقي القاضي بكار معتقلا الى ان توفي الامير احمد بن طولون في ليلة الاحد لعشر بقين من ذى القعده سنة سبعين ومايتين للهجرة . وتوفي القاضي بكار بعده في يوم الخميس لست بقين من ذى الحجة من هذه السنة . ومولده في (٨٢و) سنة اثنتين وثمانين وماية ومدة ولايته القضاء اربعا وعشرين سنة وستة اشهر وستة عشر يوما وكان عالما زاهدا . حدث بالكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وله اخبار مشهورة . وقد تقدم ذكره . وقبره احد المزارات بالقرنة بسفح الجبل المقطم .

وولي بعده ابوعبد الله محمد ابن عبدة بن حرب البصري . ثم استتر بسبب فتنه بني طولون فأقام مستترا عشر سنين وذلك في جمادى الاخره سنة ثلاث وثمانين ومايتين للهجرة . وبقيت مصر بغير قاضي الى ان ولي ابو زرعة محمد

بن عثمان الدمشقي وعزل في صفر سنة اثنتين وتسعين ومايتين للهجرة · وتوفي ابو زرعة بالشام في سنة اثنتين وثلاثمايـة ·

واعيد ابو عبد الله محمد بن عبده بن حرب في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومايتين للهجرة · وعزل عن الحكم في مستهل شهر رجب من هذه السنة لان الامير استصحبه معه الى الشام وولاه قضاء حلب · وولي ابا ملك بن ابي الحسن الصغير ثم ولي ابا عبيد على بن الحسن بن حرب بن عيسى بالشام · وكان قدومه مصر لليلتين خلتا من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومايتين للهجرة · وبقي الى ان عزل في سنة احدى عشره وثلاثماية ·

وولي مكانه ابو الذكر محمد بن يحيى بن مهدى بن هرون بن عبد الله بن هرون بن ابراهيم الاسواني خلافة لابي يحيى عبد الله بن ابراهيم بن مكرم الى ان عزل ثاني عشر صفر سنة اثنتي عشره وثلاثماية ·

وولي مكانه ابو محمد ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد العظيم بن عبد الله بن عبد الاعلى ··· (١) في شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشره وثلاثماية ·

وولي مكانه ابو علي عبد الرحمن بن اسحق بن محمد بن معمر بن (٨٢ ق) حبيب بن المنهال السدوسي وصرف سابع شهر ربيع الاخر سنة اربع عشرة وثلاثماية ·

وولي ابو عثمان احمد بن ابراهيم بن حماد بن اسحق بن اسماعيل بن حماد في الثامن من شهر ربيع الاخر سنة اربع عشره وثلاثماية · وعزل عن القضاء في ذى الحجة من سنة ست عشرة وثلاثمايـة ·

---

١) بياض في الاصل ·

وولي مكانه ابو محمد عبد الله بن احمد بن ربيعه بن سلمان بن خالد بن عبد الرحمن الربعي من اهل دمشق · وعزل عنها لليلتين بقيتا من جمادى الاخره سنة سبع عشرة وثلاثماية · وعاد اليها ابو عثمان احمد بن ابراهيم بن حماد · وعزل عنها في سابع شهر ربيع الاخر سنة عشرين وثلاثماية للهجرة واعيد اليها ابو محمد عبد الله الربعي وعزل عنها في عاشر صفر سنة احدى وعشرين وثلاثماية ·

وولي مكانه هاشم اسماعيل بن عبد الواحد بن محمد الربعي المقدسي الشافعي وعزل في عاشر شهر ربيع الاخر من هذه السنة ·

وولي مكانه ابو جعفر احمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبه بن مسلم الدينوري في شهر جمادى الاخرة · ثم عزل في سابع شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وعشرين وثلاثماية ·

وولي ابو عبد الله محمد بن موسى بن اسحق السرخسي · وبقي الى سنة اربع وعشرين وثلاثماية ·

وولي ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن جعفر بن الحداد الكناني الفقيه وعزل في شهر ربيع الاول سنة اربع وعشرين وثلاثماية ·

وولي بعده ابو بكر محمد بن بدر مولي ابن حكيم خلافة لمحمد ابن الحسن بن ابي الشوارب · وتكدر حاله بها الى ان توفي وهو في ولايته على القضاء سنة ثلاثين وثلاثماية للهجرة ·

وولى ابو محمد عبدالله بن احمد بن شعيب بن الفضل بن ملك ابن دينار يعرف بأبن اخت وليد وعزل · واعيد اليها ابو بكر بن (٨٣و) الحداد · وعزل في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية للهجرة · واعيد ابو محمد عبد الله ابن اخت وليد وعزل ايضا في سنة ثلاث وثلاثين السنة المذكورة ·

وولي عبد العزيز بن الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله العباسي الهاشمي وكان خليفه لاخيه ثم عزل عنها في نصف ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاثماية للهجرة ٠

وولي ابو بكر عبد الله ابن محمد بن الخطيب بن الصقر بن حبيب الاصبهاني المعروف بالخصي تولى في سنة ٠٠٠ (١) وتوفي في سنة ثمان واربعين وثلاثماية للهجرة ٠

وولي بعده ولده ابو عبد الله محمد بن عبد الله ٠ اقام خمسا واربعين يوما ومات ٠ فولي كافور الاخشيدى مكانه ابا الطاهر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر بن مخبر بن صالح بن اسامه الدهلي في نصف شهر ربيع الاخر سنة ثمان واربعين وثلاثماية فبقي الى اخر الدولة الاخشيدية ٠

وجاءت الدولة العبيدية فأبقاه الامير جوهر الرومي الذى ارسله المعز العبيدى صاحب الغرب من الغرب الى مصر ٠ واستولى عليها وبنى القاهره المحروسة على القضاء ٠ وورد المعز لدين الله اول العبيديين بالديار المصرية ديار مصر واستقر بالقصر بالقاهره المحروسة التي بناها له مولاه جوهر المقدم ذكره ٠ واقر المعز هذا القاضي على ولايته فلم يزل الى ان توفي المعز وقام بالامر من بعده ولده العزيز ٠ فأقر القاضي المذكور على ولايته ثم عزله في صفر من سنة ست وستين وثلاثماية للهجرة ٠ وهو من القضاه المشهورين بالحديث والعلم وطول المدة ٠

وولي العزيز بالله بن المعز العبيدى مكانه ابا الحسن على بن النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون المغربي ٠ وكان قدم مع المعز من الغرب ٠ وولاه العزيز مضافا للقضاء الخطابة والامامة والعيار في الذهب والنظر في الحكم بمصر والقاهره واعمالها (٨٣ ق) والمغرب والحرمين الشريفين مكه والمدينة ٠ وهو اول قاضي نعت بقاضي القضاه بالديار المصرية واول من نعت بهذا النعت في الاسلام

---

١) بياض في الاصل ٠

القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصارى صاحب الامام الاعظم ابي حنيفه رضي الله عنهما نعته بقاضي القضاه امير الموءمنين هرون الرشيد بن المهدى بن المنصور العباسي ببغداد • وكان لايدعى بقاضي القضاة الا قاضي بغداد • وكان ساير القضاه بجميع البلاد التي تحت حكم الخليفة قاضي بغداد هو الذى يوليهم •

فايدة تذكر زيدتها في هذا المكان وهي اول ملك نعت بالملك في ملوك الاسلام عضد الدولة بن بويه الديلمي ملك بغداد مع الخليفه • واول من نعت بالسلطان في ملوك الاسلام محمود بن سبكتكين سلطان العجم •

نرجع لذكر القاضي ابن النعمان • لم يزل على ولايته الى ان توفي في السادس من شهر رجب من سنة اربع وسبعين وثلاثماية للهجرة واورد له المسبحي في تاريخه شعرا ودفن بتربته عن مسجد الاقدام •

وتولى مكانه اخوه ابوعبدالله محمد بن النعمان فبقي الى ان توفي في رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلاثماية للهجرة • ودفن عند اخيه • وكان اديبا شاعرا ذكر له المسبحي ابيات • قال المسبحي : ورأى القاضي محمد بن النعمان روءيا فأحضر ابن قديده المفسر فقال له : رأيت كأن البارى عز وجل نزل من السماء • فلما بلغ ارى مات • فقال له ابن قديده : ان الله هو الحق وموته ابطاله وان الحق لايزال حيا حتى يصير اليك فيموت • فأطرق القاضي ومات بعد مدة يسيرة •

وتولى الحكم بعد ابن النعمان ابن اخيه الحسين بن علي بن النعمان ابو عبدالله فبقي الى ان عزل •

وولي بعده ابو القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان ابن عمه وعزل في يوم الجمعة (٤٨و) سادس عشر شهر رجب سنة ثمان وتسعين وثلاثماية •

وولي مكانه مالك بن سعيد بن مالك الفارقي وكان قاضي اطرابلس واختص بـه فلم يزل الى ان صرفـه وقتلـه الحاكم بن العزيز بن المعز العبيدى في يوم السبت لاربع ليال بقيت من شهر ربيع الاخر سنة خمس واربعمايـة ·

وولي مكانه ابو العباس احمد بن محمد بن عبدالله بن ابي العوام يوم الاحد حادى عشر جمادى الاخره سنة خمس واربعماية · فلم يزل الى ان توفي لعشر بقين من شهر ربيع الاول من سنة ثمان عشره واربعمايـة ·

فـولـي مكانه قاسم بن عبدالله بن النعمان في رابع جمادى الاول من سنة ثمان عشرة · وعزل عنها لخمس بقين من شهر رجب من سنة تسع عشره واربعماية ·

وولـي مكانه ابو الفتح عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في التاريخ المذكور ثم عـزل في سابع عشر ذى الحجة سنة سبع وعشرين واربعماية للهجرة واعيـد اليها قاسم بن عبد العزيز بن النعمان واستخلف عنه القاضي القضاعي مصنف الشهاب ثم صرف عنها ·

وولـي ابو احمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم ثم صرف عنها واعيد اليها قاسم بن عبد العزيز بن النعمان وصرف عنها في ثاني المحرم سنة احدى واربعين واربعماية ·

وتولـي ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازورى (١) ثم بعد ذلك اضيف اليه الوزارة وهو اول قاضى جمع له بين القضا والوزارة · فلم يزل عليهما الى ان صرف فـي مستهل شهر الله المحرم سنة خمسين واربعماية للهجـرة ·

تولـي بعده ابو علي احمد بن عبد الحاكم بن سعيد ثم صرف عنها في ذى القعده من هذه السنة وتكرر في القضا والوزارة غير مدة · ووليها ابو القاسم عبد الحاكم بن وهيب وصرف عنها في سنة اثنتين وخمسين واربعماية للهجرة وتكرر في القضا (٨٤ ق) غيـر دفعـه ·

---

١) كذا في الاصل ولكنها اليازورى في رفع الاصر ص٨ ملحوظة ٤ ·

ووليهـــا ابوعبد الله احمد بن محمد بن ابي زكريا في حادى عشر شهر رجـــب الفرد سنة اثنتين وخمسين واربعماية · فلم يزل الى ان توفي في صفر سنة ثلاث وخمسين واربعماية للهجرة · فأعيـد اليها ابوعلي احمد بن قاضي القضاه عبد الحاكم بـــن سعيد الفارقي رابع عشر صفر · وصرف عنها خامس شهر رجب من سنة ثلاث وخمسيـــن السنة المذكورة · واعيد اليها ابو القاسم عبد الحاكم بن وهيب (١) ثم صرف عنهـــا في سنة خمس وخمسين واربعماية ثم ولي الوزارة والقضاء ابو محمد الحسن بن مجلي بن اسد بن ابي كدينه (٢) في رابع عشر شعبان وقبض عليه في ذى الحجة وتكرر فـــي القضاء والوزارة دفعات تزيد على اثنتي عشر كـرة ·

وتولـــى ابو الحسين علي بن عبد الحاكم ثامن عشرى شهر ربيع الاخر سنة ســـت وخمسين واربعماية · وصرف عنها في خامس جمادى الاخره منها ثم رتب في الحكـــم عند دخول الامير بدر الجمالي امير الجيوش ابو يعلي حمزة بن الحسين بن احمـــد العرقسى (٣) فلم يزل في الحكم الى ان توفي ·

فولـــى ابو الفضل طاهر بن علي القضاعي لعله ولي في سنة ثلاث وســـبعين واربعماية · ثم ولي بعده جلال الدولة ابو القاسم على بن عمار ثم صرف · وولـــى بعده ابو الفضل هبة الله بن الحسن بن عبد الرحمن بن نباته لعل ولايته كانت في رابع شعبان سنة خمس وسبعين واربعماية · ثم ولـــي من بعده ابو الفضل بن عتيق · ثم ولي من بعده ابو الحسن على بن يوسف بن الكحال النابلسي · ثم ولـــي من بعده فخر الاحكام ابو الفضل محمد بن عبد الحاكم المليجي · كانت

---

١) "ابن وهب" رفع الاصر ص٨ ملحوظة ٦
٢) بدون تنقيط في الاصل · راجع رفع الاصر ص٨ ملحوظة ١٤ ·
٣) بدون تنقيط في الاصل · راجع رفع الاصر ص٩ ملحوظة ١٠ ·

ولايته في سنة سبع وثمانين واربعماية · ثم ولي (٨٥و) من بعده ابو الطاهر محمد بن رجاء فلم يزل الى ان توفي في سنة ثلاث وتسعين واربعماية · وولي مكانه ابو الفرج محمد بن جوهر بن دكي النابلسي · فلم يزل الى شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين واربعماية فصرف ·

وتولى ابو الفضل نعمه بن بشير الجليس النابلسي ثم استعفى في سنة اربع وخمسماية فأعفى · وولي مكانه الرشيد عماد الاحكام ابوعبد الله محمد · وقيل احمد بن قاسم الصقلي (١) ولم يزل الى ان توفي فأعيد القضاء الى ابن الجليس النابلسي ثم صرف ·

وولي مكانه فقه الملك عمدة الاحكام ابو الفتح مسلم بن علي الرسعني ذكر في الحكم في سنة ثلاث عشرة وخمسماية للهجرة · ولم يزل قاضيا الى ان وزر المأمون بن البطائحي · فاتفق ان المأمون عمل عزاء للامير محمود بن ظفر والي قوص · فلما كان وقت صلاة الصبح قدمه المأمون للصلاة · فلما احرم ادركه هلع فلحن وارتج عليه في قراءة "والشمس وضحاها" فوقف عند قوله " ناقة الله وسقياها "فردها المأمون عليه فزاد استبهاما · فكرر المأمون الرد على القاضي فلم يهتدى · وصحف قوله "ناقة الله وسقياها" فقال " وسقناها " · فقرأ المأمون بقيه السورة عنه وسجد وسجد الناس لسجوده · ثم قام في الركعة الثانية وقد دهش · فلم يفتح عليه بشيء وكمل المأمون الصلاة وفرغ فلما انفض الناس من المجلس وكل المأمون على القاضي حتى يحفظ من القرآن مايصلي به وصرفه · واستخدم عوضا منه ابا الحجاج يوسف بن ايوب المغربي وكان قاضي الغربيه · فلم يزل الى ان توفي في سنة احدى وعشرين وخمسماية · فولي القاضي سناء الملك ابوعبد الله محمد بن هبة الله

---

١) هو احمد بن قاسم بن زيد الصقلي الملقب بالقاضي الرشيد رفع الاصر ص ١٠ ملحوظة ٥ ·

بن ميسر القيسراني (١) (٨٥ق) في ايام الامر العبيدى . وولاه الوكالة والنظر في المقياس وغيره . ولم يزل الى ان تولى الخلافة بالديار المصرية الحافظ العبيدى فعزله في سنة ست وعشرين وخمسماية للهجرة .

نكتـه : اول من رتب اربع حكام على اربع مذاهب ابن امير الجيوش في الدولة العبيدية ، حكى القاضي جمال الدين ابن تنكز انه وجد في تعاليق خاله العماد بن اخي العلم انه في سنة خمس وعشرين وخمساية عند قيام الامير ابي على بن الافضل امير الجيوش بأمر المملكه رتب ان يكون في الحكم اربع قضاة على اربع مذاهب . وهم الفقيه سلطان بن رشأ الفقيه الشافعي قاضي الشافعية وابو محمد عبد المولى بن اللبني الفقيه المالكي قاضي المالكيه وابو الفضل بن الازرق الاسماعيلي قاضي الاسماعيليه . وابن ابي كامل الفقيه الامامي قاضي الاماميه . وان المذكورين استمروا الى آخر السنة . فرق بين هؤلاء القضاء والقضاة الذين ولاهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس لان في هؤلاء من مذهبه غير مذهب اهل السنة . ومن ولاهم الملك الظاهر جميعهم اهل السنة والجماعة .

وذكر بعضهم ان القاضي سناء الملك بن ميسر القيسراني رسم له ان لايحكم الا ويكون عنده اربع فقهاء من جملتهم الفقيه سلطان بن رشا المذكور . حتى قيل ان الفقيه سلطان غاب يوما عن المجلس فأوجب توقف امر الحكم لغيبته . فقال بعض الحاضرين : فانفذوا لاتنفذون الا سلطان الاية (٢) .

ولما عزل الحافظ العبيدى القاضي سناء الملك بن ميسر في سنة ست وعشرين وخمساية ولي ابو الفخر (٨٦و) صالح بن عبد الله بن رجاء في مستهل شهر ربيع الاول من سنة ست وعشرين وخمساية . ثم قبض عليه وقتله . وولي مكانه سراج

---

١) القيرواني في رفع الاصر ص٩ ملحوظة ٢ و ص١٠ ملحوظة ١١
٢) سورة الرحمن ٥٥ آية رقم ٣٣ .

الدين ابو الثريا نجم بن جعفر · ولم يزل الى ان قتل في يوم الخميس ثامن شـوال سنة ثمان وعشرين وخمسماية · واعيـد الحكم لابي عبدالله محمد بن هبة الله بن مبشر(١) القيسراني · فلم يزل الى ان عزل عن الحكم في يوم الاحد لسبع خلون من المحرم سنة احدى وثلاثين وخمسماية · وارسل الى ····· (٢) وقتل بها عشية يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الاول من هذه السنة سنة احدى وثلاثين وخمسماية ·

وكـان السبب في ذلك ان الامير حسين بن امير الجيوش لما اعتقل الحافظ العبيدى انشد على بن ···· (٣) الاسكندرى الشاعر قصيدة مدح بها الاميـر حسين بن امير الجيوش وذم الحافظ واهل بيته اقبح ذم واولها تبسم الدهر لكن بعد تعبيس ومر في قولـه :

هذا سليمانكم قد رد خاتمـه   واستفرغ الملك من صخر ابن ابليس·

فلما سمع القاضي ابن مبشر المذكور هذا البيت قام والقى عريضه طربا · ثم ان القاضي بعد ذلك لما اسقط ابن الزعفراني شاع عنه ما انسى الدهر ذكره فقتل بها والله اعلـم ·

وولـي القضاء بعد ابن مبشر الاعز ابو المكارم احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي عقيل · ولم يزل الى ان توفي في شعبان سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية · واقـام الوقت بغير قاض الى ان ولي فخر الامناء ابو الفضايل هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن بحر الانصاري (٨٦ ق) الاوسي المعروف بأبن الازرق لاحدى عشرة ليلة · خلت من ذى القعده سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية · وعزل في ثالث عشر جمادى الاخره سنة اربع وثلاثين وخمسماية · وولـي القاضي الموفق في الديـن

---

١) وردت سابقا بدون تنقيـط ·
٢) بياض في الاصل مقـدار كلمـه ·
٣) كلمـة مطموسـة ·

ابو الطاهر اسماعيل بن سلامه الانصارى • فأقام الى مستهل المحرم سنة خمس وثلاثين وخمسماية • واشيع بانه يعزل • ثم استقل وبقي الى ان صرف لسبع خلون من صفر سنة ثلاث واربعين وخمسماية للهجرة • وولي مكانه ابو الفضايل يونس بن محمد بن الحسن المقدسي المعروف حوامرد (١) القرشي • فبقى الى ان صرفه العادل بن السلار في سنة سبع واربعين وخمسماية وكان صالحا دينا •

وولي مكانه الفقيه ابو المعالي مجلي بن جميع بن نجا المخزومي مصنف الذخاير فاقام الى ان صرفه الصالح بن رزيك الذى بني جامع الصالح خارج بابي زويله بالقاهره المحروسة • واعاد ابا الفضايل يونس ثم صرفه واعاد ابا المعالي وقيل ان يونس المذكور ولي دفعة اخرى في سنة ثمان وخمسين كما سنذكره ان شاء الله تعالى •

وتولى بعده مجلي القاضي جلال الدين ابو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل بن عبد الكريم الصورى في تاسع شعبان سنة سبع واربعين وخمسماية • وصرف في العشر الاخير من محرم سنة ثمان وخمسين وخمسماية • واعيد الحكم للقاضي يونس ولاه شاور الوزير ثم صرف واعيد القاضي جلال (٢) الدين بن كامل في العشر الاول من ذى الحجة من هذه السنة • ثم صرف في شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وخمسماية للهجرة •

وتولى القاضي الاعز (٨٧و) ابو محمد الحسن بن علي بن سلامه المعروف بالعوريس • ثم صرف وتولى ابو الفتح عبد الجبار بن اسماعيل بن عبد القوى ثم صرف • واعيد القاضي جلال الدين ابن كامل للقضاء في ذى الحجة سنة خمس وستين وخمسماية • ثم صرف في سادس عشر جمادى الاول سنة ست وستين وخمسماية •

---

١) كذا في الاصل •
٢) في الاصل بدون اللام الاخيرة •

وولـي القاضي صدر الدين بن الملك بن عيسى بـن درباس بن سـ (١) بن عبدوس الماراى (٢) . وكان قاضي الغربية . وتولي في الثاني والعشرين من جمادى الاخره سنة ست وستين وخمسماية للهجرة . وبقي الى ان عزل بعد وفاة السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مرون الذى كان زوال الدولة العبيدية من الديار المصرية على يديه . واعاد اليها الدولة العباسية .

وتولـى مكان القاضي صدر الدين القاضي زين الدين علي ابن يوسف الدمشقي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول في سنة تسعين وخمسماية . ولم يزل الى ان صرف في يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الاول سنة احدى وتسعين وخمسماية . وتولـي في بقية النهار القاضي محي الدين ابو حامد محمد بن عبد الله بن هبة الله بن ابي عصرون . ولم يزل الى ان عزل في يوم الاحد سادس عشر محرم سنة اثنتين وتسعين وخمسماية . واعيد القاضي زين الدين علي بن يوسف الدمشقي . وعزل في يوم السبت ثالث المحرم سنة اربع وتسعين وخمسماية للهجرة . واعيد القاضي صدر الدين عبد الملك بن درباس ثم عزل في العاشر من جمادى الاول سنة خمس وتسعين وخمسماية . واعيد القاضي زين الدين علي بن يوسف الدمشقي ثم (٨٧ ق) عزل عنها في يوم الاثنين تاسع عشر شهر ربيع الاخر سنة ست وتسعين وخمسماية . واعيد اليها القاضي صدر الدين عبد الملك واضيف اليه دار الضرب والحسبة والخطابة والاحباس . ولم يزل الى ان توفي يوم الاربعاء خامس شهر رجب الفرد من سنة خمس وستماية للهجرة . وبقي الامر بحكم النواب الى يوم الاثنين الثامن من شهر رمضان من هذه السنة . فتولـى القاضي عماد الدين ابو

---

١) كذا في الاصل

٢) على الهامش بخط آخر "جهم بن" .

القاسم عبد الرحمن بن عبد الاعلى بن السكرى · ولم يزل قاضيا الى الثاني عشر من المحرم سنة ثلاث عشره وستماية · فصرف وبقي الامر يحكم فيه النواب الى مستهل صفر من هذه السنة فرتب القاضي شرف الدين ابو المكارم محمد بن عين الدوله في القاهره والوجه البحرى ·

ورتب بمصر والوجه القبلي القاضي تاج الدين ابو محمد عبد السلام بن علي بن الخراط · فلم يزل الامر على ذلك الى ان جرت حالة اوجبت عزل القاضي تاج الدين عبد السلام بن الخراط في العشر الاخير من شعبان سنة سبع عشرة وستماية · وفوض الامر للقاضي شرف الدين ابن عين الدولة فاستمر قاضي القضاه بجميع احوال الديار المصرية خلا ثغر الاسكندرية مدة زمن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي ابن اخي السلطان صلاح الدين يوسف لما كان يرى فيه من الديانة والصيانه والتعفف · وكان رجلا صالحا عالما ورعا عارفا بالاحكام · وكان الملك الكامل يعظمه ويكرمه بسبب ذلك وله معه حكايات · منها ما حكي انه رآه يوما بالطريق (٨٨و) فسلم عليه ورده لشغله فوصف ماهو عليه من دين وعفه ومعرفة وعلم فقال : ومع هذا فما القاضي الاكبير السن واشار لبعض خواصه ان يرد اليه ويستعلم منه كم مضى من عمره · فلما حضر الى القاضي واعلمه ماقال الملك الكامل اخذ ورقة وكتب فيها :·

يا سائلي عن قوى نفسي وما صنعت ... فيه السنون خذ التحقيق تبيينا
ثاء الثلاثين ادركت القبور بها ... فكيف حالي في شاء الثمانينا
يارب فالطف بشيخ مدنف هرم ... اسير ضعف اعنه رب آمينا

ودفعها اليه فجاء بها الى الملك الكامل · فلما وقف عليها زاد حبا له ولفضله وحسن ادبه · ولما توفي الملك الكامل وتولى بعده ولده الملك العادل اقر القاضي شرف الدين على امره ·

فلما جاءت الدولة الصالحية واستقر الامر بعد خلع الملك العادل لاخيه الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل في يوم الجمعة ثالث عشرى شوال من سنة سبع وثلاثين وستماية · اقر القاضي شرف الدين على امره · فلما كان يوم الخميس عاشر شهر ربيع الاخر من سنة تسع وثلاثين وستماية · رتب القاضي شرف الدين في قضاء القاهره والوجه البحرى · ورتب في قضاء مصر والوجه القبلي القاضي بدر الدين السنجارى · فلم يزل الى ان توفي القاضي شرف الدين بن عين الدولة في تاسع عشر ذى القعده من هذه السنة سنة تسع وثلاثين وستماية ·

وتولى بعده القاضي بدر الدين السنجارى قضاء القاهرة والوجه البحرى .
وتولى قضاء مصر والوجه القبلي القاضي عز الدين بن عبد العزيز عبد السلام فلم يزل الى ان صرف (٨٨ ق) عن الحكم في سنة ···· (١) وستماية واضيفت اليه خطابة مصر ·

وتولى مكانه في قضاء مصر والوجه القبلي القاضي افضل الدين الخونجي (٢) فلم يزل الى ان توفي في شهر رمضان من سنة ست واربعين وستماية · وكان يخلفه في الاحكام الحمال ····· (٣) فلم يزل الى ان تولى القاضي عماد الدين الحموى · فبقى الى ان عزل في الثامن من جمادى الاول سنة ثمان واربعين وستماية ·

---

١) بياض في الاصل
٢) افضل الدين محمد بن ناماورد الخونجي · رفع الاصر ص١٢ ملحوظة ٧ ·
٣) بياض في الاصل

وتولى القاهره والوجه البحرى وصف عنها القاضي بدر الدين السنجارى .
ورتب قاضيا بمصر والوجه القبلي القاضي صدر الدين موهوب بن عمر الجزرى . وكان نائبا عن القاضي عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام . ثم عزل واعيد القاضي عماد الدين الحموى بمصر والوجه القبلي واعيد القاضي بدر الدين السنجارى الى قضاء القاهره والوجه البحرى وذلك في التاسع والعشرين من شهر رجب الفرد من سنة ثمان واربعين وستماية . ثم بعد ذلك بأيام يسيرة اضيف للقاضي بدر الدين السنجارى مصر والقاهرة واعمالها وذلك في العشر الاول من شوال من هذه السنة . ثم عزل القاضي بدر الدين السنجارى عن القضاء بمصر وكان يخلفه فيه اخوه برهان الدين وكان عزله في هذه المرة عن مصر في يوم الاحد الحادى عشر من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وستماية .

ورتب فيها القاضي تاج الدين عبد الوهاب الشافعي الشهير بابن بنت الاعز . ثم عزل القاضي بدر الدين السنجارى عن القاهرة والوجه البحرى واضيف ذلك للقاضي تاج الدين ابن بنت الاعز . فبقى كذلك الى ان توفي الملك (٨٩و) المعز ايبك اول الملوك التركية بالديار المصرية في ليله الاربعاء خامس عشرى شهر ربيع الاول من

سنة خمس وخمسين وستماية · وقيل انه تولى الوزارة للملك العز · والاظهر انه لم يلها في ايامه · ولم يزل في القضاء الى ان عزل في مستهل شهر ربيع الاخر من هذه السنة سنة خمس وخمسين من القاهرة والوجه البحرى ·

وولى القاضي بدر الدين السنجارى قضاء القاهره والوجه البحرى · ثم ولي القاضي بدر الدين السنجارى المذكور الوزارة مضافا لقضاء القاهره والوجه القبلي · وولى في الوجه القبلي قضاة من جهته · وبقي مع القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز مصر خاصة الى ان استدعى القاضي تاج الدين المذكور وخوطب في الوزارة فأجاب الى ذلك واستخدم فيها في السادس من شهر رجب من سنة خمس وخمسين وستماية وصرف عن الحكم بمصر ·

وتولى القاضي بدر الدين السنجارى قضاء القضاة بجميع الديار المصرية · وسار الى مصر وحكم بها يوم الاحد نصف شهر رجب الشهر المذكور · وبقي الى ايام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحي فصرف في التاسع مع جمادى الاول من سنة تسع وخمسين وستماية ·

وتولى القاضي تاج الدين ابو محمد عبد الوهاب بن بنت الاعز قضاء القضاة بالديار المصرية · ولم يزل الى سلخ شوال من هذه السنة فصرف عن قضاء مصر والوجه القبلي ·

وتولى القاضي برهان الدين السنجارى قضاء مصر والوجه القبلي · فلم يزل الى الثالث من شهر رمضان من سنة ستين وستماية فعزل · واعيدت مصر والوجه القبلي مضافا للقاهرة للقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن بنت (٨٩ ق) الاعز ·

وكان القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز المذكور متشددا في الاوامر الضرورية السلطانية . واوجب الامر السلطاني اليه ان يستنيب عنه في الاحكام مدرسي المدرسة الصالحية النجميه على المذاهب الاربعة اهل السنة والجماعة . ففعل ذلك . وجلس القاضي صدر الدين سليمان الحنفي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي . كما قدمنا شرحه . واستمر الامر على ذلك الى هذه السنة وهي سنة ثلاث وستين وستماية فجرى للقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز بحضور السلطان الملك الظاهر بيبرس المذكور امور اوجبت انه امر باستقلال النواب المذكورين في القضاء . من كل مذهب قاضي فاستقلوا به مضافا للقاضي تاج الدين ابن بنت الاعز كما سنذكره ان شاء الله تعالى .

قال بعض اهل التاريخ : كان الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى يكره القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز ويحط عليه ويحط من قدره عند السلطان الملك الظاهر بسبب تثبته وتوقفه في القضايا التي لا خير فيها ولا توافق مذهبه . فاتفق ان السلطان الملك الظاهر جلس يوم الاثنين ثاني عشر ذى الحجة من هذه السنة بدار العدل وقدمت قصة من بنات الملك الناصر مضمونها ان المماليك اشتروا دار قاضي القضاة بدر الدين السنجارى في حال حياته وان ورثته بعد موته ذكروا انها وقفا او حبسا . فلما قرئت اخذ الامير جمال الدين ايدغدى المذكور يحط على المتعممين وينقصهم . فقال السلطان للقاضي (٩٠و) تاج الدين : ياقاضي هكذا تكون القضاه . فقال : يامولانا كل شاة معلقة بعرقوبها . قال : فكيف الصورة في هذا ؟ اذا ثبت الحبس يعاد الثمن من الورثة . قال السلطان . فاذا لم يكن مع الورثة شيء . قال : يرجع الوقف الى اهله ولا يستعاد الثمن . فامتعض السلطان من ذلك ولم يتم الكلام في ذلك حتى تقدم رسول صاحب المدينة المعظمه النبوية على ساكنها سيدنا ونبينا

محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام وقال : يامولانا السلطان سالت هذا القاضي ان يسلم الى مبلغ ريع الوقف الذى تحت يده لينفقه صاحب المدينة في فقراء اهلها فلم يفعل . فسأل السلطان القاضي عن صدق ماقاله . فقال نعم . فقال انا امرته بذلك فكيف رددت امرى ؟ فقال : يامولانا هذا المال انا مستلمه وهذا الرجل لااعرفه ولا يمكنني ان اسلمه لمن لااعرفه . ولا يمكن ان يتسلمه مني الا من اعرف انه موثوق بدينه وامانته . فان كان السلطان يتسلمه مني احضرته اليه . فقال السلطان : تنزعه من عنقك وتجعله في عنقي . قال نعم . قال لاتدفعه الا لمن تختاره . ثم تقدم الى السلطان بعض الامراء وشكى القاضي وقال : شهدت عنده فلم يسمع شهادتي في ثبوت الملك وصحته . فسأله السلطان فقال : ماشهد احد عندى حتى اثبته . فقال الامير : اذا لم تسمع قولي فمن تريد ؟ فقال السلطان له : لم لاسمعت قوله ؟ فقال : لاحاجة في ذكر ذلك . فقال الامير جمال الدين ايدغدى ياقاضي نترك لمذهب الشافعي لك (٩٠ ق) وتولى من كل مذهب قاضي . فنصت السلطان الملك الظاهر لذلك . فلما كان تاسع عشر ذى الحجة الشهر المذكور من هذه السنة ولى السلطان الملك الظاهر القاضي صدر الدين سليمان الحنفي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي قضاء القضاة بالديار المصرية . وفوض اليهم ان يولوا في ساير الاعمال بالديار المصرية مضافا لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز . وابقى على قاضي القضاة تاج الدين النظر في مال الايتام والمحاكمات المختصة ببيت المال وكتب لهم التقاليد واخلع عليهم الخلع وصار يحكم في ذلك هؤلاء الاربع حكام المذكورين على الاربع مذاهب المذكورة وصاروا يلبسوا الطرحات في ايام الخدمة السلطانية .

وقال صاحب "نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" ماصيغته : وفي ذى

محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام وقال : يامولانا السلطان سالت هذا القاضي ان يسلم الى مبلغ ريع الوقف الذى تحت يده لينفقه صاحب المدينة في فقرا' اهلها فلم يفعل . فسأل السلطان القاضي عن صدق ماقاله . فقال نعم . فقال انا امرته بذلك فكيف رددت امرى ؟ فقال : يامولانا هذا المال انا مستلمه وهذا الرجـل لااعرفه ولا يمكنني ان اسلمه لمن لااعرفـه . ولا يمكن ان يتسلمه مني الا من اعرف انه موثوق بدينه وامانتـه . فان كان السلطان يتسلمه مني احضرته اليه . فقال السلطان : تنزعه من عنقك وتجعله في عنقي . قال نعم . قال لاتدفعه الا لمن تختاره . ثم تقدم الى السلطان بعض الامرا' وشكى القاضي وقال : شـهدت عنده فلم يسمع شهادتي في ثبوت الملك وصحته . فسأله السلطان فقال : ماشهد احد عندى حتى اثبته . فقال الامير : اذا لم تسمع قولي فمن تريد ؟ فقال السلطان له : لم لاسمعت قوله ؟ فقال : لاحاجة في ذكر ذلك . فقال الامير جمال الديـن ايدغدى ياقاضي نترك لمذهب الشافعي لك (٩٠ ق) وتولى من كل مذهب قاضـي . فنصت السلطان الملك الظاهر لذلك . فلمـا كان تاسع عشر ذى الحجة الشهـر المذكور من هذه السنة ولـى السلطان الملك الظاهر القاضي صدر الدين سـليمان الحنفـي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس الدين محمد بـن ابراهيم الحنبلـي قضا' القضاة بالديار المصرية . وفوض اليهم ان يولوا في سـاير الاعمال بالديار المصرية مضافا لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعـز . وابقى على قاضي القضاة تاج الدين النظر في مال الايتام والمحاكمات المختصة ببيت المال وكتـب لهم التقاليد واخلع عليهم الخلع وصـار يحكم في ذلك هو'لا' الا ربع حكام المذكورين على الاربع مذاهب المذكورة وصاروا يلبسوا الطرحات في ايام الخدمة السـلطانية . وقـال صاحب " نظم السـلوك في تواريخ الخلفا' والملوك " ماصيغته : وفي ذ ى

القعده تحدث السلطان في كثرة المتحاكمين ورتب اربعة قضاة للمذاهب الاربعة · وكتبت لهم التقاليد السلطانية · وفي ذى الحجة رسم لمجد الدين ابن العديم بخطابة القاهره والله اعلم ·

ذكر القبض على الامير شمس الدين الرومي ومحض خبره

كان الامير شمس الدين سنقر الرومي جمدار الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي · وكان مواخي الملك الظاهر ركن الدين بيبرس لما كان في خدمة الملك الصالح ايضا وبينهما صداقة · ولما (١٩و) قتل الفارس اقطاى كما قدمنا شرحه خرجا جميعا الى الشام وركن الدين بيبرس يتفقده بالمال والقماش · وكذلك لما انتقلا الى الكرك كانا على هذه الصفة · فاتفق انهما كانا صحبة صاحب الكرك في الصيد · وطلب سنقر من بيبرس شيئا ولم يكن معه شيء حاضر فساق الى مصر وحضر الملك الظاهر الى الديار المصرية بعد ذلك وهو امير فلم يعتقد الملك الظاهر بشيء على عادة الخشداشيه مع انه كان من جملة اتباعه · ولما جرى للملك المظفر قطز ماجرى وقتل على يد الملك الظاهر كما قدمنا شرحه ماكان سنقر المذكور حاضرا · فلما استقرت السلطنه للملك الظاهر كما قدمنا شرحه احسن الى سنقر المذكور واعطاه الاقطاعات العظيمة فصار في هذه المدة لايأخذ عطاء السلطان الملك الظاهر بقبول · وصار يخلوا لجماعة بعد جماعة ويفرق عليهم المال · وتحقق السلطان ذلك فسير اليه يحذره مع خشداشيته ومع الامير سيف الدين قلاوون الالفي · فما افاد فيه ذلك · فلما قتل شخصين مسلمين بغير ذنب ما امكن السكوت عنه · قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اول مايحكم الله في الدماء · وكان احد المقتولين مملوك سنقر المذكور جرت له زلة لطيفة لايجب فيها شيء فاستشفع بالسلطان فشفع فيه

فلم يقبل شفاعته وضربه وكواه بالحديد فمات • فعز هذا على السلطان وطلبه من وقته وقبض عليه في رابع وعشرين من ذي الحجة من هذه السنة واعتقله • فقال : اشتهي اعرف ذنبي • فسير السلطان اليه من عدد عليه ذنوبه • فتحسر وقال / آه لو كنت حاضرا (٩١ و) قتل الملك المظفر حتى اعاند السلطان في الذي جرى • وكان سنقر قد ذكر هذا الحديث للسلطان مرتين في حال تصرفه واحسان السلطان اليه • وقال له السلطان : انت اخي وتتحسر لكونك ما قدرت تعين علي والله اعلم •

وفي هذه السنة تولى الامير نور الدين ابن مجلي نيابة حلب •

وفيها حجب الخليفة الحاكم بأمر الله من الاجتماع بالناس •

ذكر هلاك اللعين هولاكو ملك التتار وتملك ولده اباغا •

في هذه السنة هلك اللعين هولاكوابن طولوخان بن جنكز خان ملك التتار الذي فعل ما قدمنا شرحه من الافعال القبيحة من خراب البلاد وقتل العباد وتوفي في تاسع عشر شهر ربيع الاول من هذه السنة بالقرب من كورة مراغة • وقيل انهم حملوه الى قلعة تلا فدفنوه بها وصارت روحه الى جهنم وبئس المصير • وكانت مدة سلطنته عشر سنين • وخلف من الاولاد خمس عشرة ذكرا وهم جماغان واباغا ويصمت ويشين وتكشي وتكدار وهو احمد واجاى والاجر وسبوجي وسودار ومنكو تمر وقنغر طاى وطرغاى وطغاى وتمر وهو أصغرهم • ولما مات اللعين هولاكو جلس بعده في السلطنة ولده اباغا مكانه • فجهز جيشا لحرب الملك بركه خان • فلما بلغ الملك بركة مسير العسكر جهز جيشا وقدم عليهم بيسونوغا ابن ططر بن مغلي بن دوسي خان بن جنكز خان • فسار ثم اردفه بركه بمقدم آخر واسمه بسنتاى في خمسين الف (٩٢ و) فسبق بيسونوغا وتقدم الى عسكر اباغا فتكردسوا للهزيمة • فبصر بهم بسنتاى وقد تحلقوا فظنهم احاطوا بالمقدم على العسكر القادم ومن معه فانهزم راجعا وقدم بيسونوغا ومن معه فتبع عسكر اباغا

وساق عليهم والتقى معهم فكسرهم وقتل منهم جماعة وظفر بهم وعاد الى الملك بركه .
واما بسنتاى فعظم ذنبه عند الملك بركه .

(٩٣ ق) (١) ذكر وفاة من توفي من الاعيان في هذه السنة وبعض اخبارهم

ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الوهاب الانصاري الجناني يكنى ابا اسحق من اهل جنان قرأ ببلده على الشيخ ابن يربوع . واخذ بالمريه عن ابي عبد الله بن هشام بن السواس . وكان حسن السمت كثير الوقار وخطب بالجنان بالجامع الجوفي المعروف بالرابطه الى ان انفصل عن البلد قبل خروج اهل البلد بمدة ثم خطب بغرناطه وولي قضاء المريه ثم احكام القضاء بغرناطه . توفي بغرناطه في سنة ثلاث وستين هذه السنة .

حمزة بن محمد بن حمزه البهواني الحموى يكنى ابا يعلي الفقيه الشافعي قاضي حماه . توفي في هذه السنة .

خالد بن يوسف بن الحسن بن مفرج بن بكار النابلسي الدمشقي يكنى ابا البقاء الشيخ المحدث توفي في هذه السنة

محمد بن ابي احمد بن يوسف بن موسى بن مسدى المهلبي الاندلسي . يكنى ابا بكر الحافظ . كان فاضلا حسن المعرفه برواية الحديث . توفي بمكه المشرفة في هذه السنة .

موسى بن يغمور بن جلدك بن بلمان بن عبد الله المضرى . يكنى ابا الفتح ويلقب جمال الدين . كان من الامراء الصالحيه وتولي نيابة دمشق في الدولة التركية . توفي بالقصير من الاعمال الفاقوسيه بين الغرابي والصالحيه وحمل الى قرافه مصر ودفن بتربة والده بسفح المقطم في هذه السنة .

---

١) لاوجود لورقة (٩٣)

هبة الله بن ابي محمد بن حفاظ الانصاري الازدى يكني ابا البركات الشيخ الصالي • توفي في هذه السنة بالاسكندرية •

(٩٤و) يوسف بن الحسن بن علي السنجاري المصرى • يكني ابا المحاسن ويلقب بدر الدين وينعت بذى الرياستين • كان بداية امره المامه بالسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بالبلاد المشرقيه • ثم حضر الى الديار المصرية وولي قضاء القضاة بالقاهرة ومصر والديار المصرية مدة • ودرس بالمدرسة الصالحية للطايفه الشافعيه وناب لــه القاضي شمس الدين احمد بن خلكان • وولــي الوزارة مدة • وكان موصوفا بالكرم والاريحيه توفــي بالقاهره في هذه السـنة •

محمد بن الحسن بن علي الدمشقي يكني ابا عبد الله ويعرف بابن امرأة الشيخ علي العريثي (١) • كـان شيخا صالحا حسن الشكل حلو المحادثة سليم الصدر عليه اثـار الخير والصلاح • وله زاوية بسفح قاسيون على نهر يزيد احسن الزوايا واقدمها • وفــي جانبها قبه فيها ضريح الشيخ علي القريثي (١) حضر السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف الى زيارته • توفي في سنة ثلاث وستين هذه السنة وخلف اولادا •

---

١) العرتـى في الاصـل • را

(٩٥ و) (١) ذكر الحوادث في سنة اربع وستين وستمائة ؟ ٦ هـ/ ١٣ ت ١، ١٢٦٥ م
٢ ت ١، ١٢٦٦

في شهر الله المحرم من هذه السنة عقد الامير سيف الدين قلاون الالفي بالكبر على ابنة الامير سيف الدين كرمونا التتري الوافد وهي والدة ولده الملك الصالح علاء الدين علي • وكان يوما مسعودا • وحضر السلطان الملك ركن الدين بيبرس الصالحي بنفسه • ونصب الدهليز بسوق الخيل لما عمل عرسه وعمل كلما يتعلق بالاسمطة من البيوتات وجلس السلطان بالخوان وارسل السلطان للامير قلاون "مماليك "قما روخيل وعشر مماليك • فقبل التقدمة واستعفى من قبول المماليك وقال هؤلاء خشداشيتي في خدمة السلطان • وقدم له كل امير من الامراء ثلاثة ارؤس خيل ٠٠٠ (٢) قماش •

وفي هذه السنة سير الملك الظاهر الى دمشق ثلاث تقاليد لثلاث حكام حنفي ومالكي وحنبلي مضافا لقاضي القضاة شمس الدين احمد بن خلكان الشافعي صاحب وفيات الاعيان في التاريخ وغيره • كما تقرر الحال بمصر • وصار بدمشق اربع قضاة وهم شمس الدين عبد الله بن عطا الحنفي وشمس الدين عبد السلام الزواوي المالكي وشمس الدين ٠٠٠ (٣) بن الشيخ ابي عمرو الحنبلي وشمس الدين احمد بن خلكان • ومن العجايب اجتماع اربعة قضاة (٤) في بلد واحدة في سنة يلقب كل منهم شمس الدين • واستناب قاضي القضاة ابن خلكان نايبا لقبه شمس الدين • وعمل الشعراء في ذلك اشعارا حفظها الناس • واستمر بالقاهرة اربع قضاة من كل مذهب قاضي • وكذلك استمر بدمشق اربع قضاة من كل مذهب قاضي • ولم يزل الامر على ذلك الى يومنا هذا والله اعلم •

وفي هذه السنة ايضا وصل الى الابواب الشريفة رسل الانبرور ورسل ملوك

---

١) لا وجود للورقة ٩٥ ، وكان المؤلف ترك صفحة خالية لاضافة تواريخ وفيات اخرى •
٢) كلمات غير مقروءة •
٣) بياض في الاصل •
٤) مكررة في الاصل •

الفرنج ورسل الفنش ورسل اليمن بمراكب موسقة هدايا الى صاحب قلاع الاسماعيلية صحبة رسلهم متوجهين الى ناديهم ومتقربين الى مراضيهم ومبايعي ايديهم بها على الحياة • وما علموا ان يد الله فوق (٩٦و) ايديهم • ولما حضروا بهذه الاموال رسم السلطان الملك الظاهر باظهار قدره يستدل بها على فعل القدر واعتماد مصلحة تفسير نواميسهم الفاسدة ومقابلة الفاسد بالفاسد من وجوه النظر • وهو انه رسم بأخذ الحقوق من هذه الهدايا تعجيزا لمن استكفى شرهم بالعطايا وافهاما للملوك الذين ملأ خوفهم قبولهم رعبا ان وراءهم ملكا يأخذ كل سفينة على هذه الصفة غضبا وانذارا بما كان في عزمه من اهتضامهم • فاستخرجت منهم الحقوق وكانت كتب السلطان الملك الظاهر تتوجه اليهم بالانكار • وتوعدهم بخراب الديار • وورد منهم كتاب يتضرعون الى السلطان انه اذا عقد مع الفرنج صلحا ان يذكرهم فيه ليفهموا انهم من غلمانه وان له بهم عناية • قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر : واين هذه الذلة من كتابة مقدمهم راشد الدين سنان بن سليمان البصرى لما كتب الى صاحب حلب :

يا ذا الذى بقراع السيف هددني ... لا قام مصرع جفني حين تصرعه
جاء (١) الحمام الى البازى يهدده ... واستاسدت بخلو الخيس اضبعه
لا تفرحن لسحت حين تنهبه ... فان نفسك بعد الموت تتبعه
وقد مددناك حبلا للحياة مدا ... فسوف تعلم يوما حين تقطعه
ومن يسد فم الافعى باصبعه ... يكفيه ماستلاقي منه اصبعه

واعجبا من ذبابة تطن على اذن فيل وبعوضة تعد من التماثيل • ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم ومالهم من ناصرين وقد علمت كنه وكيفيه رجالنا وما يقومون به من ورود حياض الموت وينتظرون من حال وقوع الفوت وانهم يرون الحياة مغرما ويعدون الموت مغنما فهيء للبلاء اسبابا (٩٦ق) وتدرع للرزايا جلبابا •

---

١) في الاصل بدون همزة •

ويقول في كتابه الاخر نحن كالرمح العاصف تمر بهشيم الارض فلا تؤذيه احتقارا وتعثر بالجبال الراسيه فتنسفها قوة واقتدارا · وما بغى علينا باغ فقنعنا عليه منه بالنصر ولا ظلمنا حبة خردل الا كان عوضها بلدا او مصر · ولا خرق لنا سجاف الا رقعناه بعمر الخارق · ولا مرق من ادب الدعوة احد الا ومرق بهم الفنا في ذلك المارق :

لله في عالمه خاتم — تجرى المقادير على نقشه
والبحر زخار له فرشه — فاحذر على نفسك من قرشه
والبغي صراع له صوله — تنكس الجبار عن عرشه
لاتنبش الشر فتبلى به — فقل من يسلم من نبشه
اذا طغى الكبس بشحم الكلى — ادخل رأس الكبش في كرشه ·

قال القاضي محي الدين مؤلف سيرة الملك الظاهر : هذا قول سنان وهو منزق بين حصونه صعدة قد احتلها اعتقد انه يطاعن الافلاك ومتوق من بأسه وتأسه بكل ذى نجده يهول بهم على الممالك والاملاك · وذلك عندما رأى ملوك الاسلام تهولهم الاوهام ويرتاعون يقظه وتستل عليهم سيوفه الاحلام ويعتقدون ان كل يد تمتد انها اليهم ويحسبون كل صيحة عليهم ضنة بالنفوس ورغبة عن لباس البؤس وسوء ظن بأقدار الله التي لامحيد عنها واشتغالا بالنكرة في الامور التي فرغ ربك منها · والا لوشاهد سنان هذا الملك الذى تسبق اعنة خيوله الرياح وتملا جيوشه البطاح وتسمح اولياؤه بالنفوس مستريحه رضوان الله برضاه والسماح رباح وتقصد القنا طعنا به · فكم اقنت من سنان وكم حطمت من رماح لقرع السن ندما ولشغل بكلامه عن ان يحير كلما · ولراعه كما "يرعدون "رحا الحرب الزبون ويتداوون مع صحة اذهانهم في الحروب من الجنون (٩٧ و) بالجنون · ويمتنعون بالوطي الحصين اذا اقتنع غيرهم بعلي الحصون ·

ولا جرت تلك الرماح لسنانه فلا يقول ولقطع بأن سكاكين قومه الذين يقولون يصول بها انها لسهام هذا السلطان تصول ولتيقن ان تلك الدعوة في مملكة من ممالك الدولة ثم "مجيب" وتلك الرغوة ٠٠٠٠٠ (١) ولوقف موقف الاعتذار ولسائل الامان لرجاله الذين اكثر بهم الفخار . ولطلب من السيوف الظاهرية الطوال بأيدى اربابها العفو عن سكاكين تلك الباطنيه القصار . ولقال عند سماع غوغاء الحروب هذه اسود تزأر بالغيل لاذبابه تطن بأذن فيل . وملوك تأتي من الملائكة في قبيل لابعوضة تعد من التماثيل . ولما وصف نفسه واصحابه بأنهم كالريح العاصف التي لاتؤذى الهشيم احتقارا . وتعثر بالجبال الراسية فتنسفها اقتدارا . ولعلموا انهم ان كانوا ريحا فقد لاقوا اعصارا وان من الجبال الراسية مانعثر الرياح بها كما قال اذا عثرت لانقيل لها عثارا . وقد انكبهم الرياح العواصف فكيف لاتتألم الحشاشه الحشيشيه من عواصف الرياح . وظنوا ان كل جبل كجبالهم المنسوفة . وما علموا ان توقد صواهل الجياد خير من صهوات الجبال وخير من التوفي بالصحايف التوفي بالصفاح . فالحمد لله على ان ذخر هذه الموهبه لهذه المملكة حتي جرى ماجرى من الخضوع والذلة واحوج الى رحمة هذا السلطان من كان لايرحم الملوك قبله .

ذكر قصد ملك الفرنج بطرابلس حمص وكسرهم من المسلمين .

_ قيل ان البرنس بيمند بن بيمند ملك الفرنج بطرابلس جمع واستنصر بالداوية والاسبتار وقصد جهة حمص . وكان نايب السلطنة بها الامير علم الدين سنجر (٩٧ ق) الباشقردى قد فهم حركته فاحترز وجعل الطلايع على المخايض فقصد البرنس مخاضه بلاله . فسبقه الامير علم الدين فيمن عنده من العسكر فملك المخاضة فأتى الكافر بخيله ورجلهم فوجد المخاضة قد ملكت فعدل الى غيرها فقويت نفوس المسلمين وعدوا الماء اليه وتبعوه . فانهزم وما زالوا خلفه يقتلون وينهبون الى ان توغل

---

١) بياض في الاصل .

في بلاده ورد طريدا شريدا قد قنع من الغنيمة بالاياب . وكان له امل فخاب . ورجع المسلمون الى البلد ولم يعدم منهم احد . وكانت هذه الوقعة في ثامن صفر من هذه السنة .

وفي هذه المدة سير الملك الظاهر الى دمشق بأن تعمل مراكب فعملت وحملت الى البحيرة .

وفيها توجه السلطان الملك الظاهر الى خليج الاسكندرونة لرؤيته وتقدم بما يجب من حفره وتصيد في جهة الحمامات ورجع . وقيل في هذه السنة اهتم السلطان الملك الظاهر بحفر خليج الاسكندرية وسير الامير علم الدين المسروري لذلك فتوجه ثم توجه السلطان بنفسه وتمرض جسم السلطان في الطريق . ولما صلح مزاجه باشر الحفر بنفسه وعمل الامراء وجميع الناس وازيلت الرملة التي على الساحل بين النقيدي وفم الخليج ثم عدا (١) ... الى بحر ابيار وغرق مراكب هناك وثنى عليها بالحجارة . ثم رجع الى القاهره المحروسة . وجهز المحمل المبارك وخلع على المتوجه الى الحجاز بذلك وهو الامير جمال الدين نايب دار العدل وسير عشرة الاف درهم برسم عمارة حرم المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام . وسير القمح لجرايات الصناع .

وفي جمادي الاول من هذه السنة وصل فخر الدين ابن جلبان من البلاد (٩٨و) الفرنجيه بعد ان خلص جماعة من الاسر بمال الوقف المسير من جهة الامير جمال الدين النجيبي وفرجت به كربات كثيرة لنساء واطفال . وسير الجميع الى دمشق وسلموا للقاضي ليزوج من تؤثر منهن التزويج .

١) في الاصل " عداى " .

وفي هذا الشهر المذكور رسم الملك الظاهر ببناء جسر كبير على الشريعة وجهز الامير جمال الدين ابن بهار الصالحي المهمندار لبنائه وجهزت له الاصناف من دمشق ورسم السلطان ان يكون الجسر خمس قناطر ٠ وكان ماؤها قويا تياره فاقتضت سعادته ان جاء سيل كثير فحدر صخورا كبارا فوقفت جرى الماء وبنى الجسر ٠

وفي هذا الشهر تكاملت عمارة الدار الجديدة المرسوم بعمارتها عند باب السر المطل على سوق الخيل الذى بالابواب وعمل بها دعوة للامراء فعمل القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر صاحب سيرة الملك الظاهر :

ياملك الدنيا الذى اضحى	بعون الله غالب
يامن به الكفار قد	نهبوا بأنهاب النوايب
ياذا الذى لولاه قد	كان البقاء من العجايب
لولا سيوفك لم يكن	بالثأر للاسلام طالب
كم جنه لك ان "الفت"	بعظيم كتبك والكتائب
فتلهفت شوقا واضحت	بالحلول لها تطالب
واتاك قد اعطاك	ربك طول اعمار الكواكب
فاستعجلت واتت بما	تبقى سعودا من مطالب
دار يرف بها النعيم	وتلتقي فيها المآرب
قد صورت فيها الجنود	على الخيول لها العواصب
لتكون في الخلوات ليس ترى	بغير السيف ضارب
في السلم حولك مثلما	في الحرب دونك في المراكب
لامثلما قد صور الاملاك	قبلك من غرايب
كل يصور نفسه	بين الاغاني والمشارب
(٩٨ق) فبقيت ياملك الزمان	لك العطايا والمواهب (٩٨ق)
ابدا تمتع بالنعيم وما	لملكك من محارب

ذكر تجهيز الملك الظاهر لغزو الفرنج وخروجه الى الشام وزيارته الخليل عليه السلام والقدس الشريف ٠

في شهر رجب من هذه السنة اهتم السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدار الصالحي بأمر الغزاة ٠ وسير الى اعمال الديار المصرية لاحضار الجند من اقطاعاتهم ٠ فاتفق تأخر بعض الجند فسير السلطان سلحداريته الى جميع الولايات بالديار المصرية فعلقوا ولاة البلاد بأيديهم ثلاثة ايام تأديبا لكونهم ماسارعوا الى احضار الاجناد ٠ وكان في الولاة امراء اسفهسلارية فحضر الجند ٠

وخرج السلطان في مستهل شعبان من هذه السنة ورحل في ثالثه ٠ ولما وصل غزة جرد الامير جمال الدين ايدغدي العزيزي والامير سيف الدين قلاون وجماعة من العسكر المنصور فتوجهوا الى العوجا ٠ وتوجه السلطان لزيارة الخليل ابراهيم عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام والقدس الشريف ٠ فوصل الى بلد الخليل فزار الشيخ علي البكا ثم دخل الى مقام الخليل ابراهيم عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله وسائر الانبياء والمرسلين افضل الصلاة والسلام ٠ وزار وكشف المظالم وقرئت القصص بين يديه ووقع عليها ٠ ومد السماط الذي للخليل عليه السلام واكل منه واكل الناس والفقراء وفرق جملة من المال على الائمة والقراء والمؤذنين والقوام وغيرهم ٠ وبلغه ان اليهود والنصارى لعنهم الله تعالى يؤخذ منهم حقوق عن زيارة الخليل عليه السلام والنزول الى المغارة بنجسهم فأنكر ذلك وكتب (٩٩و) مرسوما بمنع النصارى واليهود من دخول المقام الشريف ٠ واستمر الامر على ذلك فجزاه الله خيرا ٠

ثم توجه السلطان الى القدس الشريف فزاره وتصدق بجملة كثيرة ثم اتى الحرم الشريف مستخفيا في نفرين او ثلاثة وصلى الجمعة بالقدس ٠ ورحل الى عين جالوت ٠

هذا ماكان من السلطان • واما ماكان من العساكر المجردة فتوجهوا الى حمص ولم يكن عندهم علم بالحركة الى اى جهة • وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالى •

ذكر اغارة العساكر المجردة على طرابلس واعمالها واستيلائهم على قلعتي حلبا وعرقا وهدمهما •

لما وصلت العساكر المجردة الى حمص كما قدمنا شرحه ورد الى الامراء كتاب السلطان الملك الظاهر بالتوجه الى طرابلس وبلادها • فركبوا على غرة من الفرنج خذلهم الله تعالى • فجاسوا خلال الديار وانصبوا في الاودية كالبحار واصبحوا على حصن الاكراد واغاروا الى ساحل البحر من جهة طرابلس ونزلوا على حصن يعرف " بحسه " من عمل حصن الاكراد • فأقاموا عليه يوما واحدا فأخذوه واسروا به جماعة وكان بقلعة حلبا جماعة فهربوا واخلوها ودخل العسكر اليها واستولوا عليها وكسبوا منها شيئا كثيرا من نحاس وصناديق وسكر وغيره • وهذه القلعة تشبه قلعة عجلون حسانة • ولما هرب اهلها ادرك العسكر اواخرهم فقتلوهم واخذوا نساءهم •

ولما شاهد اهل قلعة عرقا ماجرى في حلبا نجوا بأنفسهم وهذه قلعة عرقا تشبه قلعة حمص • ولها من الغلات شيء كثير فتحصل بلدها في السنة من الهلالي والاقصاب والمزدرعات شيء كثير • وما زالت العساكر حتى اخربت (٩٩ ق) القلعتين المذكورتين ونزلوا على حصن يعرف بالقليعات وهو حصن عظيم وتسلموه في رابع شهر رمضان بالامان • وهدمت القلعة ايضا وفي عود العساكر نزل الامير سيف الدين قلاون الالفي قريب القليعات وسير في الليل بعض المقدمين ليترقب من يخرج من الفرنج فوجد خمسين نفرا متوجهين من صافيتا الى حصن الاكراد افجيه وجرخيه • فأخذ الجميع وقتلوا • واحضرت رؤوسهم وخرج جماعة من الداوية للغارة

على الذين يحشون لنيل العساكر • وكان الامير سيف الدين قلاون قد احترز ورتب مع الغلمان جماعة من اجناد العسكر • فلما خرج الديوية على الغلمان خرج عليهم العسكر وقتل بعضهم واسروا البعض الاخر • وسير صاحب صافيتا جاسوسا فقبض عليه وشنق ووصلت بطاقة الامراء المجردين الى السلطان الملك الظاهر بانهم وجدوا خيلا ورجلا من الفرنج متوجهين من صافيتا نجده الى حصن الاكراد وانهم قتلوا منهم مقدار خمسين فرا • ويذكرون وصول الفي فارس من العربان وانهم جاهدوا اتم جهاد • وجرح الامير سيف الدين عيسى ابن مهنا جرحين • فرسم السلطان انه من عدم له رأس من الخيل يعوض عنه رأسين من البقر ورسم بتجريد جماعة لحفظ المعروف من العساكر المجردة الى خدمته والله اعلم •

ذكر تجريد العساكر الى بلاد الفرنج واغارتهم على صور وغيرها

لما وصل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي بعد زيارة القدس الشريف الى جهة عكا جرد الامير علاء الدين البندقدار والامير عز الدين اوغان الركني بجماعة من العسكر الى جهة صور فدخلوا الجبال في الليل وقاسوا شدة لصعوبة الاوعار واغاروا (١٠٠ و) على صور وغنموا كثير من الجمال والبقر والغنم • واسر كمندور ملك سيس ومعه نفران كانوا انحازوا الى برج فأخذوا بالامان واخذ وزير صور وجماعة من الفرنج •

وتوجه الامير سيف الدين ابامر الى جهة صيدا ورسم لسم السلطان بالحضور الى جهة صفد • وتوجه السلطان الى عكا • وجرد السلطان الامير بدر الدين الايدمرى والامير بدر الدين بيسرى الى جهة القرن • وتجرد الامير فخر الدين الحمصى الى جبل عامله فأغارت العساكر من كل جهة وحاصر الامراء القرن واخذت قلعة قريب عكا وتوالت المكاسب حتى لم يوجد الابقار والجواميس من يشتريها • وعمت الغارة بلاد الفرنج من حدود طرابلس الى قريب ارسوف • العسكر المتوجه الى طرابلس في تلك الجهة والعسكر المتوجه الى صور في جهة والسلطان في جهة عكا والامير ناصر الدين القيمرى

في عثليث . ووصل كتاب من مقدم الاسبتار بعكا الى الاتابك بانه يسعى في الصلح وفيه تعريض بما يصل اليهم من عماير طرابلس وبلد الارمن فكتب اليهم في الجواب بما يجب من تهديدهم وتخويفهم . ثم ان السلطان اهتم بأمر صفد وقصدها كما سنذكره ان شاء الله تعالى .

ذكر بعض خبر صفد ومسير العساكر والسلطان الملك الظاهر اليها ومحاصرتها .

كانت صفد اولا تلا . وكان على التل قرية عامرة تحت برج اليتيم . وما زالت في ايدى المسلمين الى ان استولوا عليها الفرنج فيما استولوا عليه من البلاد الشاميه فبنوها الفرنج الداوية في سنة خمس وتسعين واربعماية ولم تذكر في شيء من الكتب الموضوعة في التاريخ في صدر الاسلام (١٠٠ ق) وهي قلعة حصينة على جبل تحف به جبال واودية فتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادى بن مروان بعد حصار شديد بالامان في رابع عشر شوال سنة اربع وثمانين وخمسماية . واقطعها وطبرية للامير سعد الدين مبارك بن تميرك . ولم يزالا في يده الى ان توفي في سنة ثمان وستماية فانتقلت الى ولده فتح الدين احمد فانضم الى خدمة الملك المعظم عيسى صاحب دمشق فقايضه بصفد وطبرية . ثم ان الملك المعظم اعطى احمد المذكور صفد خاصة خارجا عن طبريه فبقيت في يده الى سنة ست عشرة وستماية . ثم اخذها منه وخربها واخرب القدس الشريف خوفا عليهما من الفرنج وذلك في سنة سبع عشرة وستماية . وبقيت صفد خرابا وبلادها في يد من يملك دمشق لا يهتم ببنائها ملك الى ان اعطاها الملك الصالح عماد الدين اسماعيل المتغلب على دمشق للفرنج فيما اعطاهم من البلاد ليعينوه على محاربة الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الديار المصرية .

فلما ملكوها الفرنج استدعوا اسرى من المسلمين الذين كانوا في بلاد الفرنج ليعمروا صفد • وكانوا الف نفس والفرنج دون المايتين فاجتمع الاسرى وعزموا واتفقوا على الوثوب بالفرنج ثم انهم فكروا ان لابد لهم من ملجأ يلجأون (١) اليه ويعتمدون في الذب عنهم عليه فكتبوا الى الامير سيف الدين علي بن قليج النورى وهو اذ ذاك في قلعة عجلون من قبل الملك الناصر داود صاحب الكرك ليكتب اليه في ان يأمرهم بالوثوب على الفرنج ويبعث اليهم من يتسلم الحصن • فبعث الامير سيف الدين الى الملك الناصر داود الكتاب • فلما وقف عليه سيره الى الملك الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب دمشق (١٠١ و) فأرسله الى الفرنج الداوية • فلما اطلعوا عليه اخذوا الاسرى ودخلوا بهم عكا فذبحوهم عن آخرهم فلا جزاه الله خيرا ولا اعظم له اجرا على مافعله من هذه السيئة العظيمة التي لم يرقم في الصحايف مثلها وعليه وزرها ثم عمروا الفرنج صفد بمساعدة الصالح المذكور لهم • ولم تزل في ايديهم وهي غصة في حلق الشام والشجا في صدر الاسلام الى ان اهتم السلطان الملك الظاهر بقصدها في هذا العام •

وكان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس رحمه الله تعالى قبل حضوره الى عكا قد رسم للامير علاء الدين ايدكين الشهابي احد امراء الشام ولجماعة من العسكر المنصور بأن يتوجهوا الى بلاد الفرنج ولم يعلمهم الى اين • ثم سير كتابا وامره ان لايقرأه الا اذا ركب هو والعساكر متوجهين • وكان مضمونه انه يتوجه الى صفد ويتوجه الامير فخر الدين الفايزى الى الشقيف • فسار كل منهما الى جهته واحاط الامير علاء الدين بصفد احاطة حافظ لامقاتل • ثم جرد السلطان الامير بدر الدين البندقدار والامير عز الدين اوغان فنزلوا عليها واشتدت مضايقتها • واقام السلطان على عكا حتى حضرت العساكر المغيرة على صور وغيرها المقدم ذكرهم • وعمل عدة مجانيق وفرقها على الامراء ليحملوها ثم رحل السلطان والعساكر لابسة وساق الى قريب من باب عكا

---

١) في الاصل " يلجون " •

ووقف على تل الفضول ثم رحل الى عين جالوت · وكان الامير سيف الدين الزيني قد توجه لاحضار المجانيق من دمشق فاجتهد في احضارها واهتم بها الامير جمال الدين (١٠١ ق) النجيبي · وحملت على الرقاب · وسار السلطان الى ان نـــزل على صفد يوم الاثنين ثامن شهر رمضان المعظم من هذه السنة المذكورة وحاصرها ·

وفي اثناء حصار صفد حضر رسول متملك صور الى خدمة السلطان فأنكر السلطان عليه لانه كان سير اليه يقول له ان اردت اماني فأخرج عنك اعدائي من الفرنـــج فان اليمين متضمنه ان تكون عدو عدوى · وبسبب اعانتهم الفرنج على الاغارة على بانياس وقتل شخص من الرعيه · وان هذه الاسباب موجبه نقض العهد · وان رسولكم كان حضر الى عندى في تقرير قواعد الجنوية · وانهم يحضرون في البطس الكبار يقاتلون عكا في البحر وانا وعساكري في البر وان متملك صور يكون هو والجنوية في البحر علـى اهل عكا · فحضرت وما حضر احد منهم · فعرف صاحبك ان نقض العهد كان من جهته · وانفصل الرسول على ذلك ·

ووصـل ايضا رسل الـداوية (١) فقال لهم السلطان : بلغني انه لما اغارت العساكر الاسلاميه على بلاد طرابلس حميتم مواشي الفرنج واستودعتم اموالهم · وكتبكم كانت ترد الي بالشكوى من مجاورة الفرنج وتقولون ما نعطيهم القسطيعه الا لان عساكر السلطان بعيدة والا لو قربت العساكر منا روينا سكاكيننا من دمائهم · فلما وصلت عساكرى الى بلادكم لدفع الضيم عنكـم خسفتم وجوهكم معهم باستيداع مواشيهم وليس لهم عسكر تنجد الاسلام · وطلب منهم ارسال نجدة او مال يستخدم به عسكرا او حمل القطيعه التي كانوا يحملونها الى الفرنج · ولعبد مؤمن خير من مشـرك ·

---

١) لعلهـا الـداويـة ·

(١٠٢ و) ولما توجه رسولهم بهذا الجواب حضر احدهم وهو الصاحب جمال الدين . وما سمع قطانه حضر بنفسه فأكرم وشاهد احوال العساكر . واحضر هدية لطيفة فأنكر عليه بسببها . فسأل الاتابك في استعطاف السلطان وزاد الهدايا شيئا كثيرا والتزم بحمل جملة من المال وتوجه لاحضاره .

وورد رسول صاحب بيروت بتقادم فقال له السلطان ان صاحبكم الذى كان متفقا معنا قد هلك وانكر عليهم تعرض كرساليتهم في البحر لمركب الاتابك وغدروا بأهله واخذوه . وانفصل على هذه والحالة ولم يحصل الرضى عن ملكه .

وورد رسل يافا فأنكر السلطان عليهم كونهم نصبوا المجانيق على قلعة يافا مع انهم صلح .

ووصل رسل صهيون فانكر السلطان عليهم كون صاحبهم ما حضر بنفسه واحضر نجدة .

وأتفق السلطان في العساكر المنصورة .

وكان السلطان يباشر (١) الحصار والزيارات تتعداه (٢) . واتفق ان الناس تناوشوا القتال . فساق الامير عز الدين خاص ترك الظاهرى فوصل الطعن فتقدم الحجارون واخذوا في الثقوب ورمى الزراقون قوارير النفط في الباب فأحترق . وانعم السلطان على خاص ترك الظاهرى بعشرة الاف درهم وفرس قيمته نفيسه وجوشن وخلعه .

---

١) في الاصل بغير نقط

٢) في الاصل بغير نقط .

وفي حادى وعشرين شهر رمضان الشهر المذكور وصلت المجانيق واهتم بها السلطان وسير الامير عز الدين امير جاندار للقائها وعجزت عنها الجمال ٠ فجهز السلطان الامرا" والجند وساير الناس لحملها على الرقاب من جسر يعقوب وهو مرحلة من صفد ٠ وخرج السلطان بنفسه وخواصه وجرا اخشاب المجانيق من البقر ٠ قال (١٠٢ ق) القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سير الملك الظاهر :: حكى لي الملك المجاهد صاحب الجزيرة قال : جررت مع السلطان حتى تعبت ورحت استرحت ثم حضرت وجررت زمانا ثم رحت مرارا والسلطان على حاله ما استراح ٠ واستمر عمله في نقل الاخشاب بنفسه وحاشيته وغلمان البيوت والاسطبلات ترمت في سادس عشرين شهر رمضان ٠ وكان لمقدم الفرنج بيت داخل صفد واعطي السلطان اماره فطلع بنفسه الى اعلى المنجنيق المعرى حتى شاهده وامر المنجنيقيه برميه فرمى ولازم الركوب والوقوف تحت المجانيق ٠ وصار يخلع ويعطى ويحضر اليه بالاسرى الفرنج من جهة عكا وصور فينعم على من يحضرهم ٠

ووصلت العساكر المصرية و الشامية التي كانت في بلاد طرابلس ٠ ولما تكامل عبورهم نزل كل امير في منزله ٠ وحضر الامرا" فقبلوا الارض والسلطان لازم قوسه ومكانه لم يتغير منه ٠ وخرج الامير بدر الدين الايدمرى ليرى هلال شوال فوقع في رأسه حجر ٠ فرسم السلطان بأن لا يجتمع احد لسلام العيد ولا يتزحزح من مكانه خشيه من انتهاز العدو غره من العسكر ٠ ورمى المنجنيق المعرى في هذا اليوم فأثر اثارا حسنة ونودى في العسكر من جلب خمرا او شربها شنق ٠

وفي ثاني شوال من هذه السنة حصل الاهتمام بالزحف ٠ وقرر السلطان ذلك مع الملك المنصور صاحب حماه والامرا" الاكابر فتحالل الناس واجتهدوا ٠ وكان قد عمل من النفظ اشيا" من السهام المطيه والرمح ففرق ذلك على الزراقين

ووعـد الحجارون انه من اخذ اول حجر كان له ماية دينار وكذلك الثاني والثالث الى العشرة (١٠٣ و) وامر حاشيته بان يلازموا مواضع قتالهم ولا يشتغلوا بخدمته وشـرع الناس في امر الزحف من العشاء • وكان وصل جماعة من الصلحاء للغزاة ووصل الشيخ الصالح قاضي قضاة الحنابلة بدمشق فحركت الطبلخاناه السلطانيه نصف الليـل • وركب السلطان وهجم خندق الباشورة فقاتل الفرنج قتالا شديدا وابتلى المؤمنـون بلاء شـديدا واستشهد جماعة من المجاهدين وصار الانسان يرى رفيقه يقتل فيجره ويقف مكانه • وتكاثرت الثقوب ودخل النقابون اليها • واعطاهم السلطان ثلاثماية دينار وصار كل من عمل شيئا جزاه عنه لوقته بخلع تفرق واموال تبدل وهو يشـارك الناس فيما هم فيه من قتال ودخول ثقوب وزحف ونصب خيمة قريب صناجقه • وجعـل فيها حكماء وجرايحيه واحضر اليها المجرحين من الغرباء والحجارين واطلق الاشربة والمأكول للجنـد •

<u>وفي ثامـن شـوال</u> الشهر المذكور خاسفت الفرنج المسلمين في النقوب فوقع خسفهم فوق خسف الامير سيف الدين قلاون الالفي فقاتلوهم بالايدى وعمل بعد ذلك جسر على باب القلعة يتوصل منه اليها •

<u>وفي حـادى</u> عشر شوال المذكور ركب السلطان ووقف عند المجانيق ثم سـاق بمفرده ونزل عن فرسه واخذ ترسا ودخل الى النقوب وشاهدها •

<u>وفـي ليله رابع عشره</u> زحف المسلمون اشد زحفا وساق السلطان الى قريب الباب فارتفعت اصوات المسلمين يسألونه ان لا يغرر بنفسه • فرأى النقوب وعاد • ولم تزل الحرب قايمة والسلطان في وسط هذه الامور • وفي وقت القايله رأى الناس قد تعبوا من القتال وتفرق بعضهم فأمر خواصه بالسوق الى الصواوين واقامة (١٠٣ ق) الامراء والجند فيها بالدبابيس وقال : المسلمون على هذه الصورة وانتم تستريحون فأقيموا

جميعهم ورسم بقبض الامراء وكانوا نيفا واربعين اميرا فقبض عليهم وقيدوا • واحضروا الى الزرد خاناه ثم بعد ذلك وقعت الشافعة فيهم وامرهم بملازمة مواضعهم • ووسعت النقوب وشرطت الاسوار فجبن الفرنج وحرقوا الستاير التي كانت على الباشورة ليحموها من التسليق • فما افادهم ذلك • ولما شاهد السلطان ذلك امر بضرب الطبلخاناه وهي خمسة وعشرون حملا فقام كل واحد الى جهته فضرب المسلمون سكك الخيل في سفح الباشروة فما اصبح الصبح الا والسناجق على اسوار الباشروة من كل جهة واندفع الفرنج الى القلعه وسلموا الباشورة • هذا في يوم الثلاثاء نصف شوال الشهر المذكور • وفي هذا اليوم اخذت الثقوب في برج اليتيم وغيره من ابراج القلعه وفي هذه الايام استشهد الشيخ الصالح نبهان وهو يجدد الوضوء في خيمة الامير بدر الدين الخزندار • وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالى •

ذكر تسليم الفرنج صفد وخروجهم بغير امان وقتلهم

لما انقطعت الاسباب بالفرنج بصفد سيروا الى السلطان الملك الظاهر رسلهم في طلب الامان • فاشترط عليهم ان لا يستصحبون سلاحا ولا لامة حرب ولا شيئا من الفضيات ولا يردون شيئا من ذخاير القلعة بنار ولا هدم • فتوجهوا وصار السلطان يعمل الحيله ويعطي بعضهم الامانات من المرامي ويسير المناديل ويقرر مع جماعة منهم انهم يفتحون الابواب • فتسامع الفرنج وحصل منهم الخلف (١٠٤ و) وحضر خمسة عشر نفرا من القلعة مقفزين في وقت واحد • فخلع السلطان عليهم • وقالوا لاصحابهم ماحصل لهم من الخير • ونودى في العسكر بأن لا يرموا احدا من الفرنج النصارى والمستعربة غير الديوية • فأمسك الفرنج من تلك الساعة عن القتال وردوا الامان وقالوا ماندخل في شرط • ورمى الرسل الخلع والمال المنعم به عليهم من الاسوار • ثم انهم لما

ايقنوا بالهلاك سيروا رسلهم ثاني مرة في يوم الجمعة ثامن عشر شوال الشهر المذكور يطلبون ماكانوا طلبوه اولا . فامنع السلطان عليهم . فأخذ الاتابك منديل مقـــدم الجمداريه وهو الامير جمال الدين اقوش القلمجي واعطاه لهم على انهم لا يخرجـون شيء مما ذكرناه . فتوجه الرسل . وبعد صلاة الجمعة صاح اهل القلعة . يامسلمين الامان . وكان في ذلك الوقت قد خطب خطيب دمشق ودعى عقيـــب خطبه الجمعة للمجاهدين ودعى الناس وكشفت الرؤوس وخشعت الاصوات فاستجاب الله تعالى منهم . وكان صياح الفرنج بطلب الامان في تلك الساعة وما بقي احد يقاتـل .

فلمـا كان وقت العصر فتحت الابواب وطلعت السناجق . وكانت ساعة مشهوده . ووقف السلطان راكبا على باب صفد . ونزل الفرنج اولا فأولا وصاروا جميعهم بين يديه واخرجوا معهم الاسلحة والفضيات واخفوها في قماشهم . وتحدثوا على جماعة من اسرا المسلمين واخذوهم على انهم نصارى . وكذلك صغار المسلمين المأسورين عندهم . فما اخفى الله عز وجل ذلك بل اظهره بأن السلطان رسم بتفتيشهم . فوجد معهم مما ذكرناه مما ينقض الامان لوكان حقيقه (١٠٤ ق) فكيف وما كان اعطاهم السلطان امانا معتبرا فأخذت منهم العدد وانزلوا عن خيولهم لكونهم ماوقوا بالشرط وجعلوا في خيمة محفوظين وتسلم المسلمون صفـد .

وولـى السلطان في القلعة الامير مجد الدين الطورى وجعل فيها نايـــب الامير عز الدين العلائي ومقدم العسكر الامير علاء الدين ايدغدى السلاح دار . واصبح السلطان جالسا . وحضر الى خدمته الامراء والمقدمون من عسكر مصر والشام . فشكر اجتهادهم وذكر رضاه عنهم وقال : ربما عتبت على احد منكم وجرى مني انكارا وتأديب . وما قصدت بذلك الا حثكم على هذا الفتح العظيم . ومن هذا الوقـت

نتحالل . ثم ان السلطان اخبر الامراء ان اسرى صفد خرجوا بغير امان معتبر . وما كان استقر من خروجهم بغير عدة ونقضهم لذلك . وانهم ماكلفوا السلطان يمينا وامرهم بضرب رقابهم . فركبوا واحضرت خيالة الديوية والاسبتار وجميع من اخرج من صفد من الفرنج فضربت رقابهم على تل قريب صفد في مكان كانوا يضربون فيه رقاب المسلمين . ولم يسلم منهم غير نفرين احدهما الرسول بحكم ان السلطان كان شرب قمزا في النقوب وخرج اليه هذا الرسول فسقاه منه فعفى السلطان عنه وخيره في التوجه الى قومه . فاختار المقام في خدمة السلطان واسلم على يده واحسن اليه واعطاه اقطاعا وقربه منه واستمر في الخدمة . واما النفر الاخر فأن الاتابك شفع فيه ليخبر الفرنج بما جرى وهو من بيت الاسبتار . وكان خرج رسولا فعفى السلطان عنه وفي ذلك مكيدة . فأن هذا الاسبتارى لما وصل الى عكا استخفى (١٠٥ و) عند الاسبتار فطلبه الديويه الذين كانوا اصحاب صفد وقالوا هذا لما خرج رسولا هو وافريرليون ماحلفوا السلطان وعملوا على الفرنج وكادت تقوم بينهم فتنة بسببه . واراد الله عز وجل ان هذا الاسبتارى جرح في غارة بعد ذلك فقتل بيد العساكر الاسلاميه وابى الله ان يجعل له الى الحياة سبيلا او انه يفر من السيوف الاسلاميه . وانما متعه متاعا قليلا . وكان الاتابك قد سير مع هذا الاسبتارى كتابا فيه توبيخ لمقدم بيت الاسبتار ومن جملته : انا اقول لك هذا السلطان سعيد وانت تغالط وكتبت الى نوبه ارسوف ماتبالي بالعسكر . وكذلك قلت عن صفد وقد ظهر لك صدق حديثي هذا ماكان (١) من هؤلاء .

واما ماكان من الملك الظاهر فانه لما قتل الفرنج كما قدمنا شرحه دخل قلعة صفد وفرق على الامراء من العدد الفرنجيه والجوارى والمماليك ونقلت اليها

---

١) مطموس قسم منها .

الزرد خاناه التي كانت صحبته وصار يحمل فردة حمل النشاب على كتفه الى داخل القلعه فتشبه الناس به فنقلت الزرد خاناه والمنجنيقات اليها في اسرع وقت وطلب لها الرجال من دمشق وتقررت نفقة رجالها في الشهر ثمانين الف درهم واستخدم على جميع بلادها الامراء وعمل بها جامع في القلعه وجامع في الربض . ووقف على الشيخ على المجنون نصف وربع الحباب (١) والربع منها على الشيخ اياس ووقف على قبر خالد بن الوليد قرية منها وركب لعيادة الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى وغيره .

وفي سابع عشرين شوال المذكور رحل السلطان من صفد متوجها الى دمشق فنزل بالجسوره وامر بأن العساكر لاتدخل دمشق بل تبقى على حالها لتتوجه الى سيس (١٠٥ ق) ودخل دمشق جريدة ورسم فتوجه الملك المنصور صاحب حماه مقدما على العساكر الى سيس ووصاه بما يعتمده وجهزه .

وفي ثالث ذى القعده من هذه السنة توفي كرمون آغا وفي ثامنه انعم السلطان على امراء دمشق وقضاتها وارباب المناصب بالتشاريف . ولما استقر السلطان بدمشق نظر في امر جامعها ومنع من مبيت الفقراء به . وازال صناديقهم التي كانت ضيقت الجامع ووسعه للمصلين . قال الله تعالى في بيوت اذن الله ان يرفع ويذكر فيها اسمه . قال العلماء تغلق فلا تفتح الا اوقات الصلوات .

وفي عاشر ذى القعده الشهر المذكور جلس الاتابك مع الامير جمال الدين لكشف ظلامات الناس والتوقيع على القصص بدار السعاده . وتوجه السلطان الى عدرا وضمير متصيدا وما احضر احد صيدا الا اخلع عليه السلطان حتى الغلمان والسوقيه وفرغت الخلع فأطلق السلطان لهم دراهم .

---

١) في الاصل بدون تنقيط .

وفي ذي القعدة الشهر المذكور جمع السلطان اهل البلاد وطلع الجبل الذى عند جرود وصحبته الامراء وكان يوما شديد الحر واشتد العطش فكاد الناس يهلكون فدلهم شخص من الجبليه على عين ماء جارية لكنها يسيرة النبع فوقف السلطان عندها وصار يسقي الناس بيده ٠ وهذه كرامة وما احقه بقول الشاعر :

والله لولا الخوف منه　　　مهابة امس يزار ٠

ثم ضرب السلطان حلقات صيد فعمل القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر :

يا ايها الملك الذى　　　فيه العقول غدت تحار
يامن اليه بفعل ما　　　يرضى الاله غدا يسار
بالله قل لي هل دم　　　يجريه سيفك ام بحار　(١٠٦ و)
وهل الخيول لها مسير　　　تحت سرجك ام مطار
ان السيوف تركتها　　　لا يستقر لها قرار
عودتها شفك الدماء　　　فما لها عنها اصطبار
لم يبق في الدنيا فرنج　　　لا ولا بقيت تتار
فالوحش عن مهج العدى　　　لما تفانت يستمار
واظنها بك سوف تقفر　　　من سوانحها القفار
ان الدماء من العدى　　　والوحش افناها العرار
فاسلم ودم في نعمة　　　وبعز بابك يستجار

وفي شهر رمضان من هذه السنة وصل الى دمشق رجل ادعى انه ولد الامام المستعصم بالله المسمى بالمبارك الذى كان عند هلاون ملك التتار وصحبته جماعة من امراء العربان فرسم الامير جمال الدين النجيبي نايب الشام بانزاله في اعز مكان ٠ ولما وصل السلطان الملك الظاهر الى دمشق سير اليه جلال الدين ابن الدوادار والطواشي مختار فما عرفاه وظهر انه بخلاف ما اظهر فسيره الى مصر محتفظا به ٠

وفي ذي القعده من هذه السنة وصل شخص آخر اسود ادعى انه من اولاد الخلفاء فسير الى مصر والله اعلم ٠

ذكر خبر هونين وتبنين من ابتدايهما الى ان استولى عليهما الملك الظاهر ٠

هما حصنان منيعان بناهما الفرنج بعد الخمساية من الهجرة ٠ وهما بين حصن عوف وبين بانياس وصور ٠ فتحهما الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان وانعم بهما على مجد الدين احمد اخي (١٠٦ و) فخر الدين جركس ثم استعادهما منه وانعم بهما على الامير فخرالدين اياس جركس ٠ فولى عليهما مملوكا له يقال له صارم الدين قايماز الى ان تسلمهما الملك المعظم عيسى صاحب دمشق في سنة سبع عشره وستماية واخربهما واقطعهما لاخيه الملك المغيث محمود واستمرت في يده الى ان توفي وملكهما ولده الى ان توفي في ايام الملك الاشرف صاحب دمشق فصار اليه وبقيا في يده الى ان توفي ٠ فصارا الى الملك الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب دمشق فاعطاهما للفرنج مع ما اعطاهم من الحصون ولم يزالا بأيديهم الى ان تسلمهما الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في شوال المبارك سنة اربع وستين هذه السنة ولم يبق لقلاعهما اثر غير البلاد ٠

ذكر بعض خبر الرمله من ابتدائها الى ان استولى عليها الملك الظاهر ٠

اصل فلسطين فلستين بعد الفاء واللام سين مهملة ثم تاء مثناة من فوقها ثم ياء مثناة من تحتها ثم نون وهي مشتقة من اسماء ملوكها الفلستانيين في زمن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام ٠ ذكر ذلك المسبحي وقال هشام بن محمد الكلبي : سميت فلسطين بفلسطين بطاء مهملة بدل التاء بن كلسوحم من بني يافث بن نوح ٠٠٠ (١) فلسطين بن صدقيا بن عيقا

---

١) بياض في الاصل ٠

ابن حام بن نوح عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل الصلاة والسلام ٠
وكانت قصبته اولا لد ولم يزل على هذا الشأن الى ان ولي امير المؤمنين الوليد بن
عبد الملك بن مروان الاموى اخاه سليمان جند فلسطين فنزل لد ثم اخذت مدينة
الرمله ومصرها واختط مسجدها (١٠٧ و) وكان في موضعها رمله فبقي على
المدينة اسمها وصارت القصبه وخربت لد ولم تزل الرمله بل مصرت عامرة الاسواق دارة
الارزاق ٠ ينتابها السفار ويحط بها التجار الى ان جاءها زلزلة في العاشر من جمادى
الاول سنة ستين واربعماية هدمت دورها وشققت سورها وعفت الاثار واطلعت الماء من
الابار واشتقت منها صخرة بيت المقدس والتأمت ٠ فانتقل اكثر اهل الرملة بعد الى
ايليا فعمروها ومصروها ٠ ولم تزل الرمله تنتقل في ايدى الولاة بتنقل الجند منذ فتحت
الى ان صارت في ايدى العبيديين ولم تزل في ايديهم الى ان خرج مفرج بن الجراح
على العزيز العبيدى وخلع طاعته في سنة احدى وسبعين وثلثماية للهجرة وتغلب على
فلسطين وبلاده وبقيت في يده الى ان خرج اليه من مصر بلتكين (١) التركي فأخرجه
من الرملة ٠ ولم تزل بعد في ايدى العبيديين الى ان ملكها اتسز التركي في سنة ثلاث
وستين واربعماية فخرج اليه نصير الدولة بعسكر من مصر فاستعادها وقصد دمشق
محاصرا لها فحاصره فيها فاستنجد اتسز بتاج الدولة صاحب حلب حينئذ فسار اليه ٠
فلما بلغ نصير الدولة مسيره رحل عن دمشق وذلك في سنة احدى وسبعين واربعماية ثم
ان تاج الدولة قتل اتسز ملك دمشق والرملة فخرج عسكر من مصر فاستعاد الرملة في
سنة اثنتين وثمانين واربعماية ثم اخذوها الفرنج في سنة احدى وتسعين واربعماية
وبقيت في ايديهم ثم ملكها وملك معها لد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن
نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية للهجرة (١٠٧ ق)
ولم تزل في يده الى ان وقعت الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين وخمسماية ٠

---

١) في الاصل بدون نقط ٠ وتجوز ايضا يلتكين ٠ زامباور ٠ الترجمة العربية ج ١ ص٤٤ ٠

فنزل لهم عن بلاد وجعل لد والرمله بينه وبينهم مناصفة ولم تزل على ذلك ايام العزيز والافضل والعادل والكامل الى ان ولي ولده الملك العادل فنقضوا هذه المناصفة وتغلبوا عليهما وبقيتا في ايديهم الى ان فتحهما الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في سنة اربع وستين وستماية هذه السنة فعمر الرمله وصير لها عملا وولى فيها والله اعلم .

ذكر ماجرى للامير احمد بن حجي وولده مع خصومهما بأمر السلطان مما يدل على عدله .

بلغ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ان الامير احمد بن حجي وهو اكبر عربان آل مرة . قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر : وسمعته يقول انه من نسل البرامكه من اخت الرشيد . وادعى انها كانت زوجة يحيى بكتاب . وانه رزق منها اولادا . فلما جرى ماجرى هربتهم الى البادية فأخذهم جده وهذا فيه نظر " والذى ذكره بعض اهل التاريخ ان جعفر بن يحيى هو الذى تزوج اخت الرشيد والله اعلم اى ذلك .

اعتمد (١) امورا لاترضى منها انه خص بعض التجار وانه نزل على عرادة البلوى فقتله وقتل ولده سليمان ولد اخيه . وطولع السلطان بذلك فأجاب بان هؤلاء في الحجاز يفتصلون وقصد بذلك تطمين الامير احمد بن حجي فأطمأن وكتب السلطان وهو في حصار صفد الى النجيبي نائب السلطنه بدمشق يأمره بالقبض على الامير سليمان بن الامير احمد بن حجي فقبض عليه ووقعت الحوطه على اقطاع الامير احمد . فحضر الى الباب الشريف فأمر بتسليمه لغريمه الذى خصاه فراضاه على ثمانية الاف درهم . وكان السلطان في حصار صفد كما قدمنا شرحه . ولما حضر السلطان الى دمشق وصل وكيل ولد عراده ووكيل ولد عمه فأعتقل الامير احمد وسلم (١٠٨ و) للوكيل ليقتص منه

١) لعل المقصود ان الامير احمد .. هو الذى اعتمد امورا لاترضى .

بمقتض الشرع ونصبت له خشبه على باب دمشق فذكر بسالف خدمة وبكى الاتابك والناس فاشتراه السلطان بالف دينار من مال السلطان . ثم ادعى على ولد احمد بقتل ولد اخى عراده ففدى نفسه بالف دينار وتسلم الوكيل المال وهذه معدلقجيله وبعد ذلك احسن السلطان الى الامير احمد والى ولده وافرج عن اقطاعه .

وفي هذه الايام ابطل الملك الظاهر ضمان الحشيشه ابتغاء ثواب الله تعالى . وامر بتأديب اكلها . وامر ببناء مكان بجبل المزه للشيخ خضر وتوجه الى الشيخ خضر وزاره وشاهد المقاسم التي عمرت في دولته وهي احسن مما عمر في زمن الروم .

وحضر الى الباب الشريف رسول الاسبتار وسال استقرار الصلح على بلادهم من جهة حمص وبلاد الدعوة فقال السلطان : ما اجيبكم الى هذا الا بشرط ابطال مالكم من القطايع على مملكه حماه وهي اربعة الاف دينار ومالكم من القطيعه على بلاد بوقبيس وهي ثمان ماية دينار ، وقطيعتكم على بلاد الدعوة وهي الف ومايتا دينار ومايه مدى حنطه وشعير نصفين . فأجابوا الى ابطال ذلك جميعه وكتب الهدنة وشرط فيها الفسخ للسلطان متى اراد ويعلمهم قبل بمدة .

وكان السلطان قد احسن الى الجبليه مدة اقامته بالساحل بالخلع والمناشير فصاروا يأخذون الفرنج من كل جهة في مدة اقامة السلطان بالساحل .

وفي نصف شهر رمضان ورد كتاب الامير جمال الدين النجيبي نايب الشام الى السلطان متضمنا ورود كتاب الجاكي والي بعلبك بأن مقدمي بلد جبيل جمعوا وجاسوا بلاد جبيل ووصلوا الى حصن على نهر ابراهيم .